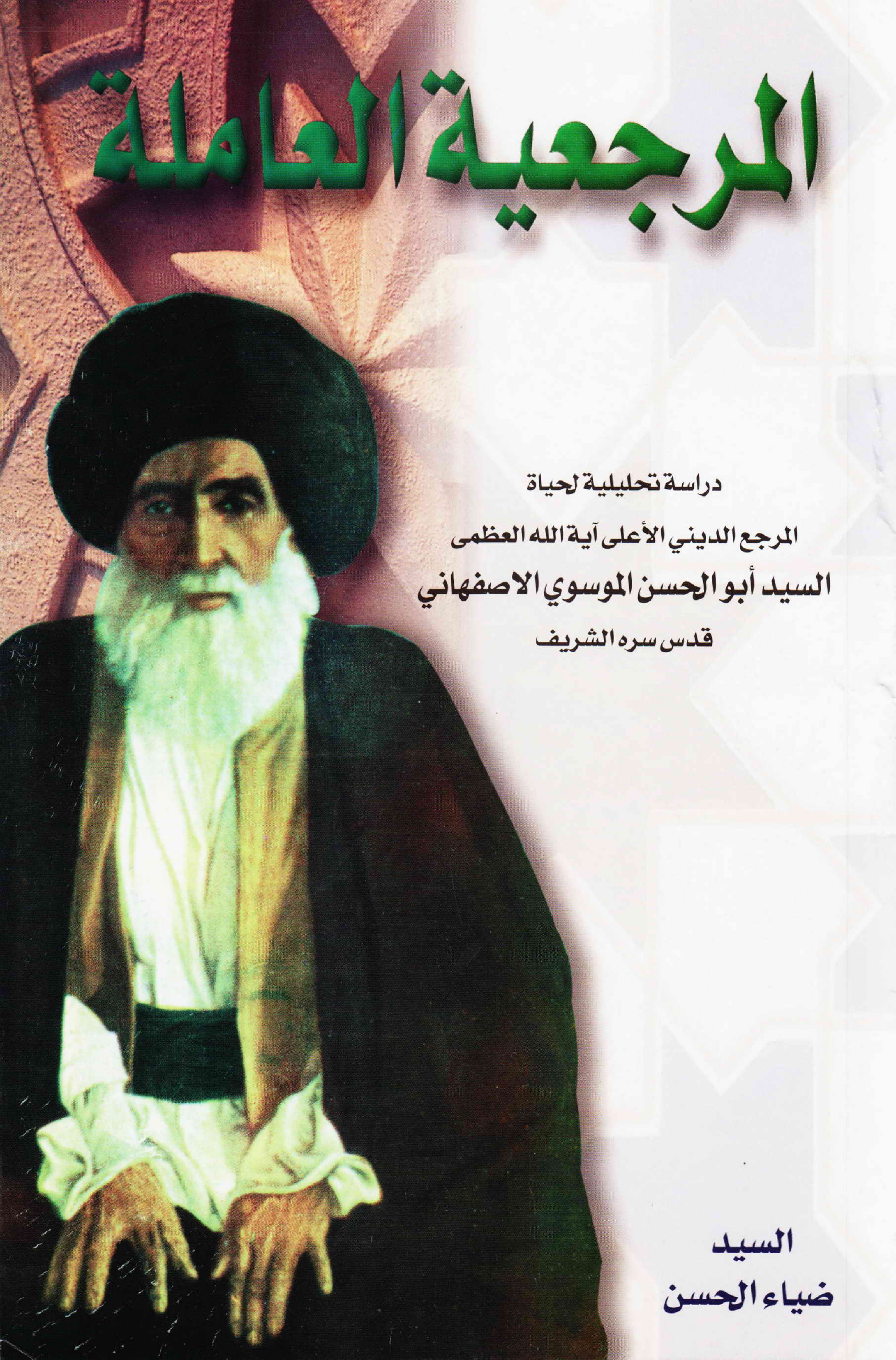

المرجعية العاملة
دراسة تحليلية لحياة
المرجع الديني الأعلى آية الله العظمى
السيد أبو الحسن الموسوي الاصفهاني
قدس سره الشريف
السيد
ضياء الحسن

المرجعية العاملة

دراسة تحليلية لحياة المرجع الديني الاعلى آية الله العظمى السيد ابو الحسن الموسوي الاصفهاني ــ قدس سره الشريف ــ

السيد ضياء الحسن





بسم الله الرحمن الرحيم

«وَٱلعَصْرِ،

إنَّ الإنسَانَ لَفي خُسْرٍ،

إلَّا ٱلذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصالحاتِ وَتَواصَوْا بِالحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ»

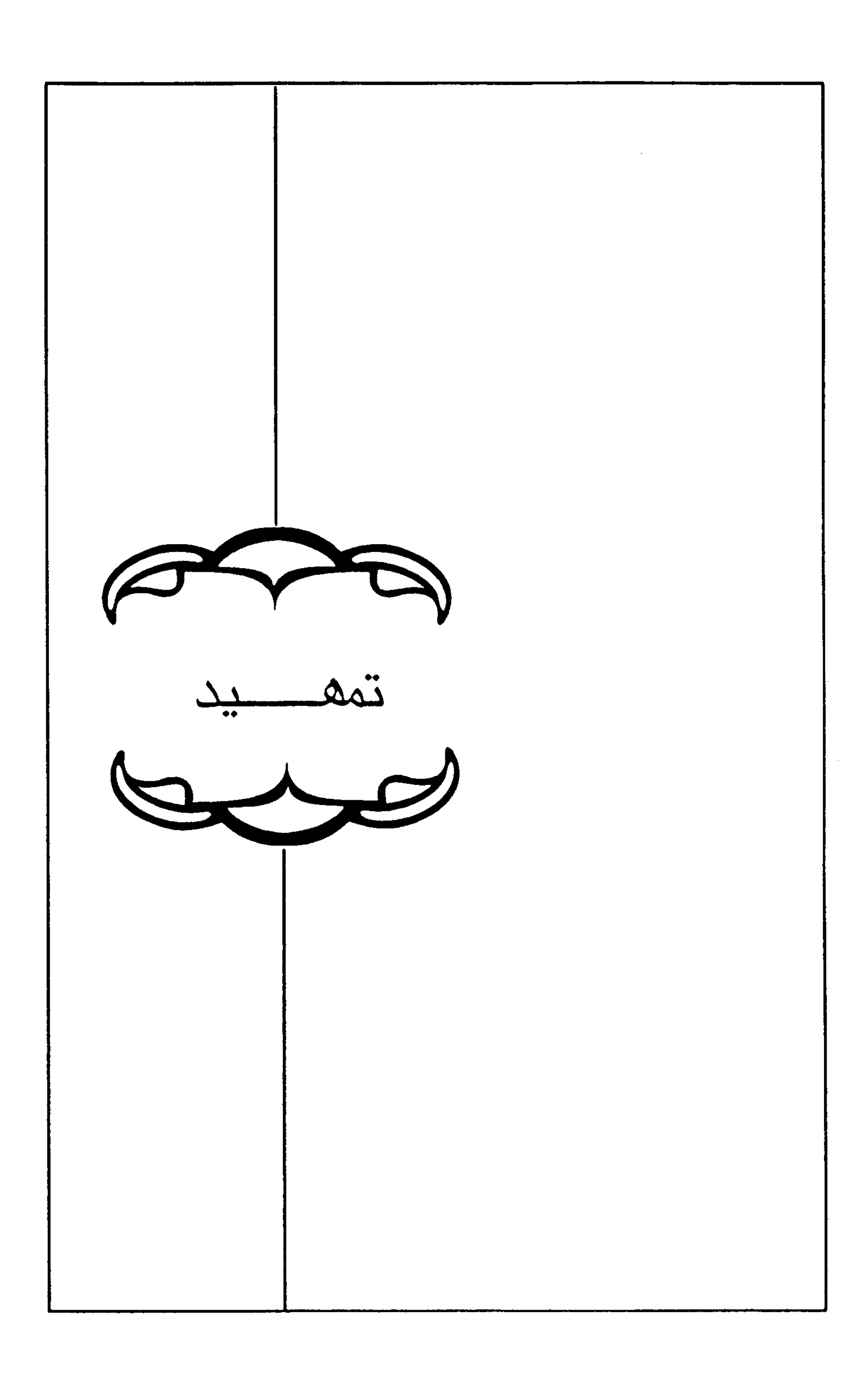
صدق الله العلي العظيم



الإهداء

إلى مراجع الأمة الأوفياء





تمهـــيد



تمهيد

التاريخ ينبوع الحاضر والمستقبل، والناجحون في الحياة هم الذين يوصلون قناةً تربط ذلك الينبوع بواقعهم، لان دروس التاريخ كثيراً ما تتكرر، بل هي معين لا ينضب.

والتجارب هي خلاصة دروس التاريخ، و«في التجارب علم مستحدث» كما يقول امير المؤمنين (عليه السلام)، لذلك فدراسة تجارب الماضين خيرعون لنا في صراعنا المرير مع الباطل.

والعظمة هي إحدى مصاديق التاريخ الاسلامي، والوقوف عندها يعني استلهام المعاني والقيم السامية.

واليوم حيث تستعر المواجهة بين الإسلام والتيارات المعادية، وحيث نجد انفسنا في الساحة عُـزّلاً لا نملك سوى تراثنا وفكرنا وتجاربنا، وهدى قادتنا الاولين، فاننا من هنا نشتاق الى أن نعود قليلاً الى الوراء، حيث التاريخ الحافل بالبطولات والامجاد والتجارب الفذة، ولعلّ عودتنا الى الوراء ليست تغنياً بامجاد آبائنا واسلافنا، بل نرجو من خلالها استلهام الدروس والعبر التي تعيننا على هضم واستيعاب المرحلة القادمة.

ولقد شهد التاريخ الاسلامي الشيعي الكثير من العظماء، وخاصة الذين ارتبط اسمهم بقيادة الامة، فكانوا نبراساً ومشعلاً تستضيء بهم الامة فتهتدي نحو الصلاح والتغيير في ظل صراع محتدم بكل اشكاله وقد كان للمرجعية تميز واضح في أداء هذا الدور عبر أكثر من عشرة قرون تميزت بالكثير من التحولات والتبدلات.

ولعلّ ابرز ما يلاحظ في هذا التاريخ الحافل بالبطولات والتضحيات، الظلال الوارفة للمراجع على مستوى الحياة والامة والاحداث، ولذلك نرى ان هذه المسيرة من التاريخ قد وُجدت فيها وقفات وأحداث كانت تطغىٰ على واقع الامور الى سنين طويلة قد تصل الى قرن من الزمن. وعندما نراجع شخصيات التاريخ المعاصر لهذه الاحداث والوقفات نجدها قد أفاضت بظلالها على الواقع فأنتجت مثل تلك الاحداث والمواقف التي لازالت منقوشة على ذاكرة هذه الأمة.

من هنا فقد سجل التاريخ الاسلامي الشيعي حقيقةً لم يستطع عامة المؤرخين والكتاب المنصفين سواء الاجانب منهم او الإسلاميين ان يتجاوزوها من دون بحث وتمحيص وتحليل ألا وهي «الدور المرجعي في الحياة العامة وفي التطورات السياسية والاحداث الاجتماعية المتغيرة».

فالمرجع إذن قطب الرحىٰ في الامة، و بظلال شخصيته كانت تصطبغ الاحداث والتطورات... فإذا ما انجبت الحوزات العلمية مرجعاً يعيش واقع الامة، و يضع من صلب اهتماماته النهوض بمستوى المسلمين ليقارعوا التحديات والضغوط المختلفة التي تواجههم، فإننا عند ذاك سنجد ان تلك الحقبة ستكون زاخرة بالإنتصارات والاحداث التي تسير كلها في مجرى تأكيد الحقوق ورفع الحيف والظلم.

من كل ذلك فإننا اليوم بأمس الحاجة لدراسة تاريخ اولئك العظماء، الذين سطروا بجهادهم وعلمهم تاريخاً حافلاً بالبطولات والتضحيات.

ولعلّ حاجتنا تكمن في عاملين اساسيين:

١ ــ معرفة صفحات النور في تاريخ الإسلام.

٢ ــ معرفة قيم الانتصار والتقدم.

وبقدر حاجتنا لمثل هذه الدراسات، فإننا نجد الساحة تفتقر وبشكل كبير لذلك، وهو اجحاف حقيقي بحق هؤلاء الاعلام، بل هو اجحاف بحق التاريخ الناصع للإسلام...

والصفحات التي بين يديك ـ عزيزي القارىء ـ هي محاولة للغور في اعماق شخصية تاريخية فذة، شخصية مثلت بسيرتها تجسيداً حيّاً «للمرجعية العاملة» شخصية ليست خافية على كل من عاصرها، ولكن الاقلام والكتابات قد تجاهلتها إلّا ماندر...، انها شخصية المرجع الديني الاعلىٰ في زمانه آية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني ــ قدّس سرّه الشريف ــ.

وهذه المحاولة هي قراءة في بعض الصفحات من تاريخ العراق الحديث، وهي أيضاً قراءة في صفحات من تاريخ المرجعية الخالدة، وهي كذلك قراءة في صفحات من تاريخ الحركة الإسلامية، وهي الى ذلك قراءة في صحفات من تاريخ الجهاد السياسي ضد القوى المستعمرة، وهكذا فهي عبارة عن وقفات هامة وحيوية لفهم واستيعاب الحاضر والمستقبل.

وقد توخينا في دراستنا هذه ان نكتبها بحثاً تاريخياً، مع إضفاء الروح التحليلية عليها، حتىٰ نخرج منها بالعبر والدروس التي تفيدنا في إدراك عوامل حيوية في نظامنا القيادي الذي نتوخاه للمستقبل.

وقد جاءت الدراسة في فصلها الاول حول ترجمة مختصرة لحياة السيد ابو الحسن الاصفهاني (رحمة الله عليه)، وأما الفصل الثاني، فقد حاولنا خلاله ان نرصد الحياة الجهادية التي خاضها بمختلف ابعادها هذا العلم الشهير خلال اربعين عاماً

من حياته. في حين جاء الفصل الثالث اكثر تخصيصاً ليدرس الشخصية السياسية للسيد ابو الحسن، حيث المعالم البارزة والهامة في هذه الشخصية والتي من خلالها ارتفعت الى مدارج النجاح. وانطلق الفصل الرابع ليرصد لمحات عابرة من سيرة حياة المرجع الاعلىٰ للشيعة في فترة الثلاثينات والاربعينات من هذا القرن. وأخيراً جاء الفصل الخامس ليصور «فاجعة الوفاة» بما تحمله من عبر ودروس قيمة.

ولا بد لي هنا أن اذكر بالشكر الجزيل لكل من تفضل وساعدني في إتمام هذه الدراسة، وأخص بالذكر المرجع الديني الكبير آية الله العظمىٰ السيد محمد الشيرازي ــ حفظه الله - والذي كان خير عون لنا في اتمام هذه الدراسة، وكذلك حجة الاسلام السيد عبد الحميد الاصفهاني (حفيد الإمام الأصفهاني) والذي زودنا بمعلومات هامة عن السيد ابو الحسن، اضف الى الاستاذ علاء الزيدي الذي تفضل مشكوراً بمراجعة الكتاب، وأبدىٰ ملاحظات قيمة أخذتها بعين الاعتبار في الصياغة النهائية للكتاب، فجزاه الله خير الجزاء.

هذه هي الدراسة بصورتها المختصرة، وهي محاولة متواضعة لكتابة شي من تاريخ امتنا الاسلامية، عسى ان نساهم من خلاله مع المخلصين من ابناء الامة في النهوض الحضاري، والاعداد المستقبلي.

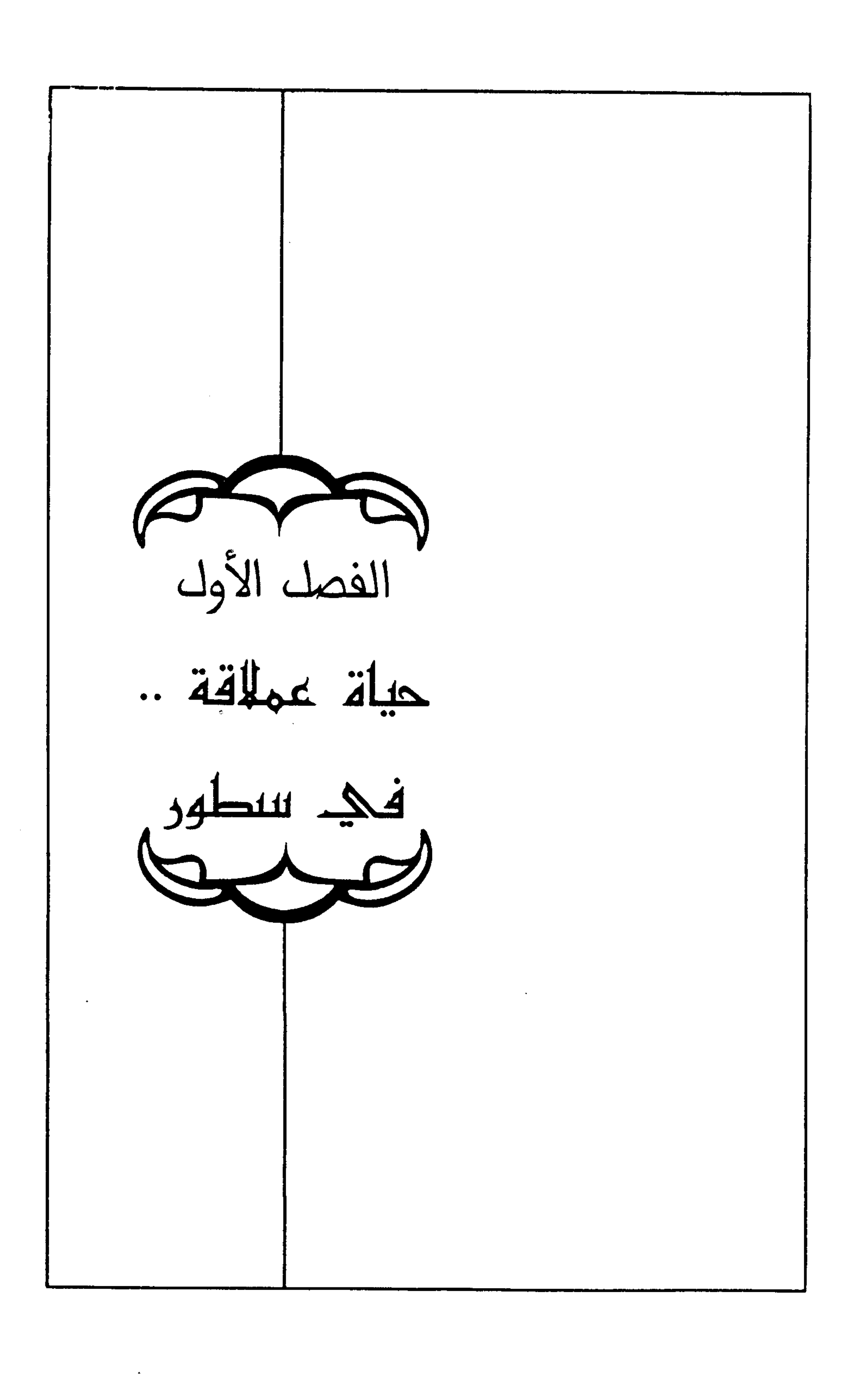
وما ذلك على الله بعزيز، وعليه قصد السبيل.

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين.

ضياء الحسن

الجمعة ١٣ رجب ١٤١١هـ

١ فبراير (شباط) ١٩٩١م



الفصل الأول

حياة عملاقة .. في سطور



المنشأ

ولد آية الله السيد ابو الحسن الموسوي الاصفهاني، المعروف في العراق والخليج والجزيرة اختصاراً بالسيد أبو الحسن في قرية «مديسة» على وزن «رئيسة» وهي تقع في ضواحي مدينة اصفهان في ايران. وكان ذلك سنة ١٢٨٤هـ.

وابوه هو السيد محمد ابن السيد عبدالحميد الموسوي، ولم يكن والده من اهل العلم ولكنه كان من اهل الفضل والتقوى، وأماجده السيد عبدالحميد فهو من مواليد مدينة بهبهان، لذلك فأصل السيد الاصفهاني ينحدر من هذه المدينة، وكان جده من العلماء ومن تلاميذ الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر (م١٢٦٦هـ)، وايضاً تتلمذ على يد الشيخ موسى ابن الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء (قدس سره) وقد كتب تقريرات درسه. وولد السيد محمد (والد السيد ابو الحسن) في كربلاء حين مجيء والده الى العراق لطلب العلم.[1]

ويرجع نسب السيد بـ (٣٢) واسطة الى الإمام موسى بن جعفر الكاظم (عليهما السلام)[2] كما أن جده الثامن السيد جعفر الطيار مدفون في إحدى

---

(١) السيد محسن الامين ــ اعيان الشيعة مج ٢ ص ٣٣٢.

البقاع القريبة من أصفهان وله مزار معروف هناك بإسم (إمام زادة جعفر)[٣]

وقد نشأ السيد (رحمه الله) نشأة دينية. حيث انه كان ينتسب الى عائلة جليلة القدر، مشهورة بتدينها والتزامها، وقد قرأ اولاً في قريته على بعض اهل العلم فيها، وانتهل من بعض العلوم الاولية والتي تؤهله للمعارف الدينية الرئيسية.

هجرته الى اصفهان

وفي اوائل بلوغه، وعندما اصبح عمره يقارب الرابعة عشرة، هاجر الى اصفهان فقرأ على علمائها، وانهى السطوح[٥]، وحضر درس آية الله السيد محمد باقر درجه اي والشيخ محمد الكاشي (الاخوند)، كما وحضر درس خارج كلٍ من العلماء: آية الله جارسوقي، آية الله ميرزا ابو المعالي كلباسي (م١٣١٥هـ)، آية الله سيد محمد باقر درجه اي، الحكيم الكبير جهانكير خان(م١٣٢٨هـ) وآية الله الآخوند الكاشي(م١٣٣٢هـ)، وكان هذا عالماً في علوم عديدة منها علم الحكمة العقلية والرياضيات.[٤]

وقد اقام (ره) في مدة غير قليلة في مدرسة من مدارس محلة «بيد آباد» التابعة للآخوند الكاشاني.[٥]

---

(٢) مجلة نور علم ــ فارسية ــ عدد ٢٨ ربيع الاول ١٤٠٩ هـ ـ ص ٩٥.

(٣) صالح الجعفري ــ الامام السيد ابو الحسن ــ ص ٣٣.

(٥) السطوح هي المرحلة الثانية للدراسة الحوزوية الاسلامية لدى الشيعة بعد المقدمات وقبل بحث الخارج، وهي بمثابة الدراسة الجامعية في حين ان المقدمات تشمل الابتدائية والثانوية و بحث الخارج يشابه الإعداد لرسالة الماجستير أو الدكتوراه في الدراسة الحديثه.

(٤) مجلة نور علم ــ مصدر سابق. ص ٩٥.

(٥) صالح الجعفري ــ مصدر سابق. ص ٣٦.

هجرته الى النجف الاشرف

لم يقنع السيد ابو الحسن (رضوان الله عليه) بهذا المستوى الذي وصل اليه من العلم، فقرر الهجرة الى النجف الاشرف في العراق حيث مركز الزعامة الدينية، ومقر الحوزة العلمية الشيعية، ومحط الراغبين في طلب العلم والحصول على الدرجات العليا في الدراسة الدينية.

فحل فيها عام (١٣٠٨هـ)، وكان عمره حينها يقارب الرابعة والعشرين.

وفي السنة التي وصل فيها كان قد توفي احد العلماء الكبار في النجف وهو الشيخ محمد حسين الكاظمي، وكانت المرجعية العليا حينها لآية الله المجدد الشيرازي (رضوان الله عليه) وهو حينذاك بسامراء حين اسس حوزة علمية كبيرة، وخرّجت فطاحل العلماء والقادة.

وفي النجف الاشرف كان من العلماء البارزين حينها آية الله الميرزا حبيب الله الرشتي[٦] صاحب كتاب بدائع الاصول. فأخذ السيد ابو الحسن عنه الفقه، وحلّ السيد في مدرسة الصدر، وهي اشهر مدرسة دينية في النجف الاشرف.

---

(٦) الشيخ ميرزا حبيب الله الرشتي، توفي في النجف الاشرف ليلة الخميس ١٤ جمادى الآخرة سنة ١٣١٢هـ، وكان قد شارف عمره على الثمانين، ودفن في المشهد الغروي.

وكان استاذاً لعلماء عصره فقيهاً، اصولياً، محققاً، مؤسساً في الاصول، لم يُرَ اشد فكراً منه واحسن تحقيقاً.

قرأ مبادىء العلوم في رشت وبعد إتمامها توجه الى قزوين فقرأ في العلوم الدينية على الشيخ عبد الكريم القزويني. ثم هاجر الى النجف الاشرف بعد وفاة صاحب الجواهر، فأخذ عن الشيخ مرتضى الانصاري فقهاً واصولاً وخلفه بعد وفاته على التدريس. وانتهى امره اليه وعمر مجلس درسه بما يزيد على ثلاثمائة فيهم افاضل العلماء، واكثر العلماء والفقهاء المشهورين بعده في العراق وايران اخذوا عنه واستفادوا منه.

وبعد مرور اربع سنوات على وجوده في النجف، توفي المجدد الشيرازي والميرزا الرشتي في سنة واحدة، فتحولت الرئاسة العلمية لجملة من المجتهدين الكبار منهم: المولى محمد الشربياني، والعلامة الشيخ حسن المامقاني، الشيخ محمد طه نجف، المولى علي النهاوندي، الميرزاحسين خليل الطهراني، السيد محمد كاظم اليزدي، والآخوند الخراساني.

غير ان المرجعية تركزت عند الميرزا حسين ابن الميرزا خليل الطهراني(٧) بالاضافة الى الآيتين الكاظمين اليزدي والخراساني

وفي هذا الزخم من العلماء والمجتهدين اختص السيد ابو الحسن بالشيخ محمد كاظم (الآخوندالخراساني).(٨) فحضر دروسه في الفقه والاصول الى ان توفي

ومع ما كان عليه من المرتبة العلمية، لم يُقَلَّدْ وَلَمْ تُجْبَ اليه الاموال وإنما كان ذلك لمعاصره وشريكه في الدرس عند الشيخ الانصاري وهو الميرزا السيد محمد حسن الشيرازي (المجدد). غير ان الشيرازي كان يصرح باجتهاده و يطالع في مؤلفاته احياناً وكان متورعاً عن الفتوى شديد الاحتياط ولعلّه لشدة احتياطه لم يُقَلَّدْ ولم يرض ان يُقَلِّده احد. وكان دائم العباده مواضباً على السنن كثير الصلاة، كثير الصمت، وكان في الزهد على جانب عظيم.. (راجع اعيان الشيعة مج ٤ ص ٥٥٩ ــ ٥٦٠)

(٧) توفي الميرزا حسين ابن الميرزا خليل الطهراني في مسجد السهلة ليلة الجمعة ١١ أو ١٠ شوال ١٣٢٦ هـ عن عمر يناهز الخامسة والتسعين، وكان عالما فقيها، مدرسا، زاهدا، عابدا، كثير التهجد، يمشي على قدميه لزيارة الحسين (عليه السلام) وقد قلد بعد وفاة المجدد الشيرازي في العراق وايران.

اخذ الفقه عن صاحب الجواهر و يروي عنه الاجازة، وقرأ مدة على الشيخ مرتضى الانصاري، وكان حسن الاخلاق، حلو العشرة مليح النادرة. (راجع اعيان الشيعة مج ٦ ص ١٠)

(٨) الآخوند الشيخ ملا كاظم الخوراساني، ولد في مشهد خورسان وتوفي فجأة فجر الثلاثاء ذي الحجة سنة ١٣٢٩هـ في مشهد أمير المؤمنين (عليه السلام) ودفن فيه، وكان حينها يتهيأ مع جماعة من العلماء للخروج واعلان الجهاد ضد الاحتلال الروسي لايران.

الخراساني سنة ١٣٢٩ هـ. وايضاً كان يحضر درس آية الله السيد محمد كاظم اليزدي صاحب «العروة الوثقى». [٩] المتوفي سنة ١٣٣٧ هـ.

وحضر السيد ابو الحسن الاصفهاني فترة درس الميرزا محمد تقي الشيرازي [١٠] قائد ثورة العشرين الباسلة. كما ودرس ايضاً لفترة على يد آية الله

درس في اصفهان ثم النجف الاشرف، وادرك الشيخ مرتضى الانصاري، و بعد وفاته اختلف الى درس المجدد الشيرازي، ولمّا خرج الشيرازي الى سامراء، بقي في النجف، فاشتغل بالتدريس فيها، واختلف للاستفادة من مجلس درسه اكثر الطلاب ولمّا توفي الميرزا حبيب الله الرشتي سنة ١٣١٢ هـ، اصبح مدرس الامامية، وصارت الرحلة اليه من اقطار الارض وعمر مجلس درسه بمئات من الافاضل والمجتهدين، هو صاحب المؤلف المعروفة «الكفاية في اصول الفقه».

وقد برز بشكل كبير على المسرح السياسي في قضية الثورة الدستورية المعروفة بالمشروطة، وكان زعيماً للقائلين بوجوب الحكومة الدستورية مقابل القائلين بالمستبدة.

(راجع اعيان الشيعة مج ٩ ص ٥ — ٦)

(٩) السيد محمد كاظم اليزدي ولد في سنة ١٢٤٧ هـ وتوفي في يوم الثلاثاء ٢٨ رجب ١٣٣٧ في النجف الاشرف اثر مرض عضال اصابه.

كان فقيهاً اصولياً، محققاً، انتهت اليه الرياسة العلمية بعد وفاة الآخوند الذي كان يوازيه في المكانة العلمية.

درس في النجف على يد الآقا النجفي (سيد محمد حسن) والشيخ محمدحسين الاصفهاني والشيخ محمد علي الاصفهاني، ثم قرأ على يد المجدد الشيرازي قبل ان يهاجر الى سامراء.

وكان لغوياً متقناً فصيحاً قيماً بالعربية والفارسية.

وكان يصلي جماعة في الصحن الشريف و يأتم به الخلق الكثير، ويحضر درسه نحو ٢٠٠ تلميذ وهو صاحب كتاب «العروة الوثقى» الذائع الصيت والذي لازال يعتبر من الكتب المهمة والرئيسية في الحوزات العلمية (راجع اعيان الشيعة مج ١٠ ص ٤٢).

(١٠) الميرزا محمد تقي الشيرازي الحائري، توفي في ٣ من ذي الحجة سنة ١٣٣٨ هـ في كربلاء، وقد كان والده من اهل الورع والدين، حضر اثناء وجوده في شيراز على الاردكاني، ثم قصد سامراء في العراق فحضر على الميرزا السيد حسن الشيرازي (المجدد) وانقطع اليه حتى صار من اكبر تلامذته، و بعد وفاة المجدد الشيرازي بقي في سامراء، ورجع الى تقليده والعمل بفتواه جماعة كثيرة. وفي اثناء الحرب العالمية الاولى وانسحاب العثمانيين من العراق لم يتمكن من البقاء في سامراء، فغادرها الى الكاظمية ثم الى كربلاء وأقام فيها، و بعد وفاة السيد محمد كاظم اليزدي انتقلت الرياسة اليه، و بفتواه الشهيرة اعلن قيام ثورة العشرين المجيدة على الاحتلال

الشيخ ملافتح الله النمازي الاصفهاني الشهير بشيخ الشريعة الاصفهاني [١١] والمتوفي في سنة ١٣٣٩ هـ. [١٢]

وهكذا فقد انتهل آية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني العلم الغزير على يد فطاحل العلماء ومراجع الامة في زمانه، وهذا ما أهّله لان يتصدىٰ بعد وفاة شيخ الشريعة لامور المرجعية، وخاصة وان السيد ابو الحسن كان مورد ثقة واطمئنان اساتذته، فقد قربه الآخوند الخراساني، وكان يستشيره في بعض الموارد، كما ان الميرزا تقي الشيرازي ارجع مقلديه الى آية الله الاصفهاني في الموارد التي

الانكليزي، وكانت له مواقف مشهودة، ومازال على ذلك حتىٰ توفي فجأة (قيل دُسّ اليه السّم من قبل البريطانيين) والثورة قائمة على قدم وساق، فدفن في البقعة المخصصة في الصحن الحسيني.

كتب كثيراً من مباحث الاصول وطبع له حاشية على المكاسب وهو شاعر باللغة الفارسية واكثر شعره في مدائح اهل البيت النبوي ورثائهم.

(اعيان الشيعة مج ٩. ص ١٩٢)

(١١) شيخ الشريعة الاصفهاني، ولد في ١٢ ربيع الاول ١٢٦٦ هـ. وتوفي في ليلة الثامن من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٩ هـ اثر مرض مزمن في صدره كان قد اصابه في سفره الى الجهاد والدفاع حين هجم الانكليز على العراق اثناء الحرب العالمية الاولىٰ.

درس في اصفهان ثم في النجف على يد كبار العلماء من امثال الحاج ميرزا حبيب الله الرشتي والشيخ محمد حسين الكاظمي. وقد شارك بصورة كبيرة في ثورة العشرين. وعندما توفي الميرزا محمد تقي الشيرازي قاد الثورة، واصبح مرجعاً اعلىٰ للشيعة حتىٰ وفاته.

وكان يمتاز بمشاركته بفنون الفلسفة القديمة والحكمة الالهية فضلاً عن العلوم الاسلامية. في الكلام والحديث والرجال وخلافيات الفرق وما لها وما عليها من الحجج والادلة.

(راجع اعيان الشيعة مج ٨ ص ٣٩١ — ٣٩٢)

(١٢) اعتمدنا في تحديد اساتذة السيد ابو الحسن الاصفهاني (رحمة الله عليه) على تحقيق لحجة الاسلام والمسلمين السيد ناصر حسيني ميبدي ترجم فيه لحياة السيد ابو الحسن كتقديم لكتاب «مستند تحرير الوسيلة للإمام الخميني (قدس سره الشريف)» المجلد الرابع ص ١٨ — ١٩.

يحتاط فيها(١) فكانت هذه مقدمات لتهافت الامة عليه، ورجوع غالبية الشيعة في العالم الاسلامي الى تقليده. فاصبح المرجع الاعلىٰ مع عدم خلو الساحة العلمية والدينية من فطاحل العلماء الاعلام.

معاصرو السيد ابو الحسن

ولكي تتكامل صورة النبوغ عند آية الله الاصفهاني، فإننا نشير هنا الى المجتهدين الذين عاصروا السيد، وكيف انه برز من بين هذه الكوكبة من العظماء، وقد كان لكل واحدٍ منهم منزلةٌ وادوارٌ عظيمةٌ تحتاج الى كتب منفردة لترجمة حياتهم والوقوف عند شخصياتهم.

ومن هؤلاء الذين عاصروا السيد ابو الحسن (رضوان الله عليه) في النجف الاشرف[١٣]:

١ / المرحوم آية الله العظمىٰ الحاج ميرزا حسين ابن عبدالرحيم النائيني المتوفي في عام ١٣٥٥هـ.[١٤]

---

(١٣) راجع مقدمة كتاب: «مستند تحرير الوسيلة حضرة آية الله العظمىٰ الامام الخميني» مج ٤ بقلم السيد ناصر حسيني ميبدي ــ مرجع فارسي ــ ص ١٩.

(١٤) ولد الميرزا النائيني في حدود ١٢٧٣هـ في بلدة نائين بإيران، وتوفي في النجف الاشرف بتاريخ ٢٦ جمادي الاول سنة ١٣٥٥هـ. عن نحو ٨٢ سنة.

وكان عالماً جليلاً فقيهاً، اصولياً، حكيماً، عارفاً، أديباً، متقناً للادب الفارسي، عابداً، مدرساً مقلداً في الاقطار.

درس في نائين ثم اصفهان التي هاجرها الى سامراء سنة ١٣٠٣ وقرأ فيها على المجدد الشيرازي الى سنة وفاته عام ١٣١٢هـ. وبعدها درس على يد الميرزا تقي الشيرازي والسيد مهدي الاصفهاني والميرزا حسين النوري.

ثم هاجر الى كربلاء وبعدها الى النجف في عام ١٣١٤هـ، وكانت له مواقف مشهودة في الثورة

٢ / المرحوم آية الله الحاج الشيخ شعبان ابن مهدي بن عبد الوهاب كيلاني المتوفي في عام ١٣٤٨هـ، وهو من اجلاء وكبار تلامذة المراجع الاعلام : ميرزا حبيب الله الرشتي، العلامة المازندراني، العلامة المامقاني والفاضل الشربياني (قدس الله اسرارهم) .

٣ / آية الله العظمى الحاج الشيخ عبدالله ابن العلامة الحاج الشيخ محمد حسن المامقاني صاحب تنقية المقال، وقد توفي في سنة ١٣٥١هـ . وهومن اجلاّء وكبار تلامذة الآيات العظام : الحاج الشيخ محمد حسن المامقاني والآخوند الملا كاظم الخراساني (رضوان الله عليه) .

٤ / آية الله العظمى الحاج الشيخ ضياء الدين العراقي بن علي بن الآخوند ملا محمد العراقي، المتوفي في عام ١٣٦١هـ .(١٥)

الدستورية المعروفة بالمشروطة، وألف حينها كتاباً بالفارسية باسم : «تنبيه الامة وتنزيه الملّة في لزوم مشروطية دستورية الامة»، وقد طبع وعليه تقريظ للشيخ ملا كاظم الخراساني والشيخ عبد الله المازندراني. وبعد وفاة شيخ الشريعة الاصفهاني اصبح مع السيد ابو الحسن الاصفهاني من مراجعي التقليد الكبار، وعندما توفي (رحمه الله) انحصرت الرياسة بالسيد ابو الحسن.

ومن تلامذته السيد أبو القاسم الخوئي، الشيخ محمد علي الكاظمي الخراساني صاحب فصول الاصول والشيخ موسى الخوانساري النجفي صاحب منية الطالب في شرح المكاسب.

(اعيان الشيعة مج ٦ ص ٥٤)

(١٥) توفي الشيخ ضياء الدين العراقي في ذي الحجة سنة ١٣٦١هـ عن عمر تجاوز الثمانين. وكان يعتبر من بقية علماء السلف المعروفين بغزارة العلم وسعة العقلية، كما يعتبر المعلم الاول بحق للعلوم الدينية ولاسيما الاصول، فقد رقى منبر التدريس خمسين سنة متواصلة لم ينقطع فيها عن التدريس إلّا حين اضطرته صحّته الى ذلك في آواخر ايامه. وقد روى الكثيرون شيئاً كثيراً عن ملكات اساتذة العلم من العلماء في السابق ولكن لم يرو للآن احد مثلاً يجاري به مواهب الفقيد العظيم واتساع معارفه وكبر عقليته العلمية الامر الذي جعل منه استاذاً كبيراً لطائفة كبيرة من العلماء المجتهدين، ولقد كان رأيه الى حين مماته حجة في المشاكل العلمية،

٥ / آية الله العظمىٰ الحاج الشيخ محمد حسين ابن الحاج الشيخ محمد حسن (معين التجار) الاصفهاني الشهير بـ «كمباني» والمتوفي سنة ١٣٦١ هـ، وهو من اجلاء وكبار تلامذة آية الله الحاج آقا رضا الهمداني، والآخوند الخراساني والعلامة اليزدي (رحمهم الله).

٦ / آية الله العظمىٰ الحاج الشيخ موسى الخوانساري المتوفي سنة ١٣٦٣ هـ، وهو من اجلاء وكبار تلامذة الآيات العظام: الآخوند الخراساني، العلامة اليزدي، وشيخ الشريعة الاصفهاني (رحمهم الله).

٧ / آية الله العظمىٰ الحاج الشيخ كاظم الشيرازي السامرائي، المتوفي في عام ١٣٦٧ هـ. وهو من اجلاء تلامذة المجدد الشيرازي، والحاج ميرزا حسين علي الطهراني (رحمهم الله).

٨ / آية الله العظمىٰ الحاج الشيخ محمد حسين المتوفي عام ١٣٨٢ هـ، ابن العلامة الحاج الشيخ على كاشف الغطاء، وهو من كبار تلامذة الآيات العظام: الآخوند الخراساني والعلامة اليزدي وشيخ الشريعة (رحمهم الله).

٩ / آية الله العظمىٰ الحاج السيد حسين القمي المتوفي عام ١٣٦٦ هـ.(١٦)

ومجلس بحثه يعد بحق صورة صادقه للحرية الفكرية، فهو مجلس الدرس الذي يقبل كل مناقشة وإن تكن غاية في التطرف.

وكان قد تتلمذ على يد آية الله العظمىٰ الحاج آقا رضا الهمداني والآخوند الخراساني والعلامة اليزدي وشيخ الشريعة الاصفهاني (رحمهم الله) (راجع اعيان الشيعة مج ٨ ص ٣٩٢ ــ ٣٩٣).

(١٦) ولد السيد حسين ابن السيد محمود القمي في مدينة قم سنة ١٢٨٢هـ، وتوفي في ربيع الاول سنة ١٣٦٦ في بغداد عن ٨٤ سنة ونقل الى النجف.

وكان عالماً، فاضلاً، فقيهاً، اصولياً، متكلماً، حكيماً، مدرساً، مقلداً، تقياً، مقبولاً عند العامة والخاصة.

١٠ / آية الله العظمى الحاج السيد عبد الهادي الشيرازي المتوفي عام ١٣٨١ هـ. (١٧)

١١ / آية الله العظمى الحاج الشيخ عبدالكريم بن محمد رضا الزنجاني المتوفي عام ١٣٨٩ هـ، وهو من اجلاء تلامذة العلامة اليزدي والآخوند الخراساني والسيد محمد فيروز آبادي (رحمهم الله).

١٢ / آية الله العظمى محمد جواد المتوفي سنة ١٣٥٢ هـ، ابن حجة الاسلام الحاج الشيخ حسن بن الشيخ طالب البلاغي، وهو من اجلاء تلامذة الآخوند الخراساني والشيخ محمد طه نجف (رحمهم الله)، وله ثلاثة مؤلفات شهيرة

وقد تنقل مدة دراسته العلمية الدينية بين قم وسامراء والنجف الاشرف وطهران ومشهد، وقرأ على يد المجدد الشيرازي والشيخ فضل الله النوري، والمحدث النوري والعلامة الكشميري، والميرزا حسن الآشتياني، والميرزا تقي الشيرازي والكاظمين اليزدي والخراساني وغيرهم.

وقد كانت له مواقف مشهودة في مقارعة الحكم الشاهنشاهي الجائر، وأُبعدنتيجة لذلك الى العراق، فسكن كربلاء، وقد زادت وجاهته بعد وفاة السيد ابو الحسن الاصفهاني ومال الناس في ايران وغيرها الى تقليده، وطبعت من رسالته ألاف النسخ، ولكن لم تطل المدة فتوفي بعد سنة من وفاة السيد ابو الحسن.

(راجع اعيان الشيعة مج ٦ ص ١٦٨ ــ ١٦٩)

(١٧) ولد السيد عبد الهادي ابن السيد اسماعيل الشيرازي في سامراء عام وفاة والده سنة ١٣٠٥ هـ، وتوفي في ٩صفرسنة ١٣٨٢ هـ في النجف ودفن في مقبرة ابن عم ابيه السيد محمد حسن الشيرازي (المجدد).

تلقى دراسته الاولى في سامراء ثم انتقل الى كربلاء فالنجف، واتم السطوح على جماعة من الاعلام، ثم حضر دروس الشيخ محمد تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الاصفهاني والسيد علي الشيرازي، وظل في النجف حتى غدا في الطليعة من اعلامها.

و بعد وفاة السيد ابو الحسن الاصفهاني كان في عداد المراجع الذين انتهت اليهم امور التقليد بعده (وكان هو من المقربين للسيد ابو الحسن ودرس عنده فترة)، ثم بعد وفاة السيد حسين البروجردي رجع اليه الجم الغفير من مقلديه. وله مؤلفات عديده، كما ان له شعراً باللغتين العربية والفارسية.

(راجع اعيان الشيعة مج ٨ ص ١٢٩)

وهي «انوار الهدىٰ» للرد على الماديين، و«نصائح الهدىٰ» للرد على الوهابيين، و«الهدىٰ الى دين المصطفىٰ» للرد على النصارىٰ.

١٣ / آية الله العظمىٰ الحاج السيد علي آقا قاضي طباطبائي المتوفي عام ١٣٦٦هـ، وهو من كبار تلامذة العالم الفقيه الميرزا موسى التبريزي صاحب كتاب «اوثق الوسائل» والعلامة السيد محمد علي القراجة داغي صاحب حاشية على اللمعة، والمولىٰ محمد الفاضل الشربياني، والشيخ العلامة محمد حسن المامقاني وشيخ الشريعة الاصفهاني والميرزا حسين ميرزا خليل الطهراني (رحمهم الله).

١٤/ آية الله العظمىٰ الحاج السيد محمد علي بن محمد حسين الشهرستاني المتوفي في عام ١٣٨٦هـ. وهو من اجلاء وكبار تلامذة الآيات العظام: الآخوند الخراساني، العلامة اليزدي، شيخ الشريعة (رحمهم الله).

١٥ / آية الله العظمىٰ آقا سيد محمد حسن الشهير بـ آقا نجفي قوجاني المتوفي في عام ١٣٦٣هـ، وهو من اجلاء تلامذة الآخوند الخراساني.

١٦ / آية الله العظمىٰ آقا جمال الدين الگلبايگاني المتوفي سنة ١٣٧٧هـ، وهو من اجلاء تلامذة الآيات العظام: الحاج آقا رضا الهمداني، الآخوند الخراساني، العلامة اليزدي، السيد احمد الكربلائي (رحمهم الله).

و بالاضافة الى هؤلاء الاعلام، هناك آخرون ممن عاصروا السيد أبوالحسن الاصفهاني في الحوزة العلمية بقم ومنهم [18]:

١ / آية الله العظمىٰ الحاج الشيخ عبدالكريم الحائري اليزدي مؤسس الحوزة العلمية في قم، والمتوفي في عام ١٣٥٥هـ. [19]

---

(١٨) مقدمة: السيد ناصر ميبدي ــ مصدر سابق ص ٢١.

(١٩) ولد الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي في قرية بالقرب من يزد في حدود سنة ١٢٧٦هـ، وتوفي في مدينة

٢ / آية الله العظمىٰ الحاج السيد حسين الطباطبائي البروجردي المتوفي سنة ١٣٨٠ هـ.[٢٠]

٣ / آية الله العظمىٰ الحاج الشيخ محمد أرباب المتوفي سنة ١٣٤١ هـ، وهو من أجلاء وكبار تلامذة الآيات العظام : المجدد الشيرازي ، الآخوند الخراساني ، الميرزا حبيب الله الرشتي (رحمهم الله).

قم المقدسة سنة ١٣٥٥ هـ.

بدأ تحصيله في يزد ، ثم انتقل الىٰ سامراء ودرس على يد العلامة الميرزا ابراهيم الشيرواني والشيخ فضل الله النوري ، وحضر بحث خارج العلامة السيد محمد الفشاركي الاصفهاني. ثم هاجر الى النجف الاشرف ودرس على يد صاحب الكفاية الآخوند الخراساني ، ثم انتقل الى كربلاء و بدأ يُلقي الدروس في الصحن الحسيني، وأخيراً قرر الهجرة الىٰ ايران، فذهب الى مشهد ثم قرر الذهاب الى قم ، وهناك استقر واسس حوزة علمية كبيرة ، ورجع اليه العامة والخاصة في ايران بعد وفاة الميرزا تقي الشيرازي وشيخ الشريعة الاصفهاني.

وله من المصنفات : درر الفرائد في الاصول (مجلدين) وكتاب الصلاة وله تقرير عن استاذه السيد محمد الاصفهاني.

(اعيان الشيعة مج ٨ ص ٤٢).

(٢٠) ولد السيد حسين االبروجردي ، في مدينة بروجرد بايران اواخر صفر سنة ١٢٩٢هـ ، وتوفي في مدينة (قم) صباح الخميس ١٣ شوال ١٣٨٠هـ ودفن فيها.

درس في بروجرد، ثم في اصفهان، وفي عام ١٣١٩ هـ هاجر الى النجف الاشرف فانتسب فيها الى حلقة الآخوند الخراساني مدة عشر سنوات ، ومتردداً ايضاً على درس شيخ الشريعة الاصفهاني، واصبح نتيجة انكبابه على طلب العلم وتحقيقه . وعمقه في المسائل الفقهية والاصولية من أبرز تلامذة هذين الاستاذين ومن المقربين اليهما . وخاصة الآخوند الخراساني ونال (رحمه الله) من استاذيه اجازة الاجتهاد . وقد اشترك أيضاً في درس السيد محمد كاظم اليزدي أيام إقامته في النجف الاشرف .

وفي عام ١٣٢٨هـ ، عاد الى بروجرد و بقي فيها (٣٣) سنة ادار فيها الكثير من المشاريع الاسلامية والدينية.

وفي عام ١٣٦٤هـ حل المترجم له واسرته و بعض تلامذته واخصائه في مدينة قم المقدسة، و بعد وفاة السيد ابو الحسن عام ١٣٦٥هـ والسيد حسين القمي عام ١٣٦٦هـ ، انحصرت الزعامة الدينية فيه واصبحت مدينة قم العاصمة الدينيه الاولى للشيعة في العالم.

٤ / آية الله العظمى الحاج الشيخ محمد كبير القمي المتوفي سنة ١٣٦٩ هـ، وهومن اجلاء تلامذة الآيات العظام: الحاج الشيخ فضل الله النوري، الحاج الشيخ شعبان گيلاني، الآخوند الخراساني، الحاج ميرزا حسين الطهراني والعلامة اليزدي (رحمهم الله).

٥ / آية الله العظمىٰ الحاج الشيخ محمد علي الشاه آبادي المتوفي سنة ١٣٦٩ هـ، وهو من اجلاء وكبار تلامذة الآيات العظام: الميرزا هاشم جهار سوقي، الآخوند الخراساني، الحاج ميرزا حسين الطهراني و الميرزا تقي الشيرازي (رحمهم الله).

٦ / آية الله العظمىٰ الحاج ميرزا محمد فيض القمي المتوفي سنة ١٣٧٠ هـ، وهو من اجلاء تلامذة الآيات العظام: الآخوند الخراساني، العلامة اليزدي والميرزا محمد تقي الشيرازي (رحمهم الله).

وكذلك ممن عاصر السيد أبو الحسن الاصفهاني، في مناطق اخرى كسوريا وجبل عامل وطهران واصفهان وزنجان و باختران التالية اسماؤهم[٢١]:

١ / آية الله العظمىٰ العلامة السيد شرف الدين الموسوي العاملي المتوفى سنة ١٣٧٦ هـ، وهو من كبار تلامذة الآيات العظام: الآخوند الخراساني، العلامة اليزدي، شيخ الشريعة والشيخ محمد طه نجف (رحمهم الله).

كان رحمه الله ذا شخصية جذابة، موفورة الوقار، لا تأخذه في الله لومة لائم، زاهد في الحياة، باذلاً، سخياً، ورعاً، متهجداً ليلاً، متواضعاً، غيوراً على مصالح الاسلام والمسلمين، وكان لا يستعمل إلّا الاقمشة الوطنية في مجلسه، ويحضر دروسه في كل يوم أكثر من الف طالب يكتبون تقريراته و يستمعون الى محاضراته العلمية العليا.

(اعيان الشيعة مج ٦ ص ٩٢ ــ ٩٤)

(٢١) مقدمة السيد ناصر ميبدي ــ مصدر سابق ــ ص ٢٢.

٢ / آية الله العظمى المجتهد الأكبر الحاج السيد محسن بن عبد الكريم المعروف بـ «الامين العاملي» المتوفى سنة ١٣٧١ هـ.[٢٢]

٣ / آية الله العظمى الحاج السيد ابو القاسم بن الشهيد آية الله العظمى الحاج السيد مصطفى الكاشاني، وقد توفي في سنة ١٣٨٠ هـ، وهو من أكابر تلامذة الآيات العظام: الآخوند الخراساني، الحاج ميرزا حسين خليل الطهراني والحاج الشيخ محمد تقي الشيرازي (رحمهم الله) وكانت له مواقف مشهودة وادوار عظيمة في ثورة العشرين في العراق وحركة تأميم النفط في ايران.

٤ / آية الله العظمى الحاج السيد حسن المدرس، الذي استشهد في سنة ١٣٥٦ هـ[٢٣]

٥ / آية الله العظمى الحاج الشيخ حسين دين محمدي الزنجاني المتوفي سنة ١٣٧٦ هـ، وهو من تلامذة الآيات العظام، الآخوند الخراساني، العلامة اليزدي، شيخ الشريعة (رحمهم الله).

٦ / المرحوم العلامة الحاج حيدر قلي خان بن نور محمد خان الافغاني الكابلي المعروف بـ «سروار كابلي» وهو من علماء باختران، ومن تلامذة السيد حسن الصدر، الميرزا محمد علي الرشتي النجفي والحاج الشيخ عباس القمي والحاج السيد يحيى الخراساني، والمجتهد الاكبر السيد محسن الامين (رحمهم الله).

---

(٢٢) ولد السيد محسن الامين في جبل عامل سنة ١٢٨٤ هـ، وقد درس بعضاً من السطوح في مسقط رأسه، ثم هاجر الى النجف الاشرف في عام ١٣٠٨ هـ، ودرس على يد كبار المجتهدين هناك، وكان زميلاً للسيد ابو الحسن الاصفهاني في درس الاصول عند الملا كاظم الخراساني.

وبعدها عاد الى سوريا فاستقر في دمشق سنة ١٣١٩ هـ، وعمل في التدريس والوعظ ثم الافتاء.

وكان رحمه الله مكثراً من التأليف، يجمع ما تفرق من آثار الامامية وسيرهم، ومن مؤلفاته الخالدة، كتاب «اعيان الشيعة» ووضعه في (٥٢) جزءً.

(٢٣) السيد حسن المدرس ولد في حوالي ١٢٨٧ هـ في قرية (سراي كجو) من توابع اردستان، وتوفي شهيداً في

أعلمية السيد أبو الحسن

ومع وجود هؤلاء الاعلام في المراكز العلمية والدينية فقد برز السيد ابو الحسن رحمه الله وفاق جميع اقرانه، وقد استطاع بحسن ادارته، وقدرته الفائقة مخاطبة الناس، وقيادة الامة عبر انتشار مرجعيته في الآفاق، فاصبح المرجع الاعلى للشيعة، مع وجود علماء اعلام آخرين كانوا يُقلدون ايضا بصورة واسعة النطاق وخاصة الميرزا حسين النائيني، ولكن ليس بمستوى السيد أبو الحسن كما يشهد بذلك المؤرخون والمعاصرون.

وايضا كانت للسيد رحمه الله منزلة علمية لعلّها تفوق أقرانه، وقد اتفق الكثير من العلماء على اعلمية السيد، الى درجة أن بعضهم كانوا يرجحون درسه في الفقه على درس الميرزا النائيني والشيخ ضياء الدين العراقي.(٢٤)

---

٢٨ رمضان ١٣٥٠ تقريباً في كاشمر من بلاد خراسان ودفن هناك.

كان عالماً، فاضلاً، جريئاً، مقداماً، وقد شارك في المجلس النيابي الايراني الذي جاء ثمرة لتحرك العلماء الاعلام في قضية الثورة الدستورية (المشروطة)، وكان اجرأ أعضاء المجلس، واشدهم شكيمة، فكان يدخل المجلس النيابي ويجادل و يناضل عن حقوق الامة وعن الشرع الشريف فأدى ذلك الى أن أرسل اليه من يغتاله في طهران فسلم ثم قبض عليه ونفي وكان آخر العهد به.

درس رحمه الله في اصفهان ١٣ سنة على يد اكثر من ثلاثين مدرساً في مختلف العلوم و بعد قضية (الدخان) — ثورة التنباك — انتقل الى النجف الاشرف، ومكث فيها سبع سنوات درس على يد مجموعة من كبار العلماء ابرزهم الآخوند واليزدي (رحمهم الله). ثم رجع الى اصفهان وواصل دراسته العلمية، وفي احداث المشروطة انتخبه العلماء في النجف الاشرف ليمثلهم في المجلس النيابي الايراني بطهران، واصبح نائباً في المجلس لعدة دورات حتى اغتياله (رضوان الله عليه) وقد جرت محاولتان لاغتياله غير الاخيرة، الّا انهما فشلتا، وفي الثانية اصيب باربع رصاصات احداهما قرب قلبه، ولكنه نجى منها. وقد كانت عملية قتله غيلة، و بصورة سرية، وقد اشترك فيها مجموعة من مسؤولي الدولة.

(راجع اعيان الشيعة مج ٥ ص ٢١ — ٢٢)

(٢٤) مجلة نور علم. مصدر سابق — ص ٩٦.

وكما يقول المرحوم الشيخ محمد رضا جرقوئي : « كل علماء النجف وقم واصفهان الذي ادركتهم افقههم جميعاً السيد الاصفهاني، وهو متحكم عليهم جميعاً في فروع الفقه »[٢٥]

وقد يعارض البعض هذا التقييم و يشير الى تفضيل الميرزا النائيني في التدريس وفي عمقه العلمي والى ذلك يشير السيد محسن الامين فيقول عن الميرزا النائيني : «وكان هو أعرف عند اكثر الخاصة والسيد الاصفهاني عند العامة وكثير من الخاصة»[٢٦] ، ومع ذلك فإن السيد امتلك صفات اخرى اهلته لقيادة الامة و بالخصوص «مقدرته الادارية الفائقة» والتي سنتحدث عنها في فصل قادم إن شاء الله تعالىٰ.

طلبة السيد أبو الحسن

وهكذا فقد تخرج على يد هذا السيد العظيم العديد من العلماء الاجلاء ومن هؤلاء التالية أسماؤهم[٢٧] :

١/ المرحوم آية الله العظمى الحاج السيد محمود الشاهرودي رحمه الله.

٢/ المرحوم آية الله العظمىٰ الحاج الشيخ محمد تقي الآملي رحمه الله صاحب كتاب «منتهىٰ الاصول» في غوامض كفاية الاصول وقد توفي سنة ١٣٩١هـ.

٣/ المرحوم آية الله العظمىٰ الحاج السيد عبدالله الشيرازي صاحب «عمدة الوسائل» والمتوفىٰ في سنة ١٤٠٥هـ.

٤/ شيخ الحكماء والمجتهدين الحاج ميرزا مهدي الآشتياني صاحب

---

(٢٥) نفس المصدر. ص ٦٦.

(٢٦) اعيان الشيعة ــ مج ٦ ص ٥٤.

(٢٧) مقدمة السيد ناصر ميبدي ــ مصدر سابق ص ٢٢.

«تعليقة رشيقة على شرح منظومة السبزواري» وقد توفي رحمه الله سنة ١٣٧٢ هـ.

٥/ العلامة الحاج السيد محمد حسين الطباطبائي صاحب الميزان في تفسير القرآن. والمتوفى رحمه الله في سنة ١٤٠٢ هـ.

٦/ المرحوم آية الله العظمى الحاج السيد مرتضى اللنكرودي المتوفى سنة ١٣٨٣ هـ.

٧/ المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد الكوهستاني المتوفى سنة ١٣٩١ هـ.

٨/ المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد على الحائري الكرماني.

٩/ المرحوم آية الله الحاج السيد محمود الروحاني.

١٠/ المرحوم آية الله المجاهد الحاج الشيخ محمد الغروي الكاشاني.

١١/ المرحوم آية الله العظمى الحاج الميرزا الآقا الاصطهباناتي المتوفى سنة ١٣٧٨ هـ.

١٢/ المرحوم آية الله الشهيد الحاج السيد ابو الحسن الشمس آبادي، المستشهد سنة ١٣٩٦ هـ.

١٣/ المرحوم آية الله الحاج السيد يحيى السجادي الشهير بصدر العلماء المتوفي سنة ١٣٧٠ هـ.

١٤/ المرحوم آية الله الحاج السيد علي البهبهاني. صاحب حاشية على كتاب «وسيلة النجاة» للسيد ابو الحسن الاصفهاني.

١٥/ آية الله العظمى الحاج الشيخ هاشم الآملي.

١٦/ المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد رضا الطبسي. المتوفى سنة ١٤٠٤ هـ.

١٧/ المرحوم آية الله الحاج محمد تقي الغضنفري الخوانساري المتوفى سنة ١٣٩١ هـ.

١٨/ المرحوم آية الله الحاج السيد على اصغر المدرسي اليزدي المتوفى سنة ١٣٨٣ هـ.

١٩/ المرحوم آية الله العظمىٰ الحاج السيد حسن البجنوردي المتوفىٰ سنة ١٣٩٥هـ.

٢٠/ المرحوم الحاج الميرزا حسن الشهير بـ «الفقية السبزواري» والمتوفىٰ سنة ١٣٨٦هـ.

٢١/ المرحوم آية الله الحاج السيد مهدي الخوانساري المتوفىٰ سنة ١٣٩١هـ. صاحب كتاب «احسن الوديعة».

٢٢/ المرحوم آية الله الحاج السيد محمد ميبدي المتوفىٰ سنة ١٤٠٢هـ.

٢٣/ المرحوم آية الله الحاج الشيخ حسن علامي المتوفىٰ سنة ١٣٩٤هـ.

٢٤/ المرحوم آية الله الحاج الشيخ ابو تراب الهي آل آقا المتوفي سنة ١٣٩٦هـ.

٢٥/ المرحوم آية الله الحاج السيد محمد جواد نجومي المتوفىٰ سنة ١٣٨٧هـ.

وأضاف بعض الباحثين أيضاً اسماء اخرى لطلبة السيد منهم[٢٨] :

٢٦ / المرحوم آية الله العظمى السيد محسن الحكيم (طاب ثراه) المتوفي سنة ١٣٩٥ هـ .

٢٧ / المرحوم آية الله الشيخ عبد النبي الاراكي المتوفي سنة ١٣٨٥هـ.

٢٨ / المرحوم آية الله الشيخ محمد تقي البروجردي.

٢٩ / المرحوم آية الله الشيخ محمد حسين خياباني ، مؤلف «نخبة الازهار في احكام الخيار» المتوفي سنة ١٣٩٢هـ .

٣٠ / المرحوم آية الله الشيخ مهدي معز الدولة .

٣١ / المرحوم آية الله مير سيد علي يثربي كاشاني المتوفي سنة ١٣٧٩ هـ .

---

(٢٨) مجلة نور علم ــ مصدر سابق ص ١١١ ــ ١١٢.

٣٢ / المرحوم آية الله الحاج حسين خادمي مؤلف « رهبر سعادت » والمتوفي سنة ١٤٠٥ هـ .

٣٣ / المرحوم آية الله عباس علي الشاهرودي المتوفي سنة ١٣٨٣ هـ .

٣٤ / المرحوم آية الله السيد محمد هادي الميلاني المتوفي سنة ١٣٩٥ هـ .

٣٥ / المرحوم آية الله الحاج الشيخ آقا بزرك اشرفي مؤلف « الروائح الفقهية » والمتوفي سنة ١٣٩٥ هـ .

٣٦ / المرحوم الحاج الميرزا محمد باقر الآشتياني المتوفي سنة ١٤٠٤هـ.

٣٧ / المرحوم آية الله السيد محسن جلالي المتوفي سنة ١٣٩٦ هـ .

٣٨/ المرحوم آية الله الحاج ميرزا مصطفىٰ صادقي قمي .

٣٩/ المرحوم آية الله الحاج الشيخ مهدي حرمي قمي .

٤٠/ المرحوم آية الله الحاج سيد جعفر الشاهرودي .

٤١/ آية الله السيد هادي خسروشاهي .

٤٢/ آية الله الشيخ محمد تقي غروي بهجت .

٤٣/ المرحوم آية الله الحاج ميرزا فتاح شهيدي .

٤٤/ آية الله الحاج سيد مصطفىٰ مهدوي اصفهاني .

٤٥/ آية الله الحاج سيد محمد باقر طباطبائي سلطاني .

وقد كتب بعض تلامذة السيد أبو الحسن تقريراته في بحثي الاصول والفقه ومن هؤلاء :

١/ آية الله الشيخ محمد تقي الآملي رحمه الله ، كتب تقريرات درس الاصول على شكل حاشية لكتاب الكفاية .

٢/ المرحوم آية الله الحاج الشيخ محمد رضا الطبسي .

٣/ المرحوم آية الله السيد محسن جلالي ، مقرر درس الفقه .[٢٩]

---

(٢٩) مجلة نور علم ـ مصدر سابق ـ ص ٨١٠.

مؤلفات السيد أبو الحسن

لـم يخـض الـسيـد ابـو الحسن رحمه الله كثيراً في التأليف، بسبب انشغاله بـأمـور المـرجعية، وما كتبه كان مقتصراً على مجالات الفقه والاصول، وفق الحاجة اليه، وله من المؤلفات مايلي:

١ - كتاب «وسيلة النجاة» وهو الرسالية العملية لمقلديه.

٢ - حاشية على العروة الوثقىٰ للسيد اليزدي رحمه الله.

٣ - شرح كفاية الاصول للآخوند الخراساني رحمه الله.

٤ - أنيس المقلدين.

٥ - حاشية على تبصرة العلامة.

٦ - حاشية على «نجاة العباد» للمرحوم صاحب الجواهر.

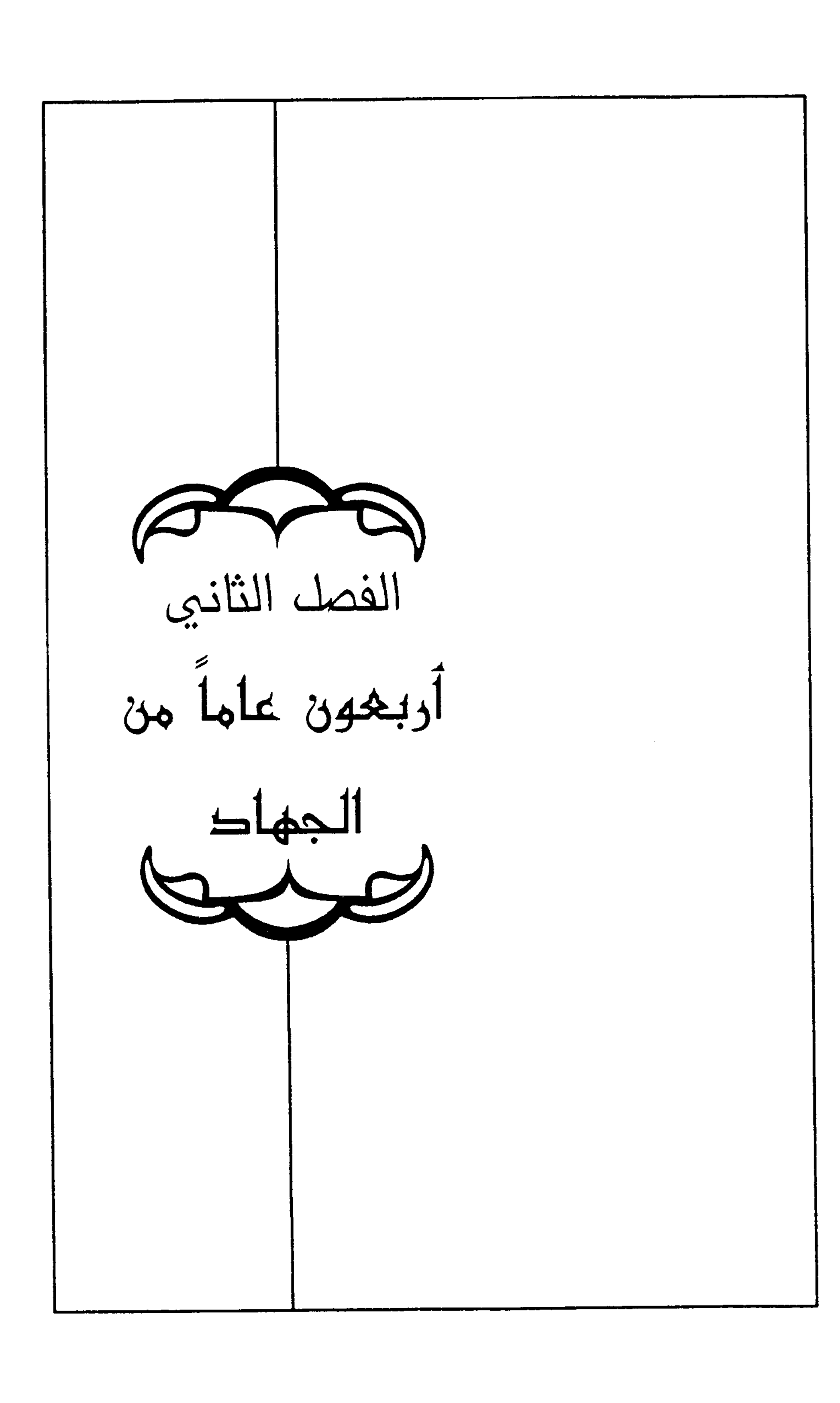
٧ - ذخيرة الصالحين، وهي رسالة عملية بالفارسية.

٨ - وسيلة النجاة الصغرىٰ، مختصر لوسيلة النجاة.

٩ - منتخب المسائل.

١٠ - مناسك الحج.[٣٠]

(٣٠) راجع: مجلة نور علم ــ مصدر سابق ــ ص ١٠٩ ــ ١١٠.
وايضاً: مقدمة السيد ناصر ميبدي ــ مصدر سابق ــ ص ٢٤.



الفصل الثاني

أربعون عاماً من الجهاد



مقدمة

عـنـدمـا وصـل آيـة الله الـسيد ابو الحسن الاصفهاني رحمه الله الى النجف الاشرف لإتمام دراسته العلمية عام (١٣٠٨هـ)، كان المرجع الاعلى في ذلك الوقت هـو المجـدد الشيرازي الكبير، وكان يقود المرجعية من مدينة سامراء، و بعد عامين فـقط من حلول السيد أبو الحسن في النجف توفي المرجع الاعلى كما توفي ايضاً عالمٌ آخرٌ كـان يـنـافـس الميـرزا الـشيرازي في المرجعية وهو الميرزا حبيب الله الرشتي، وهكذا تحولت الرئاسة العلمية الى جملة من المجتهدين الكبار والعلماء الاعلام منهم الـعلامـة المولى محـمد الشربياني، العلامة الشيخ حسن المامقاني، العلامة الشيخ محـمـد طه نجف، العلامة المولى علي النهاوندي، العلامة الميرزا حسين ميرزا خليل الـطـهـراني، الـشيـخ عبدالله المازندراني، بالاضافة الى آية الله السيد محمد كاظم اليـزدي وآيـة الله المولى محمد كاظم الخراساني المعروف بـ(الآخوند). وقد تحولت المـرجـعـيـة العليا الى الميرزا حسين خليل الذي وافقه المنية بعد فترة وجيزة، وهكذا اصبـح الآيتان الكاظمان هما الاقرب لتولي الزعامة الدينية، والتي إستقرّت نهائياً عند السيد كاظم اليزدي رحمه الله مع ان الآخوند الخراساني ايضاً كان يشكل ثقلاً كـبـيـراً في الـقـيـادة والـتصدي لشؤون المسلمين، وهو ما برز بشكل واضح في ثورة «المشروطة» فيما بعد.

في هذا الزخم من المجتهدين الكبار، مال السيد ابو الحسن صوب الآخوند الخراسـانـي وأخذ بالتتلمذ على يديه، وقد انتهل على يديه الكثير من العلوم، ولكن الابـرز مـن كـل ذلـك كـان روح الـتحرك والثورة والجهاد التي ورثها الاستاذ عن استاذه المجدد الشيرازي، وهذه الروح سرت في عروق السيد أبو الحسن، وأخذت تتشكل باطوار مختلفة مع ما يحمله السيد من الحصافة والنباهة والتي أهّلتهم فيما بعد لأن يتصدى لقيادة الامة.

السيد ابو الحسن والثورة الدستورية في ايران

ومع بدايات القرن العشرين برز في النجف الأشرف عدد من كبار المجتهدين الذين رفعوا راية مناهضة الاستبداد والدعوة الى المبادىء الدستورية وكان المجتهدان الشيخ الملا كاظم الخراساني والشيخ عبدالله المازندراني في مقدمتهم.. وقد برز بشكل خاص الآخوند الخراساني.[1]

وكان الآخوند الخراساني يرىٰ ان الدولة الحقة هي التي تقوم على اساس رفض الاستبداد وأن الاستشارة واشراك الرعية في الرأي هو مما نص عليه القرآن الكريم، وايدته سيرة النبي الاكرم (صلّى الله عليه وآله وسلم).

وانطلاقاً من هذه الافكار التي نادىٰ بها الآخوند تصاعدت بحدة المطالب باقرار دستور لايران، هذا ما يؤكده الامام الخميني (قدس سره) الذي يقول: «ان الحركة الدستورية التي كانت موجهة ضد الدكتاتورية بدأت من النجف الأشرف وبمبادرة العلماء ومن وحي فكرهم الحر، ومن ثم ثار علماء ايران على حكامهم

---

(١) الرهيمي، عبد الحليم: تاريخ الحركة الاسلامية في العراق ـــ ص ١٤٤.

المستبدين و واصلوا ثورتهم حتى قضوا على الدكتاتورية». [٢]

وهكذا كان موقف جمع من المجتهدين في النجف مؤيداً ومحفزاً للضغط على شاه ايران (محمد شاه القاجاري) من اجل اقرار الدستور، وقد صدر جواب من الاخوند الخراساني على استفتاء علماء ايران حول الدستور، ووقعه بالاضافة للآخوند عشرة من المجتهدين الكبار في ذلك الوقت، وجاء في الفتوىٰ: «.. إن قوانين المجلس المذكور على الشكل الذي ذكرتموه هي قوانين مقدسة ومحترمة وفرض على جميع المسلمين ان يقبلوا هذه القوانين و ينفذوها (...) فواجب المسلمين ان يقضوا دون اي حركة ضد المجلس».

واثر هذا التحرك اضطر الشاه اخيراً الىٰ الموافقة على الدستور واعلانه في شهر أغسطس (آب) ١٩٠٦م، وقد تضمن الدستور في مادته الثانية نصاً يلزم موافقة وتصديق خمسة من المجتهدين الذين يختارهم مرجع التقليد الاسلامي لأي قانون يصدره مجلس النواب.

في ظل هذه الاجواء كانت الساحة السياسية والفكرية في النجف الاشرف تشهد مخاضاً عنيفاً، خاصة وقد عارض مجموعة من كبار المجتهدين فكرة المشروطة وفي مقدمتهم السيد كاظم اليزدي (المرجع الاعلىٰ)، وهنا بدأت تنفرز الاتجاهات الى خطين بارزين الأول سمي «بالمشروطة» والثاني «بالمستبدة» وفي هذا الخضم كان صوت السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) خافتاً، ولعلّ عدم صعود السيد لدائرة الضوء كان سبباً في عدم ذكر موقفه الواضح والصريح من القضية، وقد يكون التاريخ اغفل هذا الذكر، ولكن مع ذلك فإن هناك اشارة

---

(٢) مغنية، احمد: الخميني اقواله وافعاله ــ ص١٠٧، خطاب القاه في النجف الاشرف إثر اغتيال نجله السيد مصطفىٰ عام ١٣٩٧هـ.

يذكرها صاحب كتاب «الامام السيد ابو الحسن»[٣] تشير الى ميل السيد لرأي انصار الحركة الدستورية والتي كان يتزعمها استاذه الآخوند الخراساني، بالاضافة الى زميله ورفيقه المجتهد الشيخ حسين النائيني والذي ألف كتاباً في تلك الاوضاع سماه «تنبيه الامة وتنزيه الملة في وجوب المشروطة»، دعا فيه بكل صراحة الى مقاومة الاستبداد والعمل من اجل حكم دستوري «شوروي» وهو امر ــ كما صرح ــ يتفق مع الشريعة الاسلامية ولا يتناقض معها.

ثورة العشرين وبداية البروز

ويمكن ان نقول ان ثورة المشروطة كانت دفعاً مهماً في العمل السياسي لدى مراجع ومجتهدي النجف الاشرف، وقد كان هذا تمهيداً لمشاركة أوسع في شؤون الامة السياسية، وخاصة في العراق وايران حيث مكان نفوذ العلماء وتأثيرهم الواسع على الجماهير.

ولما بدأ الاستعمار الانكليزي يمهد لاحتلال العراق، والذي تمت مقدماته بالفعل بدخول الفاو ثم البصرة ثم بغداد في ١١ مارس (آذار) ١٩١٧، ومن ثم توقيع هدنة بين الاتراك والانكليز في ٣٠ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٨ والتي قررت انهاء حالة الحرب بينهما، هذه الاحداث شكلت التصعيد الحقيقي للمواجهة بين العلماء والقوى الاستعمارية، وتمثلت بـ «ثورة النجف» خلال مارس (آذار) ــ ابريل (نيسان) ١٩١٨، ثم مقاطعة ما يسمى بالاستفتاء الشعبي الذي اجرته الادارة الانكليزية في اواخر ١٩١٨ واوائل ١٩١٩، واخيراً المواجهة العسكرية الواسعة والتي تمثلت بـ «ثورة العشرين» الباسلة خلال يونيو (حزيران) اكتوبر (تشرين الثاني) ١٩٢٠ والتي شكلت ذروة المواجهات السياسية والمسلّحة ضد الانكليز وعندها كان البروز الاول والواضح لاية الله السيد ابو الحسن

---

(٣) الجعفري، صالح: الامام السيد ابو الحسن ــ ص ٤٣.

الاصفهاني، والتي تمثلت بمساهمته المشهودة في هذه الثورة الخالدة.

كانت البدايات في التحرك ضمن الجهود التي كان يبذلها مجتهدو النجف للتحضير لهذه الثورة التي كان يقودها الميرزا محمد تقي الشيرازي (ره) وهو تلميذ للمجدد الشيرازي. وكانت قمة هذه التحركات تتمثل باجتماع النصف من شعبان ١٣٣٨ هـ/ ٣ مايو(آيار) ١٩٢٠م، والذي تم بصورة «سرية للغاية» في دار الإمام الشيرازي وبرئاسته، وحضره عدد من العلماء البارزين في النجف وكربلاء، وعدد آخر من رؤساء العشائر والوجهاء.[٤] واثر هذا الاجتماع وزع العلماء وزعماء العشائر منشورات في كافة انحاء منطقة الفرات الأوسط تدعو للقيام بالثورة، وبدأت الجماهير في مدن ومناطق الفرات الأوسط بتنظيم مضابط التوكيل لتقديمها لسلطات الاحتلال وهذه كانت مقدمات مباشرة لثورة العشرين.[٥] وقد وقع آية الله الاصفهاني مضبطة توكيل، ووقعها بالاضافة اليه شيخ الشريعة الاصفهاني وستة وسبعون من العلماء ورؤساء العشائر والوجهاء. وجاء في المضبطة التالي: «بسم الله جل شأنه.. نحن عموم اهالي النجف الاشرف علمائها وأشرافها واعيانها وممثلي الرأي العام فيها وكافة اهالي الشامية ــ سادتها وزعماء قبائلها وممثليها ــ قد اندبنا بعض علمائنا وأشرافنا ووجهائنا. وهم حضرات الشيخ جواد الجواهري والشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ عبدالرضا آل الشيخ راضي والسيد نور السيد عزيز الياسري والسيد علوان الياسري والحاج عبدالمحسن شلاش لان يمثلونا تمثيلاً صحيحاً قانونياً امام حكومة الاحتلال في العراق وامام عدالة الدول الديمقراطية التي جعلت من مبادئها تحرير الشعوب، وقد خولنا هم ان يدافعوا عن حقوق الامة ويجهروا في طلب استقلال البلاد العراقية بحدودها الطبيعية العاري عن كل تداخل اجنبي في ظل دولة عربية

---

(٤) الرهيمي، عبد الحليم: مصدر سابق ــ ص ٢١١.

(٥) المصدر نفسه ــ ص ٢١٦.

وطنية يرأسها ملك عربي مسلم مقيد بمجلس تشريعي وطني. هذه هي رغائبنا لا نرضى بغيرها ولا نفتر عن طلبها ومنه نستمد الفوز والنجاح وهو حسبنا ونعم الوكيل. في ١٨ رمضان سنة ١٣٣٨هـ»[٦].

وعندما حانت لحظات المواجهة، وشرع الثوار بالتوجه الى ساحات القتال، واخذت قطاعات الشعب بالانتظام في صفوف المقاتلين، كانت في تلك اللحظات ايضاً مواقف مشرقة لآية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني، فقد توجه اولاً الى عاصمة الثورة، ومركز القيادة في كربلاء المقدسة ليأخذ دوره في الجهاد المقدس الذي اعلنه قادة الثورة من علماء الامة الاعلام.

وينقل احد علماء كربلاء وهو السيد محمد علي الطباطبائي، بانه كُلّف من قبل الميرزا محمد تقي الشيرازي قائد الثورة، بالخروج لاستقبال السيد ابو الحسن وهو قادمٌ من النجف الاشرف، وبالفعل توجه هذا العالم الى خارج كربلاء، واستقبل السيد نيابة عن قائد الثورة، وهو ما يعبر عن المنزلة الرفيعة التي كانت للسيد عند الميرزا الشيرازي (ره).

ولم تتوقف مساهمة السيد ابو الحسن (ره) في ثورة العشرين عند هذا الحدّ، فقد ابى إلّا ان يساهم بصورة مباشرة في القتال الدائر بين القوات البريطانية والثوار بقيادة العلماء، لذلك فقد تقلد سلاحه (البندقية) واعتلى صهوة فرسه وتوجه الى جبهات القتال، ليذب عن حُرم الاسلام، وهناك استقبله زعماء العشائر، وبعد أن ادّوا الصلاة خلفه رجوه ان يعود الى النجف الاشرف وقالوا له: إنّهم يحتاجون الى دعواته الصالحات وإرشاداته للمسلمين وتجهيز المجاهدين بفتاواه اكثر من حاجتهم اليه في ساحة القتال.[٧] وبكل صورة أُرجع السيد الى مقر القيادة في

---

(٦) المصدر نفسه ــ ملحق (١٧) ص ٣٠٩.

(٧) آل فرعون، فريق المزهر: الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠. ج١ ــ ص٤٩٩.

كربلاء.

وهكذا يكون السيد (ره) قد ضرب اروع الامثلة في القيادة الميدانية، وبالتالي فإن استعداده الكبير للتضحية والقتال ـ كما ادىٰ هذا الفرض عدد آخر من العلماء الاعلام ـ كان دافعاً كبيراً لتحريك الجماهير ودفعها للدفاع عن الدين الذي يريد البريطانيون القضاء عليه ومسخه في نفوس المسلمين.

وفي آواخر ايام الثورة بدأت المعادلات تتغير، وبدأت تبرز اصوات مطالبة بالصلح مع قوات الاحتلال، وعندما حلّ السير «برسي كوكس» المندوب السامي البريطاني في بغداد ١١ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٢٠، كانت الثورة تلفظ انفاسها الاخيرة، وإن كان الثوار يسيطرون علىٰ كربلاء والنجف وطويريج والرميثة وهيت وقسم كبير من وادي الفرات، وكانت السماوة والكوفة محاصرتان، وكانت مهمة كوكس الاولىٰ هي اعادة الامن في العراق حتىٰ تستطيع السلطة المدنية التي يُراد لها ان تُدير العراق باتجاه المصالح البريطانية ترسيخ أقدامها وأول ما استأثر باهتمام كوكس هو منطقة الفرات الاوسط.

وفي ظل هذا الضغط والتشديد على الثوار لاجبارهم على الاستسلام، فقد ظهرت اصوات في صفوف هؤلاء تنادي بالسلم وعقد الصلح مع القوات البريطانية، وكادت هذه الاصوات ان تقتل روح المقاومة، لولا تدارك المرجع الاعلىٰ (شيخ الشريعة الاصفهاني) الأمر، وقيادته حملة رافضة بعنف للاستسلام.

وشكل الشيخ في هذا الإطار لجنة سميت «اللجنة الحيدرية» وكانت تمثل السلطة الدينية العليا، وكانت برئاسة مباشرة من المرجع الاعلىٰ، وبعضوية كل من السيد ابو الحسن الاصفهاني، السيد ابو القاسم الكاشاني، والميرزا عبد الحسين (ابن الميرزا تقي الشيرازي)، وآية الله الميرزا احمد الخراساني (ابن الآخوند)، بالاضافة الى السيد نور الياسري. وراحت هذه اللجنة تحذّر العراقيين

من مغبة سياسة كوكس الماكرة، وتطلب اليهم في إلحاح وإصرار ألّا يسرعوا في إعطاء الوعود وقطع العهود على انفسهم إلّا بعد الرويّة والتفكير الرصين.[8] واعلن السيد ابو القاسم الكاشاني المتحدث باسم اللجنة الحيدرية، ان اللجنة ترفض الصلح مهما يكون نوعه، كما انها ترفض الهدنة مع جيش الاحتلال والادارة المدنية، مشيراً الى ان اي تسوية سلمية من شأنها أن تمنح الانكليز الفُرص المناسبة لاعادة تنظيم انفسهم على اسس امتن من ذي قبل وأن تضعهم في مركز القوة بحيث يُملون شروطهم.[9]

وهكذا فقد انضوى السيد ابو الحسن (ره) تحت لواء الخط الثوري الرافض للاستسلام انطلاقاً من بصيرة سياسية واضحة تتمثل في رفض الحيل والألاعيب البريطانية، وهذا الموقف بالاضافة الى النشاط الذي كان يمارسه السيد في إطار اللجنة الحيدرية، كل ذلك كان مرصوداً من قبل الانكليز، الذين رصدوا بدقة حركة السيد وأحسوا بعظم خطورته، لذلك فكان اسمه بين المطلوبين عندما وقعت النجف بايدي قوات الاحتلال في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٠، واشترطت الحكومة المدنية البريطانية من جملة شروطها لقبول استسلام المدينة تسليم السيد ابو الحسن بالاضافة الى اربعة آخرين ومعهم محسن شلاش، جواد الجواهري، محمد رضا الصافي وعزيز الله الاسترآبادي.[10]

الجهاد ضد الملكية

لم يَمْضِ شهر واحد فقط على انتهاء ثورة العشرين عملياً ــ في ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٠ بتوقيع اتفاق لوقف القتال بين زعماء قبائل بني احجيم والسلطات الانجليزية ــ حتى ادركت المنية و بصورة مفاجئة المرجع الاعلى

---

(٨) و (٩) النفيسي، عبدالله : دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ــ ص ١٦٢ ــ ١٦٣.

(١٠) كاظم، عباس محمد : ثورة الخامس عشر من شعبان (ثورة العشرين) ــ ص ٣٣٨.

والقائد الاخير للثورة آية الله الشيخ فتح الله الاصفهاني (شيخ الشريعة)، وذلك في الثامن عشر من شهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٢٠.

هذا الحدث شكل منعطفاً خطيراً في صفوف علماء الدين، فقد كانت وفاة المرجع الاعلىٰ عاملاً كبيراً في تفتيت صفوفهم، فقد قرر بعضهم الهجرة الطوعية من العراق، حيث الظروف لم تكن سانحة لعمل شيء في ظل الضعف والوهن الذي اصاب حركة الجماهير، فهاجر السيد ابو القاسم الكاشاني الىٰ ايران بالاضافة الى مجموعة من رجال الدين البارزين في الثورة، وهاجر الميرزا احمد الآخوند الىٰ الحجاز مع مجموعة من رؤساء العشائر والقوىٰ الوطنية التي ساهمت بشكل فاعل في الثورة، واودع السجن السيد هبة الدين الشهرستاني بالاضافة الى خمسة آخرين من علماء الدين، هذا إضافة الى العلماء الذين ابعدتهم سلطات الاحتلال عن العراق[١١] كل ذلك شكل مؤشراً واضحاً على فراغ الساحة من القيادة والزعامة الدينية، وهو ما دفع السيد ابو الحسن الى أن يجعله من اولىٰ مهامه بعد ثورة العشرين، ومن هنا كان برنامجه المرجعي الواسع، بالاضافة الى قيادته العمل السياسي ووقوفه ضد المؤامرات البريطانية التي كانت تحاك ضد الشعب العراقي وقيادته الدينية.

واول مهمة حملها السيد (ره) على عاتقه في هذا السبيل كانت تحركه من اجل اعادة المبعدين والمنفيين والمسجونين، لان الساحة اصبحت خالية من العلماء والثوار الذين لا يمكن للقيادة ان تقوم باي عمل ثوري فعّال من دونهم، فهم العماد الاساسي وخاصةً بعد الخور الذي اصاب حركة الجماهير.

من هذا المنطلق بدأ السيد (ره) يحرك خطوطه للضغط على السلطات

---

(١١) الذين ابعدوا من النجف مثلاً: الشيخ جواد الجواهري، الشيخ حسن ابن الامام شيخ الشريعة، السيد محمد رضا الصافي، السيد عزيز الاسترآبادي وغيرهم.

البريطانية، فكتب الى الشيخ خزعل امير المحمرة، وكانت تربطه به علاقة حسنة، يطلب من التوسط لدى البريطانيين للعفو عن المسجونين والمنفيين.(١٢)

الموقف من الحكومة الموقتة

كان الوضع السياسي في ذلك الوقت يتجه نحو إحكام قبضة الانكليز على السلطة في العراق، فالمندوب السامي الذي قدم حديثاً الى العراق كان عليه ان يثبّت الاوضاع لاجل تطبيق مقررات مؤتمر «سان ريمو» الذي عقد في ٢٥ إبريل (نيسان) ١٩٢٠ وأقر انتداب انكلترا رسمياً على العراق، وقد وافقت لندن على ذلك في ٣ مايو (آيار) من نفس العام، على ان تعمل على تقديم الضمانات لعصبة الامم من اجل الاعتراف النهائي بانتدابها على العراق.

من هنا كان على (كوكس) ان يقوم بترتيب الوضع السياسي والدستوري للعراق، وهذا ما كان شاغله الاكبر وخاصةً عبد قضائه على حركة الثورة والاقصاء المؤقت للعلماء من سدة القيادة.

ولكن كان لازال هناك عائق اساسيٌ يتمثل برفض الجماهير العراقية لحكم بريطاني مباشر، وخاصةً العشائر ــ وهم يشكلون اغلبية الشعب العراقي ــ فهؤلاء ونتيجة للمعاملة السيئة التي كانوا يواجهونها من قبل نائب الحاكم المدني للعراق (ارنولد و يلسين)، بالاضافة للحكام العسكريين في المناطق، فإنهم كانوا يأنفون القبول مطلقاً بحكومة يقودها بريطاني.

وفي مقابل ذلك توجه كوكس لطرح فكرة تشكيل حكومة عربية، محاولة منه للالتفاف على العشائر وتحجيم دور العلماء، إضافة الى جرّ بعض العلماء الذين كانوا ينادون بحاكم عربي للقبول بالمشروع البريطاني، وهو ما سيشكل دفعاً

(١٢) نص الرسالة في: الرهيمي، عبدالحليم: مصدر سابق ــ الملحق رقم (١٧) ص ٣٢٤.

قوياً لمشروع «الدولة المحلية المنتدبة».

ولكي يقصي الشيعة من التأثير الفاعل على هذه الحكومة المقترحة، فقد استبعدهم واعطاهم مناصب عادية وبسيطه لا توازي نسبتهم التي تشكل الأغلبية الساحقة في العراق، وقد وضع على رأس الدول احد المبغضين للشيعة وهو نقيب بغداد عبدالرحمن الگيلاني والذي كان كما ينقل عنه يكره ثلاثة امور اكثر مما يكره الشيطان نفسه : اليهودي والشيعي والفرنسي !. وكان يرىٰ ان الشيعة سيحولون دوماً دون إقامة إمارة في العراق لانهم لايؤمنون إلّا بحكم الامام الديني. [13]

والبريطانيون كانوا ينظرون الى الشيعة وقيادتهم الدينية على أنهم آخر عقبة يمكن ان تقف امام مشاريعهم في العراق، والى ذلك يشير (فيليب ايرلند) بالقول : انه سيكون على سلطات الانتداب انزال ضربة قوية بالقيادة الدينية التي يمثلها العلماء، باعتبارهم قوة الحل والعقد التي تشكل «العقبة الكأداء» في وجه تأسيس حكومة عربية «واجهة». [14]

ورغم الاجراءات القمعية التي مارستها السلطات البريطانية بحق العلماء، إلّا انهم كانوا لازالوا ينظرون الىٰ تحركاتهم بريبة وشك وخوف، لانهم لم يكونوا بعد قد وصلوا الى اقصاء العلماء نهائياً عن قيادة الجماهير، وهو ما تشير اليه الجاسوسة البريطانية (المس بيل) والتي كانت تشغل منصب سكرتيرة المندوب السامي البريطاني في بغداد فتقول في رسالة لها بتاريخ ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٠ : «إن مشكلة الشيعة ربما كانت اعظم المشاكل في هذه البلاد، وقد تناقشناً حول هذه المشكلة ليلة امس في اثناء مأدبة اقمتها في بيتي مع (عبد

---

(١٣) النفيسي، عبدالله : مصدر سابق ــ ص ١٦٧.

(١٤) ايرلند، فيليب : العراق.. دراسة في تطوره السياسي ــ ٢٢٤-٢٢٥.

المجيد بك الشاوي) فقال : ماذا تصنعون إذا أصدر المجتهد الاكبر فتواه بأنه لا يجوز للفرد أن يكون عضواً في المجلس التشريعي مادامت الحكومة تحت الانتداب البريطاني ؟

علماً بان المجتهد الاكبر يعتبر كلامه من كلام الله... او إفرضوا ان المجلس اخذ يناقش لسن احد القوانين فينبري المجتهد لإصدار فتوى مفادها إن القانون مخالف للشريعة ويجب رفضه من غير اهتمام بأي اعتبار آخر؟... وتعلق «المس بيل» على ذلك فتقول :

تصوروا ان البابا يمارس في ايطاليا سلطة دنيوية ويعرقل الحكومة في كل عمل تقوم به، فماذا يكون الصنع ؟

إن العلاج يكون بمرور الزمن على النمو الذي حصل في ايطاليا، حيث صاروا هناك ينظرون الى البابا كما ينظرون الى أي عجوز سخيف. ولكننا هنا لم نصل بعد الى هذه المرحلة..»(١٥)!

نعم انهم لم يصلوا بعد الى تلك المرحلة، وهو الوضع الذي أهل السيد ابو الحسن الاصفهاني (المرجع الاعلى) لان يخوض حملة بالاشتراك مع آية الله الشيخ حسين النائيني ـــ وهو من كبار المراجع في ذلك الوقت ـــ ضد الحكومة المؤقتة التي اسند الانكليز رئاستها لنقيب بغداد. وعندها بدأت حقبة جديدة من تاريخ الحركة الاسلامية بقيادة مراجع وعلماء الامة.

كان الاعلان عن الحكومة المؤقتة في ١١ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٠ بمثابة تحدٍّ علني لقوة وتأثير العلماء على الجماهير الشيعية، حيث ان الحكومة كان فيها الكثير من الغبن للشيعة الذين تمثلوا بوزير واحد من مجموع ثمانية وزراء بحقائب

---

(١٥) الكاتب، احمد : تجربة الثورة الاسلامية في العراق، من ١٩٢٠ حتى ١٩٨٠ ـــ ص٧٧.

وزارية، واربعة من احد عشر وزيراً بلا حقائب وزارية معيّنة، هذا إضافة الى تعيين متصرفين وقائممقامين سُنّة في المناطق الشيعية... كل ذلك كان ايذاناً بتحول المعارضة الشيعية من الكفاح والنضال ضد الانكليز الى الانشغال في صراعات جانبية مع السُنّة الذين استأثروا باغلبية المناصب الحكومية، وكان ذلك مرسوماً حسب توقع دائرة الاستخبارات البريطانية[١٦]، ولكن هذه النقطة كان قد وعاها السيد ابو الحسن (ره) فأخذ في مقابل ذلك يشن حملة مضادة لبث التعاون والوحدة بين عموم المسلمين، ووقف معارضاً الحكومة المؤقتة بصورة هادئة وذكية، فقد عارضها لا لأن غالبية أعضائها من السُنّة، ولكن لأنها كانت لا تحقق مطلب الاستقلال التام، فالبريطانيون هم الذين يتحكمون بالدولة عبر مجلس عربي «واجهة».

من يحكم العراق؟

في هذه الاثناء، بدأت الدوائر والاتجاهات المختلفة بالبحث عن مرشح ليكون حاكماً على العراق، وهنا تحركت جميع الاوساط، وبدأت تظهر آراء مختلفة ومتنوعة في اوساط العلماء.. فماذا كان موقف ورأي السيد ابو الحسن (ره)؟

ظهر رأي من بين علماء النجف قَبِلَهُ عالمان بارزان هما: الشيخ عبدالكريم الجزائري والشيخ علي كاشف الغطاء، هذان دعيا الى ترشيح امير المحمرة (الشيخ خزعل) ليكون ملكاً على العراق، وقد بعثا اليه بالرسائل يطالبانه بترشيح نفسه.

اما موقف السيد ابو الحسن (ره) فكان سلبياً إزاء هذا الترشيح مع انه كان يرتبط بعلاقة حسنة مع امير المحمرة ــ كما ذكرنا سابقاً ــ، كذلك فإن هذا

---

(١٦) النفيسي، عبد الله: مصدر سابق ــ ص ١٩٩.

الرأي أخذ يتلاشى عندما بدأت الانظار تتجه الى الامير فيصل ابن الشريف حسين، فقد بدأت الترشحيات تنهال عليه، والانكليز ايضاً بدأت قناعاتهم تتجه صوبه، حتى تم اقرار ذلك بصورة، مؤكدة، في مؤتمر القاهرة الذي رأسه «ونستون تشرشل» وزير المستعمرات البريطاني آنذاك، وكان هدف المؤتمر «حلّ جميع القضايا الملحّة والبارزة في منطقة الشرق الاوسط» وتم عقده في ١٢ مارس (آذار) ١٩٢١، وحضره عدد من الشخصيات من ذوي المناصب العالية وخبراء من وزارة الخارجية والمال وجمهرة من مستشاري تشرشل في الشؤون الشرقية بمن فيهم «لورنس» وقد نوقشت في المؤتمر قضية اختيار حاكم للعراق وتم ذلك بترشيح فيصل ليتسنم عرش العراق.

إذن فقرار التنصيب والتنفيذ كان بريطانياً، إضافة الى ان فيصل نفسه كان على علاقة وثيقة ببريطانية، وكان يكنّ الاحترام والولاء للانكليز.

من كل ذلك رأى السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) وهو يقود المرجعية العليا، ان تنصيب فيصل ملكاً على العراق يعني استمرار الاحتلال البريطاني. لذلك قاد السيد وبالاشتراك مع الميرزا النائيني حملة المعارضة ضد هذا الترشيح انطلاقاً من قناعة ثابتة تقدم تحقيق الاستقلال التام وتشكيل حكومة مقيدة ومستقلة عن الاجنبي على اي هدف آخر، لذلك كانا يعارضان اي مرشح في ظل الانتداب.

وفي مقابل هذا الرأي الذي كان يقول به المرجع الاعلى السيد ابو الحسن بالاضافة الى الميرزا النائيني، كان هناك رأي آخر تبناه عالمان بارزان من الكاظمية وهما الشيخ مهدي الخالصي والسيد محمد الصدر، فقد ابديا تأييدهما لترشيح فيصل وتنصيبه ملكاً على العراق.[١٧]

---

(١٧) الرهيمي، عبدالرحيم: مصدر سابق — ص ٢٤٢.

فقد بعث السيد محمد الصدر الذي كان لاجئاً في الحجاز ببرقية الى الشريف حسين يطالبه فيها بالموافقة على ترشيح نجله فيصل لعرش العراق، وتوجهه فوراً الى بغداد، وقد رافق السيد الصدر نفسه، مع عدد آخر من اللاجئين العراقيين الامير فيصل اثناء قدومه الى العراق، في يونيو (حزيران) ١٩٢١م. كما وقام السيد الصدر، بعد ذلك، باعداد مذكرة بيعة ترشح الامير فيصل كـ «ملك لدولة عراقية مستقلة دستورية» وقد وقع عليها مواطنون من مختلف انحاء العراق. وعندما توج فيصل ملكاً، فقد كرر السيد الصدر رهانه بأن يذود الملك عن الكيان السياسي القومي للأمة العراقية.[١٨]

اما الشيخ مهدي الخالصي، فقد عبّر عن موقفه بمبايعته المشروطة عندما زار فيصل في اليوم التالي لقرار الحكومة المؤقتة في ١١ يوليو (تموز) ١٩٢١ بترشيحه للعرش، حيث خاطبه بالقول:

«انا نبايعكم ملكاً على ان تسيروا بالحكم سيرة عادلة، وعلى أن يكون الحكم دستورياً ونيابياً، وأن لا يتقيد العراق في عهدكم بأية قوة اجنبية. وقد اكد الشيخ الخالصي موقفه هذا باصدار فتوى البيعة التي جاء فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وبه ثقتي. الحمد لله الذي نشر لواء الحق على رؤوس الخلق فأيدهم بالنصر برئاسة من حاز الشرف والفخر الملك المطاع الواجب له علينا الاتباع، الملك المبجل عظمة ملكنا فيصل الاول دامت شوكته، نجل جلالة الملك حسين الاول، دامت دولته، فاحكموا بيعته وأبرموا طاعته وأهتفوا باسمه مذعنين لحكمه ونحن ممن اقتضى هذا الاثر وبايعه، في السر والجهر، على ان يكون ملكاً على العراق مقيداً بمجلس نيابي، منقطعاً عن سلطة الغير مستقلاً معه بالنهي والامر ولله الامر. الراجي عفو ربه محمد مهدي الخالصي

---

(١٨) المصدر نفسه: ص ٢٤٢.

غُفي عنه. ٧ ذي الحجة ١٣٣٩هـ/١٣ تموز ١٩٢١م».[١٩]

وكان الشيخ الخالصي قد توصل الى قناعته هذه، عندما تعهد فيصل له بان يعمل على تحقيق استقلال العراق، ونشر تعاليم القرآن، وتخليص جميع البلاد الاسلامية من الاجانب، ولكي يبين حسن نواياه هذه، قام الملك فيصل باهداء الشيخ الخالصي ستار الكعبة مكتوباً عليها آية الكرسي بالذهب.[٢٠]

هذا الاتجاه الذي اتخذه العلامة الشيخ مهدي الخالصي بالاضافة الى السيد محمد الصدر شكل احراجاً واضحاً لموقف السيد ابو الحسن الاصفهاني، وخاصةً وهو يقود المرجعية العليا، ولكن مع ذلك فإن الاتجاه المعارض لترشيح وتنصيب فيصل والذي كان يقوده السيد ابو الحسن والميرزا النائيني كان اكبر حُظوة في الاوساط الجماهيرية، لانهما كانا يقودان الحوزة العلمية في النجف الاشرف، وقد كان لموقفهما تأثير واضح على الجماهير، التي وإن كانت قد خرجت تواً من هزيمة، و بالتالي ارتداد، ولكن مع ذلك كانت قطاعات واسعة لازالت عاقدةً لواء الطاعة للمرجع الاعلىٰ.

وعندما وصل فيصل الىٰ العراق وراح يزور منطقة الفرات الاوسط والاسفل، وهي مناطق شيعية، انصرف علماء الشيعة عن لقائه، وفي محطة (اور) كان استقبال الجماعة الصغيرة من الشيعة له استقبالاً فاتراً. ولم يكن حضور حفل الاستقبال الذي اقيم له في الديوانية حاشداً ولكن كان هناك شيء من الحماسة. وفي كربلاء، على الرغم من ان القائممقام الهندي سعىٰ ما في وسعه لجعل الاستقبال لائقاً بما قام به من الاستعدادات، الا أن اهالي المدينة تجاهلوا امر هذا الاستقبال وذلك بواسطة تعليمات صدرت اليهم من علمائهم. اما في النجف

---

(١٩) المصدر نفسه: ٢٤٣.

(٢٠) كاظم، عباس محمد: مصدر سابق — ص ٣٨٣.

الاشرف فلم يقتصر العلماء فيها على مجرد التحفظ بل تعدّاه الى اظهار شيء من الجفاء والعداء الظاهرين. فقد تناقل الناس اشاعات عن ان المجتهد الاكبر (آية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني) كان قد اعلن عدم موافقته ورضاه لتنصيب الملك فيصل.[21]

ومع هذا التأييد الكبير للموقف المعارض الذي تبناه السيد ابو الحسن، إلّا أن وجود اتجاه آخر بين العلماء كان يعني، اضعاف الجبهة الداخلية لحركة العلماء، وجعلها سهلة للقمع، وقليلة التأييد من قبل الجماهير، وخاصة لو تكررت المواقف المتناقضة اتجاه قضايا اخرى تطرح على الساحة من هنا سعى السيد ابو الحسن (ره) لتوحيد الصفوف و بالتالي العمل بصورة مشتركة من أجل تحقيق هدف الاستقلال التام الذي كان يتفق عليه الجميع سواء المعارض او المؤيد لتنصيب فيصل ملكاً على العراق. وقد كان التقارب بين الاتجاهين يزداد شيئاً فشيئاً، والفجوة تتقلص كلما مرّ الزمن، خاصة وان الشيخ الخالصي والسيد الصدر وجدا ان فيصل غير مؤهل لأن يؤدي مهمة الاستقلال التام للعراق وابعاد الاجانب عنه.

توحيد صفوف العلماء

وكانت جريمة الوهابيين بحق المدن المقدسة في كربلاء، الفرصة الذهبية التي استطاع السيد ابو الحسن الاصفهاني اغتنامها وصبها في صالح توحيد المواقف، و بناء رأي وتصور موحد تجاه حكومة الانتداب التي كانت الاداة الفعلية للاستعمار البريطاني.

ففي ١١ مارس (آذار) ١٩٢٢، قام الوهابيون بهجوم واسع على العراق، لاسيما على منطقة عشائر المنتفك في «ابو غار» واعقبوه بهجومين آخرين على

---

(٢١) النفيسي، عبدالله: مصدر سابق ــ ص ١٧٨

عشائر السماوة، ثم على مدينة كربلاء المقدسة، وهم بذلك يكررون اعتداءاتهم على هذه المدينة المقدسة، هذا الحادث اثار ردود فعل غاضبة لدى الرأي العام وخاصةً الشيعي، ولاسيما لدى القيادة الدينية، وهنا استغل المرجع الاعلى هذا الحادث بمناورة سياسية ذكية، من اجل الاتفاق على رأي واحد في اوساط المعارضة الدينية التي يقودها العلماء. فكانت الدعوة المشتركة التي قام بها السيد ابو الحسن الاصفهاني والميرزا النائيني لعقد مؤتمر عام في كربلاء، فقد عقد علماء النجف عدة اجتماعات للتداول في موضوع الهجوم الوهابي، وكان على رأسهم السيد ابو الحسن الاصفهاني والميرزا حسين النائيني. وقرروا اخيرا عقد مؤتمر في كربلاء يحضره رؤساء العشائر ووجهاء المدن للمباحثة في وضع خطة للدفاع عن البلاد.(٢٢)

وهكذا ابرق السيد والميرزا برسالة مشتركة الى الشيخ الخالصي يدعوانه الى الحضور الى كربلاء. وقد جاء في الرسالة ما يلي:

«جناب حجة الاسلام والمسلمين محمد مهدي الخالصي، دامت بركاته:

انه لا ينبغي الاتكال على وعد السلطة البريطانية في دفع شر الخوارج والاخوان على المسلمين. فبناء عليه نأمل حضوركم في كربلاء قبل الزيارة بأيام، وتأمرون رؤساء العشائر، كالسيد نور (الياسري) وأمير ربيعة وسائر الرؤساء بعد ابلاغهم سلامنا بالحضور، كما أنّا نحضر مع من في طرفنا من الرؤساء لاجل المذاكرة في شأنهم إن شاء الله تعالى.

ابو الحسن الاصفهاني　　　　الشيخ محمد حسين الغروي النائيني».(٢٣)

---

(٢٢) الوردي، الدكتور علي: لمحات من تاريخ العراق الحديث ج٦ـ ص ١٤٠ـ ١٤١.

(٢٣) البصير، محمد مهدي: تأريخ القضية العراقية ج ٢ ــ ص ٣٩١ ــ ٣٩٢.

اما الشيخ الخالصي فهو من ناحيته وجد ان اجتماع كربلاء فرصة لعمل شيء ضد الانكليز على غرار ثورة العشرين، فصمّم على جمع القبائل والعلماء في كربلاء وانذار الانكليز بانهاء الاحتلال وترك العراق[٢٤] من هنا فقد لبىٰ نداء السيد والميرزا وحشد كل ما عنده من امكانيات وطاقات، وأقام اللجان التي تعد للسفر الى كربلاء. وفي ٥ ابريل (نيسان) غادر الكاظمية حسب الموعد المعين اعضاء اللجنة الاولىٰ وهم محمد الخالصي وعبد الحسين الجلبي وابو طالب الاصفهاني، فذهبوا الى النجف حيث اتصلوا بالسيد ابو الحسن الاصفهاني والميرزا حسين النائيني من اجل تعجيل سفرهما الىٰ كربلاء وقد استجاب السيد ابو الحسن لداعي الى المؤتمر لطلبهما ،بينما تغيب الشيخ النائيني عن حضور المؤتمر.[٢٥]

وقد كان المؤتمر حاشداً حضره اكثر من مائتي الف شخص[٢٦] وكان من الحاضرين بالاضافة الى علماء الشيعة ومراجعهم، وفدان من العلماء المسلمين السُنّة في بغداد والموصل فترأس الشيخ عبدالله النعمة وفد علماء الموصل. بينما ترأس الشيخ عبد الوهاب النائب وفد علماء بغداد، الذي ضم ايضاً كلاً من الشيخ ابراهيم الراوي والشيخ يوسف العطاء والشيخ احمد الباود وعبدالجليل جميل، وقاضي بغداد الشيخ عبدالله الشواف. وحضر المؤتمر ايضاً حشد كبير من رؤساء العشائر والشخصيات الساسية.

وقد أثارت الاستعدادات الكبيرة للمؤتمر مخاوف وفزع البريطانيين والحكومة العراقية، فقد ارسل «كوكس» الى مدير مكتب الملك رسالة قبل انعقاد المؤتمر باسبوع جاء فيها: «ان هدف التحركات التي تشهدها النجف ليس الدفاع

---

(٢٤) ذكر ذلك الشيخ محمد نجل الشيخ مهدي الخالصي في مذكراته، «في سبيل الله» نقلاً عن: الرهيمي، عبد الحليم: مصدر سابق ــ ص ٢٤٨.

(٢٥) الوردي، الدكتور علي: مصدر سابق ــ ص ١٤٢.

(٢٦) الكاتب، احمد: مصدر سابق ــ ص ٨٠.

ضد الاخوان، انما الهدف هو استدارج الملك الى حضور الاجتماع، واجباره بواسطتهم على أن يطلب من الحكومة البريطانية منح العراق استقلاله التام فوراً، وأن المؤتمرين سيحاولون الحصول على السلاح من السلطات البريطانية لغرض الدفاع عن الحدود العراقية، ومن ثم استخدامه لغرضهم المذكور اعلاه» .(٢٧)

و يلاحظ ان الاهداف التي وضعها السيد ابو الحسن (ره) للمؤتمر بدأت تصطدم مع آراء بعض المدعوين، والذين لم يكن السيد او الميرزا يرغبون بحضورهم، وخاصة المسؤولين و بعض الشخصيات السياسية، وهكذا فقد أثّر ذلك بشكل كبير على نتائج المؤتمر. والمقررات العلنية والهزيلة التي خرج بها .

فقد بدأ المؤتمر في العاشر من شعبان، الثالث من ابريل (نيسان) ١٩٢٢م، وانهى اعماله في النصف من شعبان. الثامن من ابريل (نيسان) وقد صادق المؤتمرون على بعض الوثائق التي عرضت على المؤتمر واهمها وثيقة «الميثاق الوطني» والتي وقعت بنسختين، ورفعت احداهما للملك والثانية للعلماء الاعلام. وقد تضمنت هذه الوثيقة المقررات الرئيسية التالية : الاستعداد للدفاع عن البلاد ومعاونة القبائل ضد اعتداءات الاخوان (الوهابيين) ، اعلان الثقة بالملك فيصل، المطالبة باغاثة منكوبي الاعتداء وتعويضهم عن الخسارة اللاحقة بهم. كما صادق المؤتمرون على تسع مذكرات قدمت الى المؤتمر من تسعة وفود تمثل الفرات الاعلى والاوسط والادنى، ومناطق دجله (العمارة) وديالى و بغداد .(٢٨)

هذه النتائج لم تكون بمستوى الطموح، ولعلّ السبب الرئيسي ــ كما قلنا ــ هو الانفتاحية في الدعوة مما اسهم في اخفاء الآراء الصريحة التي كان العلماء وخاصة السيد ابو الحسن يريدون ان يتمخض عنها المؤتمر. ولكن مع ذلك

---

(٢٧) الرهيمي، عبد الحليم : مصدر سابق ــ ص ٢٥٠.

(٢٨) المصدر نفسه ــ ص ٢٤٧ ــ ٢٤٨.

فإن هذا الجمع لم يفت على المرجع الاعلىٰ دون ان يستثمره، ولعلّ النتائج الحقيقية للمؤتمر لم تكن في اعلان واصدار الوثائق المذكورة، وقد اشارت الى ذلك جريدة «الاستقلال» البغدادية، بالقول: «ان مناقشة مسألة الاعتداء على الحدود كانت على الارجح حججاً ظاهرية، وأغلب الظن ان مناقشات المؤتمر تعدت الحدود الىٰ قضايا كثيرة».[٢٩]

من هنا يمكن ان نجمل النتائج الايجابية التي خرج بها العلماء من هذا المؤتمر بما يلي:

١ ــ اعادة الدور القيادي الى العلماء، وهو ما كان قد اصيب بنكسة إثر الهزيمة التي لحقت بثورة العشرين.

٢ ــ تقليص فجوة الخلاف الى ابعد حدّ بين علماء النجف بقيادة المرجع الاعلىٰ، وعلماء الكاظمية بقيادة الشيخ مهدي الخالصي، و بالتالي توحيد المواقف تجاه قضايا الامة، وخصوصاً تجاه فيصل والمعاهدة البريطانية ــ العراقية.

٣ ــ تحشيد الرأي العام ضد المعاهدة البريطانية ــ العراقية وتفويت الفرصة على سلطات الانتداب لارهاب (الرأي العام) بهجمات الوهابيين.[٣٠]

وهكذا فقد استطاع السيد ابو الحسن الاصفهاني تحقيق احد الاهداف الرئيسية الداعية الىٰ المؤتمر، وهو توحيد صف العلماء، وذلك ما بدأ واضحاً في القضايا المختلفة التي جاءت فيما بعد، والتي تصدىٰ العلماء لها بيد واحدة.

---

(٢٩) المصدر نفسه ــ ص ٢٤٨.

(٣٠) المصدر نفسه ــ ص ٢٥١.

مقاطعة الانتخابات بأمر المرجع الاعلىٰ

كانت الاوضاع السياسية في ذلك الوقت تتجه الى التأزم، وبدأت تظهر معارضة صارخة ضد الانتداب بتحريض من العلماء الاعلام، ولم تمض ثلاثة اشهر على مؤتمر كربلاء حتىٰ وافق مجلس الوزراء العراقي في ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٢٢، على المعاهدة العراقية ــ البريطانية . وقد نصت هذه المعاهدة على قبول الانتداب الانكليزي على العراق، وهو ما آثار حفيظة الرأي العام وخاصة العلماء، الذي كانوا مازالوا يطالبون بالاستقلال التام للعراق، وبدأت المعارضة التي يقودها العلماء بالتصاعد في كل من بغداد والكاظمية والنجف وكربلاء .

وفي تلك الاثناء بدأت الدوائر الانكليزية بترويج اشاعات حول احتمال تشكيل حكومة يرأسها احد رجال الدين في محاولة منها لامتصاص نقمة المعارضة علىٰ اقرار المعاهدة ، ولكن السيد ابو الحسن الاصفهاني بالاضافة الى الشيخ النائيني والشيخ الخالصي ابدوا معارضتهم لاية محاولة انكليزية لتعيين حكومة من العلماء.[٣١] لان ذلك يعني اضفاء الشرعية على النظام الاستعماري الذي كان قائماً.

ومن اجل تصعيد المعارضة الشعبية ، فقد اخذ السيد ابو الحسن الاصفهاني من جهته بتحريض رؤساء العشائر، واستدعائهم الى النجف من أجل كسب تأييدهم لموقف العلماء المعارض. وقد عقد السيد اجتماعاً هاماً في منزله بتاريخ ١١ أغسطس (آب) ١٩٢٢ في ليلة عيد الغدير، وقد حضره عدد كبير من رؤساء العشائر الذين شاركوا في ثورة العشرين ، كما واستدعىٰ السيد ابو الحسن متصرف كربلاء، عبدالعزيز القصاب ، لتسليمه مذكرة خرج بها المجتمعون يطالبون فيها الملك والانكليز بتنفيذ وعدهم بسحب (الضباط السياسيين) من الالوية ، مهددين

---

(٣١) المصدر نفسه ــ ص ٢٥٥ .

بأنه إذا لم يتحقق ذلك فإنهم في حلّ مما سيحدث بعد ذلك من اضطرابات. وقد كان لرفض الحكومة لمطالب المجتمعين أثر عملي من نشوب بعض الاضطرابات في مراكز العشائر في الشامية وابوصخير[٣٢] وقد قوبلت هذه الاضطرابات بقمع عنيف من قبل القوات البريطانية.

لا لتثبيت الانتداب

لم تكن المعاهدة البريطانية ــ العراقية سارية المفعول بعد، لان المادة (١٨) من المعاهدة نصّت على انها لا تكون نافذة إلّا بعد ابرامها من المجلس التأسيسي، كما وأن موافقة الحكومة العراقية عليها قرنت ايضا بابرامها من المجلس المذكور، و بذلك بات مصير المعاهدة مرتبطاً بمصير انتخابات المجلس التأسيسي، من هنا فقد بدأت الحكومة ومن ورائها الانكليز بالاستعداد لاجراء تلك الانتخابات.

وأول عمل كان تشكيل الحكومة النقيبية الثالثة في ٣٠ سبتمبر (ايلول) ١٩٢٢. ومن ثم تصديقها على المعاهدة في العاشر من نوفمبر (تشرين الاول) من العام نفسه، ثم صدور إرادة ملكية، حددت يوم ٢٤ من الشهر ذاته موعداً لبدء تلك الانتخابات للمجلس التأسيسي.

وهنا ادرك العلماء أن هذه الانتخابات طريق للتصديق النهائي على المعاهدة، لذلك هبوا بقيادة المرجع الاعلى السيد ابو الحسن والميرزا النائيني والشيخ الخالصي في معارضة عارمة لهذه الانتخابات.

وقد كان اعلان الملك عن الانتخابات، بمثابة قبوله العلني للإنتداب، وهو ما جعل الشيخ مهدي الخالصي يعلن خلع بيعته للملك فيصل بعد ان كان من المرشحين الاوائل له لتسنم عرش العراق، وهكذا خطب الشيخ الخالصي في

---

(٣٢) كاظم، عباس محمد: مصدر سابق ــ ص ٣٨٩.

اجتماع حاشد في مدرسته في الكاظمية وقال :

«بايعنا فيصل ليكون ملكاً على العراق بشروط وقد أخل بتلك الشروط فلم تعد له في اعناقنا واعناق الشعب العراقي أية بيعة» .(٣٣)

وافتىٰ ايضاً بحرمة الدخول في اجهزة الدولة واداراتها واعتبره بمثابة التعاون مع الكفار، وقد لقيت الفتوىٰ رواجاً كبيراً خاصة لدىٰ الشيعة.(٣٤)

اما المرجع الاعلىٰ السيد ابو الحسن، فقد اصدر نداءً عاماً للمسلمين جاء فيه :

«الىٰ اخواننا المسلمين.. إن هذا الانتخاب يميت الامة الاسلامية، فمن انتخب بعدما علم بحرمة الانتخاب حرمت عليه زوجته وزيارته ولا يجوز رد السلام عليه ولا يدخل حمام المسلمين» (٣٥)

وقد سبقت هذا النداء فتوىٰ مشتركة، على شكل استفتاء موجه الى المجتهدين في النجف والكاظمية بتاريخ ١٥ ربيع الاول ١٣٤١ ــ ٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢، ووقعه السيد ابو الحسن والميرزا النائيني والشيخ الخالصي، وكان نص الجواب هو التالي :

«بسم الله الرحمن الرحيم..

نعم قد صدر منا تحريم الانتخاب في الوقت الحاضر كما غير خفي على كل باد وحاضر، فمن دخل فيه او ساعد فهو كمن حارب الله ورسوله واولياءه صلوات الله عليهم أجمعين»(٣٦)

---

(٣٣) الكاتب، احمد : مصدر سابق ــ ص ٧٥.

(٣٤) المصدر نفسه ــ ص ٧٥ .

(٣٥) المصدر نفسه ــ ص ٧٦.

(٣٦) المصدر نفسه ــ ص ٧٦.

هذه الفتاوىٰ انتشرت بشكل كبير في مدن العراق، وخاصة المدن المقدسة، وكانت لها اثر كبير وفعآل على مقاطعة الشعب للانتخابات، فقد استقالت اللجان الانتخابية في كربلاء والنجف والحلة والكوفة، واعلن الموظفون فشلهم. في تأليف لجان انتخابية في الكاظمية، وهكذا اضطرت الحكومة لوقف الانتخابات نهائياً في آواخر ديسمبر (كانون الثاني) ١٩٢٣م.

اذن فقد استطاع السيد ابو الحسن مع الميرزا والشيخ اثبات قوة العلماء، وقدرتهم على الوقوف بوجه الانتداب، ورفض المعاهدة البريطانية ــ العراقية، و بالتالي كان ذلك نذيراً آخر للسلطات البريطانية، على ان العلماء لازالوا متصدين للساحة السياسية، وهم الاقدر على تحريك هذه الساحة، وهو ما اعترفت به المس بيل في رسالة بعثتها لبريطانيا في ذلك الوقت.. وقالت فيها.. «.. حيث صاروا هناك (ايطاليا) ينظرون الىٰ الباب كما ينظرون الى عجوز سخيف، ولكننا هنا لم نصل بعد الىٰ هذه المرحلة».

وهكذا شعر البريطانيون، بان الضربة التي وجهت للقيادة الدينية في أواخر ثورة العشرين، لم تكن الضربة القاضية، و بدا واضحاً أن العلماء استطاعوا اعادة توحيد وتنظيم صفوفهم، بل اصبحوا في موقف يهدد باندلاع ثورة جديدة، وخاصة بعد ان انضوت جميع الفصائل والاتجاهات الدينية تحت راية المرجع الاعلىٰ السيد ابو الحسن الاصفهاني، بالاضافة الى الميرزا النائيني والشيخ مهدي الخالصي. من هنا ارتأت بريطانيا تسديد ضربة جديدة للعلماء، لعلّها تكون هذه المرة هي القاضية، وحتىٰ تسنح الفرصة بالتالي لتثبيت النظام الاستعماري واجراء الانتخابات، والتصديق على المعاهدة العراقية ــ البريطانية.

ضربة جديدة.. هل تكون قاضية؟!

في ١٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢، استقالت الوزارة النقيبية الثالثة،

نتيجة لفشلها في اجراء الانتخابات، وقد كان ذلك في الواقع بتوجيه من المندوب السامي، فبريطانيا وجدت في نقيب بغداد عبدالرحمن الكيلاني من الضعف والوهن في مواجهة المعارضة مما يشكل عائقاً أمام تنفيذ الخطط التي اعدتها بريطانيا بشأن العراق، من هنا ارادت ان تأتي برجل المرحلة، وهذا لابد من ان يكون مؤهلاً لقيادة العمليات الارهابية والعنيفة ضد المعارضة، وخاصة ضد العلماء الذين لم يكن احد يجرؤ على المساس بهم.

وضمن هذا التصور جيء بعبد المحسن السعدون ليكون رئيساً للوزراء وليشكل بالتالي وزارته الجديدة في الـ ٢٠ من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٢.

وعبد المحسن السعدون هذا من صنائع الانكليز، وهو بدوي فظ، كان عضواً في مجلس «المبعوثان» ثم في حزب الاتحاد والترقي، وخلال سنوات الاحتلال وثورة العشرين والسنة التالية لم يغادر اسطنبول، وفي نهاية العام ١٩٢١، اي بعد تتويج فيصل ملكاً، عاد الى العراق، وفي ابريل (نيسان) ١٩٢٢ عين وزيراً للعدلية في وزارة النقيب الثانية، وقد عُرف عنه اتجاهه السياسي الداعي الى التعاون مع الانجليز، واتباع سياسة الشدة ضد المعارضة لحملها على الاستجابة لمواقف الحكومة والانصياع لأوامرها. [٣٧]

وهكذا باشر هذا الرجل ومنذ اول يوم استلم فيه الوزارة الى استخدام سياسة العنف والترهيب، وقد تضمن بيانه الوزاري لفت نظر من ينشرون فتاوى العلماء، الى تعرضهم للعقاب وفق مواد قانون الانتخاب.

ثم أثار قضية الخلاف مع تركيا حول الموصل، من اجل الهاب المشاعر الوطنية والقومية، وكسب التأييد للحكومة، وأخذ يصرح بأن العراق محاط بالاعداء

---

(٣٧) الرهيمي، عبد الحليم: مصدر سابق ـــ ص ٢٦٣.

من كل جانب كابن سعود والاتراك والايرانيين والفرنسيين، ولهذا فإن مصلحة العراق مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالتعاون مع الانجليز.[٣٨]

إلّا ان العلماء بقيادة السيد ابو الحسن كانوا اذكى منه ومن بريطانيا، فقد صرحوا بان الاتراك مسلمون وأن الانكليز كفار، ولهذا فإن الواجب على العراق شرعاً ان يكون تحت حكم الاتراك بدلاً من حكم الانجليز، إذا لم يستطع ان يحرر نفسه واصدروا فتوى : «بتحريم الدفاع عن العراق ضد الاتراك».[٣٩]

وهنا عزم السعدون على تنفيذ ما ارادته بريطانيا من ضرب العلماء وابعادهم عن الساحة السياسية في العراق، وهو الاجراء الذي لم تكن بريطانيا تجرؤ على القيام به بنفسها، لذلك اوكلت هذه المهمة لهذا الرجل الفظ الغليظ، والذي بدأ اولاً باثارة النعرة القومية، والايحاء للجماهير بان العلماء غرباء واعاجم واجانب، وليس لهم الحق في التدخل في شؤون العراق وكان السعدون يكرر دائماً : « ان المجتهدين عجم وهم إذن غرباء عن العراق وليس لهم حق التدخل في سياسة هذا البلد ويجوز للحكومة ان تبعدهم عن البلاد» . وفي ٢٥ يونيو (حزيران) اصدرت الحكومة بياناً رسمياً تناولت فيه قدحاً قبيحاً في المجتهدين، ووصفتهم بانهم دخلاء لا علاقة لهم بالقضية العربية !!. وشنت الصحف العميلة حملة اعلامية شرسة ضد العلماء، كانت ايذاناً بتوجيه الضربة المرتقبة لهم.

وقد تم ذلك بالفعل عندما قام السير برسي كوكس و بالتعاون مع السعدون باعتقال الشيخ مهدي الخالصي وتسفيره الى الحجاز في ٢٦ يونيو (حزيران) ١٩٢٣. وكان هذا الحادث ايذاناً بضربة شاملة لجميع المراجع والعلماء الكبار، مع ان بعض الاوساط كانت تشك في نجاح العملية، وخاصة

---

(٣٨) الوردي، الدكتور علي : مصد سابق ـ ص ٢٠٦.

(٣٩) الكاتب، احمد : مصدر سابق ـ ص ٧٩.

الملك فيصل الذي وضع يده على قلبه من الخوف وذهب بسرعة الى البصرة ليهدىء العشائر وابرق الى السعدون يقول : «اخبروا مجتهدي النجف بواسطة المتصرف بكل ما جرى مع الخالصي وأتباعه وطمئنوهم بأن يداوموا محافظين على السكينة وقائمين بواجباتهم الدينية مع ابلاغهم أسف الحكومة على اضطرارها الى اتخاذ هذه الاجراءات العنيفة» .(٤٠)

ومع ذلك فإن البريطانيين كانوا مصممين على اقصاء العلماء نهائياً وابعادهم عن العراق . وقد قال كور نواليس : «إن المجتهدين الموقعين على الفتوى (بالمقاطعة) يجب نفيهم الى ايران باعتبارهم رعايا ايرانيين» .(٤١)

و يذكر (فيليب ايرلند) انه و بعد أن فشلت جميع المساعي لاسترضاء العلماء، وأعيد اصدار الفتاوى في يونيو (حزيران) ، رأت المحافل البريطانية الرسمية ، ان العلاج الوحيد للمشكلة هو في اتخاذ اجراءات شديدة ضد العلماء انفسهم ، حيث ان الفرصة لا يمكن ان تسنح بالقاء الرعب في نفوس (الدهماء) إلّا باسكاتهم ، لكي تستمر الانتخابات دون مواجهة فعالة .(٤٢)

من هنا شعر السيد ابو الحسن الاصفهاني وعلماء النجف الآخرون ، بأن اجلهم قد اقترب ، وان ضربة حقيقية ستوجه اليهم ، لذلك شرعوا بقيادة معارضة صاخبة ضد اجراءات العنف الاخيرة ، من اجل ان يصل صدى أية جريمة يمكن ان تفعلها الحكومة بحقهم الى كل ارجاء العراق ، و بالتالي تكون عاملاً لإثارة زوبعة جديدة ضد الحكومة والانجليز. من هنا أصدروا أوامرهم بالاضراب العام في جميع مدن العراق ، وكان اضراباً ناجحاً وخاصة في الكاظمية و بغداد وكربلاء والنجف

---

(٤٠) المصدر نفسه : ص ٨٦ .

(٤١) المصدر نفسه : ص ٨٢ .

(٤٢) ايرلند ، فيليب : مصدر سابق — ص ٣٠٨ .

وبعض مدن الفرات الاوسط. وهدّد العلماء الحكومة بالقيام بهجرة جماعية الى ايران. وقادا السيد ابو الحسن (المرجع الاعلىٰ) تظاهرة احتجاجية وذلك بتوجيه نحو خمسين عالماً ورجل دين من النجف الى كربلاء.

وهنا امرت الحكومة السلطات المحلية في كربلاء بقمع التظاهرة واعتقال تسعة من كبار المجتهدين، في مقدمتهم السيد ابو الحسن الاصفهاني والشيخ حسين النائيني والشيخ محمد جواد الجواهري والسيد علي الشهرستاني والسيد عبدالحسين الشيرازي والشيخ احمد الخراساني والسيد حسن الطباطبائي والسيد عبدالحسين الطباطبائي إضافة الى خمسة وعشرين عالماً آخر من اتباعهم، وامرت السلطات أيضاً بابعادهم الى ايران. وقد جرىٰ ذلك في ٢٩ يونيو (حزيران) في قطار خاص عن طريق خانقين وذلك منعاً لحدوث اضطرابات.

لم تكن ردود الفعل الشعبية بمستوى الحدث بسبب سياسة العنف والارهاب التي اتبعتها حكومة السعدون، وهكذا تكون قد أغلقت صفحة من تاريخ آية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني، وفتحت صفحة جديدة، تلك الصفحة كانت مليئة بالجهاد والكفاح من اجل نيل المطالب الدينية والوطنية، وقد تميزت بشكل اساسي، بقيادته المباشرة لساحة العمل السياسي، وبالتالي قيادة المعارضة العلنية والصريحة ضد الانتداب والاحتلال البريطاني للعراق. وهذه الصحفة لو قرئت بصورة متأنية ودقيقة لكانت افضل ردّ على جميع المتقّولين والمتهمين لعلمائنا الاعلام بانهم قليلو خبرة سياسية، او انهم غرباء، اجانب، ليست لهم تطلعات وطنية، وهي بالتأكيد ليست إلّا صدىٰ وترديد لدعوىٰ الاستعمار، الذي سعىٰ وبكل طاقاته لاقصاء العلماء عن ساحة العمل السياسي، وبالتالي إفراغ الساحة له ولعملائه في البلاد الاسلامية. ولذلك فكانت هذه الضربة الناجحة نسبياً للعلماء محلّ سرور وفرح اركان النظام الاستعماري في العراق، هو ما عبرت عنه بجلاء الجاسوسة البريطانية المس بيل حيث قالت: «اما أنا فابتهج وافرح أن ارىٰ

هؤلاء الشيعة الاغراب يقعون في مأزق حرج فإنهم من اصعب الناس مراساً وعناداً في البلاد»[٤٣]

في ايران.. ثورة جديدة

لم تكن جريمة الإبعاد هي الضربة القاضية للمؤسسة العلمائية كما خُيِّل للبريطانيين وعملائهم، فالعلماء وبقيادتهم المرجعية لم يعدموا الحيلة نهائياً بعد، ولازالت هناك اوراق واساليب يتمكنون من خوضها في صراعهم مع المحتلين والنظام الاستعماري الحاكم في العراق.

ولكي نكون دقيقين اكثر، لابد من القول بان بريطانيا، لم تكن ترى ان ضرب العلماء واهانتهم بهذه الصورة. وابعادهم الى ايران هو الحلّ الامثل والافضل، ولكن يمكن اعتباره الحلّ الاخير لترسيخ ركائز النظام الاستعماري في العراق بعيداً عن اعتراض العلماء ومعارضتهم التي لم تكن السلطات البريطانية والحكومة العراقية العميلة قادرة على وقفها او الحدّ منها.

ونعتمد في قولنا هذا على اساس ان ايران ايضاً في ذلك الوقت لم تكن ساحة هادئة وساكنة، وبالتالي فإن ابعاد المراجع والمجتهدين اليها لا يعني طمس آثارهم، وقبر قضيتهم، بل هي ايضاً كانت تشهد تفاعلاً حاداً مع القضايا الاسلامية التي يتبناها العلماء، وهو ما كان واضحاً عندما أُبعد العلماء اليها.

وتأسيساً على ذلك فإننا يمكن ان نقرأ الاحداث التي تلت ابعاد العلماء الى ايران، والتي انتهت بعودتهم بعد مبادرة من الملك فيصل وبايحاء من الانكليز للتفاوض معهم ومحاولة اقناعهم بالرجوع الى العراق.

لقد أثار تسفير العلماء من العراق موجة عارمة من السخط لدى الشعب

---

(٤٣) الكاتب، احمد: مصدر سابق — ص ٩٨.

الايراني، وأخذت الحركة المعادية لبريطانيا تستفحل في مختلف انحاء ايران ولاسيما في العاصمة طهران. وحين حلّ شهر محرم من ذلك العام في ١٤ اغسطس (آب) ١٩٢٣، صار خطباء المجالس الحسينية والوعاظ يثيرون الناس ضد الانكليز و يدعونهم الى إقامة المظاهرات ومقاطعة البضائع البريطانية.[٤٤]

وقد كان لقدسية العلماء في قلوب الشعب الايراني دور كبير في هذا التفاعل، فالمعاملة المهينة التي عومل بها العلماء لم تكن مرضية لدى ابناء الشعب الايراني، وكان ايضاً لآية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني دور كبير ايضاً في تأجيج الوضع ضد الانكليز.

فقد قرر السيد (ره) ان يتوجه الى مدينة قم المقدسة (مقر الحوزة العلمية في ايران)، فجرى له استقبال حاشد في هذه المدينة المشرفة، وخرج زعيم الحوزة العلمية في قم آية الله الحائري وكبار العلماء وطلبة العلوم الدينية وعموم اهل قم الى خارج المدينة لاستقبال السيد (ره) والعلماء الآخرين المبعدين. وتقرر تعطيل الدراسة والعمل لمدة شهر احتجاجا على الجريمة البريطانية بحق العلماء وقد اضطر شاه ايران (احمد شاه) ان يقوم بنفسه بزيارة السيد ابو الحسن مع وفد كبير من الوزراء والحاشية والمسؤولين في اليوم الثاني من وصول السيد الى مدينة قم.[٤٥] وقد استقر السيد (ره) في البيت الذي سكنه فيما بعد آية الله السيد البروجردي في محلة «آذر». وبمجرد وصول السيد ابو الحسن الى قم أخذ (ره) بتأجيج الوضع في ايران، و بدأ يحرض الناس على مقاومة الانكليز، ونتيجة لذلك تشكلت في طهران جمعية اطلق عليها اسم «الدفاع عن النهرين» هدفها الانتصار لقضية العراق السياسية وتأييد الشعب العراقي في مقاومته للانكليز. وانتقلت حملة الاستنكار

---

(٤٤) المصدر نفسه: ص ٨٧.

(٤٥) انظر: مرجع فارسي: «كنجينه دانشمندان» ج ١ ــ ص ٢١٧.

هذه الى داخل المجلس النيابي في ايران. ونتيجة لكل تلك التحركات برز رأي عام شعبي ضاغط على الشاه لاجل الضغط بدوره على الانكليز لالغاء قرار الابعاد المشؤوم واحس الشاه من ناحيته بالحرج وبدأ واضحاً ان الساحة في ايران اصبحت مهيجة بما لا يحتمله الشاه، فقدم شكواه للسلطات البريطانية واحتج على ابعاد المراجع، فردّ السيرلورين الوزير البريطاني المفوض في طهران: «ان مصلحة الحكومة الايرانية والحكومة العراقية في هذا الموضوع واحدة، ذلك ان تركز السلطات الدينية في أيدي المجتهدين الكبار في العراق، بحيث جعلهم فوق سلطة الحكومة المدنية امر شاذ لا يمكن لاية حكومة حديثة أن تتسامح به مدة طويلة ولهذا كان من الطبيعي أن تقاوم الحكومة العراقية هذا التسلط بكل ما تملك من قوة» [٤٦]

ولكن السيرلورين هونفسه فيما بعد احس بعظم خطورة الوضع في ايران، فاضطر للسفر الى بغداد في ٢٢ يوليو (تموز) ١٩٢٣، لبحث امكانية عودة العلماء المبعدين تجنباً لمضاعفات ابعادهم. [٤٧] وكتب ايضاً برقية مطولة الى وزير الخارجية البريطاني يشرح فيها الموقف المتأزم من جراء تسفير المجتهدين [٤٨] وقد اتفق لورين مع فيصل والسعدون في اثناء زيارته لبغداد، على عودة العلماء بعد الانتهاء من انتخابات المجلس التأسيسي والمصادقة على المعاهدة وملحقاتها.

وقد تسبب تسفير العلماء هذا في توتر العلاقات بين العراق وايران، وتوقف سيل الطلبة والزوار من ايران مما ادى الى ضائقة مالية في مناطق العتبات المقدسة وفي جهاز السكك الحديدية ايضاً. [٤٩]

---

(٤٦) الكاتب، احمد: مصدر سابق — ص ٨٨.

(٤٧) الرهيمي، عبد الحليم: مصدر سابق — ص ٢٧٩.

(٤٨) الكاتب، احمد: مصدر سابق — ص ٨٧.

(٤٩) المصدر نفسه: ص ٨٨.

من هنا فإن مخاوف البريطانيين من اندلاع قلاقل ومشاكل، كانت تؤرقهم حقاً، ولعلّ ذلك كان سبباً رئيسياً للتراجع عن قرار الإبعاد، وهنا بدأ الملك فيصل و بايحاء من الانجليز بتبني مفاوضات مع العلماء المبعدين من اجل عودتهم، وقد تم الاتفاق علىٰ عودة العلماء بشروط، وعاد السيد ابو الحسن والميرزا النائيني مع بعض العلماء الآخرين الى العراق في ابريل (نيسان) ١٩٢٤ بعد حوالي احد عشر شهراً من النفي خارج العراق. وعلى ذلك يمكن ان نقول ان البريطانيين لم يكونوا يدركون بصورة واضحة حدوث مثل هذه التطورات رداً على ابعاد العلماء، لذلك اضطروا الى التراجع عن موقفهم، ولكن كان عليهم ان يرتبوا البيت الداخلي للنظام العراقي العميل قبل ان يعود العلماء و يؤججوا الوضع مرة اخرىٰ وتفشل كل الخطط البريطانية فقد عجّلت الحكومة العراقية اثناء غياب العلماء باجراء الانتخابات، وتمكنت حكومة السعدون و باستعمال اساليب الضغط والارهاب من انجاز المرحلة الاولىٰ من هذه الجولة في نوفمبر (تشرين الاول) ١٩٢٣ بانتخاب المرشحين الثانو يين، واخذت تستعد لانجاز انتخاب النواب في المرحلة الثانية والاخيرة والتي تمت في فبراير ٢٥ شباط ١٩٢٤ رغم بعض مظاهر المعارضة التي جوبهت بها إثر اعادة طبع واستنساخ فتاوىٰ العلماء والبيانات السياسية التي تدعو لمقاطعة الانتخابات.

ومما يذكر في هذا المجال انه وجدت في منطقة الحي (٩١٧) ورقة انتخابية، كتب عليها عبارة «حرام». (٥٠)

وتم فيما بعد عقد الجلسة الافتتاحية للمجلس التأسيسي في ٢٧ مارس (آذار) ١٩٢٤ بحضور الملك والمندوب السامي. وهنا كانت المفاوضات مع العلماء المبعدين قد وصلت الى مراحلها الاخيرة، فقد وافق اخيراً المندوب السامى على

---

(٥٠) الرهيمي، عبد الحليم: مصدر سابق ــ ص ٢٧٨.

عودة غالبية العلماء في ٣ فبراير (شباط) ١٩٢٣ بشروط.

ولكن لماذا وافق السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) على العودة، وقبل بالشروط البريطانية، مع باقي العلماء الذين رجعوا الى العراق؟

ولماذا عاد السيد باسلوب آخر في العمل يختلف عن ذلك الاسلوب الصدامي الذي تسبب في ابعاده والعلماء الآخرين ؟

هذه الاسئلة وغيرها من الاهمية بمكان مما يجعلنا نفرد لها باباً مستقلاً هو في واقع الامر مرحلة جديدة، وصفحة اخرى في حياة آية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني، انها مرحلة «الثورة الثقافية» التي ابتدأت من حين عودته وحتىٰ اندلاع الحرب العالمية الثانية، بل وحتىٰ وفاته وانتقاله الى جوار ربه في عام ١٣٦٥هـ.

الثورة الثقافية

الانكفاء .. تحول استراتيجي ام تكتيك مرحلي ؟

بعد الضربة القاصمة التي وجهها صنيعة الانكليز عبد المحسن السعدون للعلماء الاعلام، وفي مقدمتهم المرجع الاعلىٰ السيد ابو الحسن الاصفهاني، يمكن ان نسجل انعطافه جديدة في تحرك السيد (ره) فقد كان الاسلوب المهين الذي قوبل به العلماء، والانتكاسة الحقيقية للمعارضة التي كانوا يقودونها، وتمزق رابطة الشعب بقيادته المخلصة، كلها كانت مدعاة الىٰ وقفة تأمل في حقيقة الارضية التي يبني عليها العلماء تحركهم وهو ما نتج عنه ما يطلق عليه الكتاب والمؤرخون حالة «الانكفاء» التي تميز بها دور العلماء بقيادتهم المرجعية العليا حتىٰ بداية الحرب العالمية الثانية.

وقبل ان نتناول تحليل هذه المرحلة في حياة السيد الاصفهاني (ره)، لابد من الحديث عن التطورات التي هيأت للمرحلة الجديدة.

فبعد محادثات طويلة، سعىٰ اليها الملك فيصل لدىٰ العلماء المبعدين، من اجل ترتيب عودتهم الى العراق شريطة التعهد بعدم التدخل في السياسة، على ان يتعهد الملك من جانبه بحل وزارة السعدون أي اليد التي ضرب الملك بها العلماء، وتشكيل حكومة جديدة، سعىٰ لعودتهم ومن ثم تحقيق مطلبهم الاساسي المتعلق بالغاء المعاهدة البريطانية ــ العراقية. بدأ الملك فعلاً اولىٰ خطوات تنفيذ وعوده عندما حمل وزارة السعدون على الاستقالة فتم ذلك في ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٢٣، وعهد الىٰ جعفر العسكري برئاسة الحكومة في ٢٢ من الشهر نفسه واما

قضية عودة العلماء المبعدين الىٰ العراق فقد تمكن الملك بعد مشاورات مع المندوب السامي البريطاني استمرت لاكثر من شهرين من استحصال الموافقة بعودتهم في ٣ فبراير (شباط) ١٩٢٤ شرط ان يتعهد كل منهم خطياً بعدم التدخل في السياسة، مع استثناء الشيخ مهدي الخالصي ونجله من العودة الى العراق اصلاً.(٥١)

فوافق معظم العلماء وفي مقدمتهم المرجع الاعلىٰ السيد ابو الحسن الاصفهاني بالاضافة للشيخ النائيني، وعادوا الى العراق في ابريل (نيسان) ١٩٢٤.

وهو الموقف الذي أثار الكثير من اللغط والجدل، فمن قائل بأن السيد ابو الحسن (ره) مزّق وحدة العلماء وأمات روح الثورة، الى قائل بانه (ره) تصالح مع الانكليز وتراجع عن مواقفه الثورية، الى قائل بان السيد كان سبباً في ما آلت اليه الاوضاع في العراق حتىٰ عصرنا الحاضر.. وغيرها من الآراء، التي لا تدعونا للأخذ بها بصورة ارتجالية دون تمحيص وتدقيق.

وهنا نشير الىٰ مجموعة من الملاحظات، التي يمكن من خلالها فهم موقف السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) الداعي الى القبول بالشروط البريطانية والعودة الى العراق.

اولاً: ان السيد لم يتراجع نهائياً عن العمل السياسي والثوري فقد عاد وقاد الساحة مرة اخرى للثورة ضد الانجليز عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية(٥٢) اضافة الى بعض الاعمال، التي تصدىٰ لها، ومنها على سبيل المثال: موقفه المؤيد لآية الله السيد حسين القمي الذي ابعدته السلطات الايرانية بعد ارتكابها مجزرة مسجد گوهرشاد في مدينة مشهد المشرفة والتي راح ضحيتها اكثر

(٥١) البصير، محمد مهدي: مصدرسابق: ص ٥٠٦.

(٥٢) سوف نتحدث عن ذلك فيما بعد.

من اربعة آلاف شخص. فعندما وصل آية الله القمي الى كربلاء مبعداً، ارسل اليه السيد ابو الحسن صهره والذي ابلغ القمي بان السيد أرسله اليه لأن يقبل يده.[٥٣] وهو عنوان بارز للتأييد والتعاطف مع قضية الشعب الايراني الذي كان يواجه ظلم الشاه.

وأيضاً هنالك حادثة اخرى ابرزت موقف السيد ابو الحسن المعارض، وقد وقعت في عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٦م)، حيث قام السيد نور الله النجفي مع حوالي ٣٠٠ شخص من علماء وطلبة اصفهان بالهجرة الى مدينة قم المقدسة احتجاجاً على ظلم الشاه، ولكي يكسب تأييداً لقضيته العادلة، فقد ارسل رسالة شفوية بيد الحاج ميرزا ابو الحسن البروجردي الى السيد ابو الحسن الاصفهاني في النجف الاشرف. فأبدى السيد تعاطفه مع قضية العلماء المهاجرين، وأرسل الى السيد نور الله النجفي رسالة تأييد ودعم واسناد لهم.[٥٤]

من كل ذلك فاننا يمكن ان نصل الى قناعة تؤكد أن السيد ابو الحسن (ره) غيّر تكتيكه فقط من المواجهة العلنية والحادة، الى العمل السياسي والثقافي الهادىء وهو ما كانت الساحة الاسلامية في العراق بأمس الحاجة اليه، فقد كان الشيعة يواجهون مشكلة قلة الكوادر، إذ لم يكن العلماء يسدون حاجة المدن الثلاث المقدسة التي كانوا فيها، وكانت معظم المدن والقرى والارياف الشيعية الاخرى تشكو من غياب العلماء وافتقادهم، ولذلك فقد كان الجهل الديني يتفشى فيهم بشكل مريع، ولم يكونوا يعرفون الف باء الاسلام، او الاحكام الاوليه منه، ماعدا بعض القصص التاريخية المتعلقة ببطولة الإمام علي بن ابي طالب والامام الحسين الشهيد عليهما السلام فحسب.

---

(٥٣) مجلة «نور علم»: مصدر سابق: ص ٩٨ ــ ٩٩.

(٥٤) المصدر نفسه: ص ٩٩.

وقد سبب هذا الفراغ الديني وقلة العلماء الى أن تفقد الجماهير الشيعية صلتها الوثيقة بالمرجع وتوثق علاقتها في المقابل «برئيس العشيرة» او شيخ القبيلة ، و بالتالي تخضع لعلاقاته واتجاهاته السياسية .

وقد ادرك السيد ابو الحسن الاصفهاني هذه الحقيقة المؤلمة ، ولما عاد من ايران توصل الى قناعة ثابتة بعمالة النظام، و بضعف القاعدة الدينية فاجتنب الخوض في الالأعيب السياسية اليومية ، وراح يعمل بجد وقوة على إرسال العلماء والمشايخ الى القرىٰ والارياف وخصوصاً الى القرىٰ النائية يعرفها الاسلام و يربيها على الحرية ــ و يوثق علاقاته التنظيمية والسياسية والمرجعية معها ــ و يدخرها لساعة الثورة .[٥٥]

إن المعركة لم تكن مع النظام الكارتوني المصنوع ، . بقدر ما كانت مع اصل البلاء الاستعمار البريطاني ، ولذلك فإن العلماء والسيد ابو الحسن الاصفهاني بالذات كانوا يتجنبون كثيراً أن يستهلكوا طاقات الشعب في الصراع مع صبيان النظام ، ولما حانت الفرصة في بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١[٥٦] سارع هؤلاء العلماء والسيد أبو الحسن في مقدمتهم الىٰ اعلان الثورة ضد الوصي والاستعمار.

ثانياً : تراجع التأييد الشعبي للثورة وخط الثورة المتمثل في العلماء. وكان ذلك جراء الخطوات التي نفذها الانكليز لفصل العشائر عن العلماء وتكوين واجهات اجتماعية وسياسية متغربة وموالية للانكليز وممثليهم في حكم العراق. وهو مادعىٰ النفيسي للقول بانه : «يمكن ايجاز الموقف الذي كان يقفه اهل المدن ورجال القبائل في انه كان موقفاً يتسم بالندم ، و بالتوق الى الرجوع الىٰ ما كانت

---

(٥٥) الكاتب، احمد : مصدر سابق ــ ص ١٠٠ .

(٥٦) المصدر نفسه : ص ١٠٣ .

عليه الامور سابقاً »[٥٧]

و يبدو أن الانكليز شخصوا بشكل دقيق المحرك الحقيقي للساحة العراقية والقوىٰ المتصدية والمؤثرة في الكفاح ضدها ، لذلك فقد بدأوا اولاً بفصل الجماهير عن قيادتها العلمائية ، من خلال اختلاق الاكاذيب والاشاعات ضد العلماء ، وتكوين رأي عام يندد بالعلماء و يعتبرهم سبب المصائب والبلاء الذي يحل بالمجتمع ، وقام الانكليز وعملائهم بالايحاء بان العلماء اجانب ، وليسوا عراقيين ، والعراقيون هم انفسهم يجب ان يحددوا مصيرهم ، وقد تكاملت هذه الصورة في البيان الذي اصدرته وزارة الداخلية العراقية في ٢٤ يونيو (حزيران) ١٩٢٣ والذي مهدّ لعملية ابعاد العلماء وقد جاء في البيان الذي اتسم بلهجته القاسية ضد العلماء : «انهم نفر من الدخلاء الذين لاعلاقة لهم بالقضية العربية ولا تهمهم مصالح الشعب ، وهم يختلقون اقوالاً زعموا انها مستنبطة من الشرائع الدينية ، ولم يقصدوا بها إلا الإخلال بسير الانتخابات وتضليل الرأي العام » .. و يضيف البيان : «ان هؤلاء الغرباء المهووسين تجاوزوا حرمة المراقد المقدسة والآداب الدينية بالصاقهم على اضرحة الائمة وجدران الحرم نشريات مفسدة ومهيجة تحت شعار الدين و باسمه ، مما يهتك حرمة العتبات المقدسة !! »[٥٨]

ومع ان هذه اللهجة العنيفة كانت مثار احتجاج للسكان في بعض مناطق العراق للاستهتار بالمقدسات الدينية ، ولكن هذا الاحتجاج اقتصر على المناطق المقدسة تقريباً ، في حين لم تحرك المناطق البعيدة عن جو العلماء ساكناً ، بل ان عملية ابعاد العلماءٰ لم تلق ردود فعل في داخل العراق تتناسب وحجم الجريمة .

و بالاضافة الى ضرب العلماء واستبعاد دورهم ، فقد مارست الحكومة

---

(٥٧) النفيسي ، عبدالله : مصدرسابق : ص ١٩٨ .

(٥٨) البصير، محمد مهدي : مصدرسابق : ص ٥٠٣ ــ ٥٠٥ .

العراقية والانكليز سياسة الترغيب والترهيب ضد العشائر ورؤسائها ، من اجل ابطال دورها في الجهاد ضد الانكليز.

فحكومة السعدون انتهجت سياسة القوة الى حدّ قصف مناطق بعض العشائر باستخدام الطيران الحربي ، كقصف العشائر القاطنة شمال بغداد في يناير (كانون الثاني) ١٩٢٣ . وقصف عشائر بني أسد في «الجبايش» في الفرات الاوسط.[٥٩]

ولكن هذه السياسة لم تستمر طويلاً ، فبدات سياسة الترغيب والاحتواء ، فبدأت الاتصالات بمجموعة من رؤساء العشائر الذين شاركوا بقيادة ثورة العشرين من امثال : محسن ابو طبيخ ، كاطع العواد ، علوان الياسري ، شعلان ابو الجون ، عبدالواحد سكر وذلك في محاولة لاقناعهم بالمشاركة في الانتخابات. وقد استجاب اكثرهم وابدوا رغبتهم بالتعاون مع الحكومة والانكليز.

وفي نفس الاتجاه قام الملك فيصل بجولة في مناطق الفرات وجنوب العراق في يونيو (حزيران) ١٩٢٣ ، تمكن خلالها من اقناع عدد من رؤساء العشائر المعارضين للحكومة بتغيير موقفهم والتعهد بالمشاركة في الانتخابات ، مقابل بعض الامتيازات والمنح المالية.

وبسبب هذه السياسة تمكنت الحكومة من شق وحدة العشائر، والحدّ من خطورتها ، وهو ما كان واضحاً من عدم ابداء اي ردود فعل تجاه ابعاد العلماء بالصورة المهينة تلك.

وبالاضافة الى كل ذلك فقد سعت الحكومة لتفتيت وحدة المعارضة السياسية وخاصة في بغداد ونجحت الى حدّ ما في ذلك.

---

(٥٩) الرهيمي ، عبد الحليم : مصدر سابق ــ ص ٢٦٨.

والانكليز ومنذ ان حلّوا في العراق بدأوا ــ كما هو معلوم ــ بتكوين فئة ، انتهت في اخر الأمر الى ادارةالحكم في العراق ، فكان أفرادها الاداة المناسبة لتثبيت الانتداب وترسيخ السيطرة الانكليزية على العراق.

من كل ذلك فقد احسّ السيد ابو الحسن (ره) والعلماء الآخرون ، بان الساحة سوف لن تكون معهم في حالة رفضهم العودة للعراق وسوف تنتهي قضيتهم، وتعطى السيطرة المطلقة للانكليز في حكم العراق، من هنا آثر السيد (ره) بناء الارضية بصورة اكثر عمقاً من مظاهر التأييد والحماس الوقتي، فاتجه (ره) للعمل الثقافي وتثبيت المؤسسات العلمية والثقافية والاجتماعية والدينية في العراق والبلاد الاسلامية الاخرى.

ثالثاً : اهمية الحفاظ على النجف الأشرف كقلعة للمرجعية الشيعية. وما يُقال من ان السيد (ره) لو كان قد بقي في ايران مع العلماء الآخرين لأمكنه المساهمة في تأجيج ثورة عارمة ضد الانكليز هناك (وهو ما كان الانكليز انفسهم يحذرون منه ــ كما اشرنا الى ذلك ــ ولذلك سعوا الى عودتهم وإرجاعهم الى العراق). هذا القول يمكن التعقيب عليه بأن ايران في ذلك الوقت كانت تمثل حقّاً قلعة من قلاع التشيع، كما كانت النجف الاشرف والعراق عموماً يمثل القلعة الاولى والاصلب للتشيع والمرجعية والحوزة الدينية. إلّا أن تركيز التواجد في ايران كان يعني تحجيم الانطلاقة الثورية للتشيع في إطارها الجغرافي فقط، خاصة وانها كانت معزولة عن العالم الاسلامي، بالاضافة الى ان ذلك كان يرسخ التهمة التي تشاع ضد الشيعة زاعمة أنهم مجموعة من الموالي والايرانيين فقط.

ان النجف الاشرف كانت ساحة مفتوحة لكل المسلمين، وكانت تعجّ بالقادمين لزيارة الائمة (ع) والتزود من العلماء الاعلام لذلك كان لابد للعلماء من ان يحافظوا على مكانتها ، فهي يمكن ان تكون مصدر الاشعاع للفكر الشيعي

الثوري، وهوما لم يكن يتحقق في ايران حينها.

رابعاً: اعادة الهيبة للعلماء:

لقد اصبح موقف المرجعية والقيادة العلمائية في تزلزل عظيم بعد الضربة القاصمة التي وجهها الانكليز لهم في العراق، وكان ذلك من أمارات الطلاق بين العلماء والجماهير. فقد كثرت الاقاويل والاشاعات ضد العلماء وهوما فطن له السيد ابو الحسن (ره). لذلك قرر الرجوع الى النجف ليكون بين الجماهير حيث مقر المرجعية، وملتقىٰ زوّار العتبات المقدسة. من هنا كانت اعمال السيد (ره) بعد ذلك تصب في هذا الاتجاه لاعادة الهيبة والمكانة الحقيقية للعلماء.

وقل ان شهد التاريخ الشيعي مرجعاً اعلىٰ يعيش بين الجماهير كما كان السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره).

خامساً: اتفاق كلمة العلماء على العودة الىٰ العراق:

أما مايُقال بأن السيد (ره) اتخذ موقفاً متخاذلاً في مقابل موقف الشيخ مهدي الخالصي (ره) الذي لم يرجع الى العراق لرفضه الموافقة على شروط الحكومة، فإننا لم نعثر له على دليل، والذين تحدثوا عن هذه المسألة من الكتاب والمؤرخين اشاروا الىٰ أن الانكليز كانوا استثنوا الشيخ الخالصي من قضية إرجاع العلماء.[٦٠] فالارجح ان موقف السيد ابو الحسن المرجع الاعلى والشيخ حسين النائيني والشيخ مهدي الخالصي كان موحّداً حول ضرورة العودة ومباشرة العمل من العراق للضرورات التي ذكرناها آنفاً.

إن «حالة الانكفاء» التي يوصف بها موقف السيد ابو الحسن (ره) والعلماء الآخرين ليست واردة، فهي لم تكن قطيعة نهائية، وطلاقاً بلارجعة مع

(٦٠) المصدر نفسه: ص ٢٨١، انظراً ايضاً: البصير، محمد مهدي: مصدرسابق: ص ٥٠٦، وغيرهم.

العمل السياسي، بل ان الظروف والاوضاع السائدة في ذلك الوقت حتمت على السيد (ره) ان يغير من تكتيك عمله المعارض، وقد ساعده على ذلك ذكاؤه وحنكته السياسية اللذين تميز بهما وما اتجاهه الى العمل الثقافي والمؤسساتي إلّا لاعداد الارضية الصالحة لتقبل العمل الثوري، وتقبل قيادة العلماء.

والسيد ابو الحسن (ره) طوال مدة قيادته المرجعية لم ينفصل و ينزو عن العمل السياسي، بل كان يمارسه حتى مع تركيز التوجه الثقافي في المرحلة الممتدة منذ نهاية ثورة العشرين وحتى اندلاع الحرب العالمية الثانية.

السيد ابو الحسن (ره) يقود الثورة الثقافية

عندما حلّ الانكليز مستعمرين للبلاد الاسلامية بدأوا بصناعة شخصيات موالية اشدّ الولاء لهم، وذات عقلية غربية حتى يمكن من خلالها ترسيخ وتثبيت الاستعمار في هذه البلاد.

وعندما بدأ القرن العشرون، بدأ رجالات الانكليز بالصعود الى رأس السلطة في مجموعة من البلاد الإسلامية.. فجاء كمال اتاتورك الى تركيا، وأمان الله خان الى افغانستان ورضا خان الى ايران، وفي العراق اخذ نجم ياسين الهاشمي بالصعود، بالاضافة الى جعفر العسكري ومن ثم نوري السعيد وهم جميعاً من رجالات الانكليز الاوفياء.

والمتابع لسير هؤلاء جميعاً يجد ان هناك منهجاً واحداً وخطة واحدة اتفقوا عليها وكلّ أخذ يطبقها في بلاده حسب الظروف والامكانيات التي توفرت له، وكانت تلك الخطة خطة بريطانية للسيطرة بصورة اعمق على البلاد الاسلامية.

لذلك اخذ هؤلاء جميعاً ووفق المنهج الموحد.. بتحطيم البلاد اقتصادياً، زراعياً صناعياً، وتحطيم شخصيات البلاد، تحطيم العشائر، ونزع سلاحها، ثم

محاربة الاسلام والقرآن والمساجد ورجال الدين، وخلع العمائم من رؤوس رجال الدين، خلع الحجاب من النساء، نشر الخمور والقمار والمراقص والملاهي في البلاد، والإتيان بالمستعمرين الى بلاد الاسلام، وقد أتوابهم بالفعل الى افغانستان والعراق وايران والباكستان وتركيا.

وكمثال على هذه السياسات في ايران، وبعد ان وصل رضا خان الى الحكم في ٢٥ ابريل (نيسان) ١٩٢٦ فقد بدأ ربط ايران بالغرب على غرار سياسة مصطفى كمال اتاتورك في تركيا، وقد كان الاعجاب متبادلاً بين المذكورين وقد سعى رضا خان الى تبديل العادات والتقاليد في المجتمع الايراني بالطريقة الغربية اعتباطاً لمجرد انها «أشياء أوروبية» فأصدر في نفس سنة وصوله للحكم قانوناً منع بموجبه ارتداء النساء للحجاب، وسعى لتطبيق ذلك بالترغيب والترهيب، وفي ١٩٣٥ منع الحجاب نهائياً في ايران واقرّ عملية سفور النساء رسمياً. وقد قامت الاميرة «شمس» كبرى بنات الشاه بقيادة الحركة النسائية (الحديثة) فأنشأت اول فرقة لمرشدات الكشافة في ايران، واسست اول ناد نسائي في طهران، كما منعت الموظفات وطالبات المدارس من ارتداء العباءة، وبذلك اخذ الزي الأوروبي بالانتشار.

وكذلك اصدر الشاه مرسوماً رفع الحدّ الادنى للزواج للفتيات لسن الخامسة عشرة، وأجاز للمراة تطليق زوجها إذا تزوج عليها زوجها بأخرى، واصدر قانوناً جديداً للأحوال الشخصية منقولاً عن القانون الفرنسي وأحله محل الشريعة الاسلامية، وفتح مكاتب لتسجيل الزواج والطلاق في كافة المدن الايرانية.

وفي سنة ١٩٢٩ اصدر الشاه قانون اللباس الموحد الشكل بحيث فرض على الرجال ارتداء القبعة على الرأس والسروال (البنطلون) والسترة (الجاكيت) على الطراز الاوروبي، كما وحد زي رجال الدين، ومنعهم من ارتدائه إلّا باذن خاص.

وخلال خمس عشرة سنة من حكمه اضطر مئة الف من رجال الدين الى ترك الزي الديني، وعامل رجال الدين بقسوة بالغة.[٦١]

و ينقل احد العلماء مثالاً لتقليص عدد العلماء في ايران، فيقول انني ذهبت الى ايران في زمن رضا خان لزيارة الامام الرضا (عليه السلام) فذهبت الى مشهد وفي كل طريقي ذهاباً وإياباً لم أر إلّا مُعَمَّمين فقط احدهما رأيته في طهران والآخر رأيته في خراسان !!.

وهذه السياسة اوجدت نوعاً من الكراهية لعلماء الدين، حتىٰ ان السيارات لم تكن تحملهم أبداً. وقد حدثت لصاحب مفاتيح الجنان والآثار الاُخر المرحوم الشيخ عباس القمي(ره) مشكلة بسبب هذه النظرة السلبية للعلماء. اذ يقول احد العلماء انه كان ذاهباً من «أراك»[٦٢] الى مدينة «قم المقدسة» بسيارته، وفي الطريق رأىٰ الشيخ عباس القمي في الصحراء جالساً وحده، ومنشغلاً بالتأليف. فتعجب لذلك ونزل ليسأل عن السبب قائلاً: شيخنا ماذا تصنع هنا. قال الشيخ: حملتني سيارة من «أراك» قاصداً «قم» وفي اثناء الطريق توقفت السيارة لعطب بها. فإذا بالسائق يقول: إن وقوف السيارة من شؤم هذا الشيخ!، فنزل السائق وأنزلني، ثم اصلح سيارته وذهب عني، فجلست انا في الصحراء لا ملجأ لي إلّا الله عز وجل. وحيث معي قلمي ودفتري وكتابي اشتغلت بالتأليف حتىٰ يفرج الله عنّي، ولوان سيارتك لم تكن تمرّ من هنا لبقيت الى الليل، وربما كنت طعمة للوحوش المفترسة!

كما ومنع رضا خان ايضاً عقد الاجتماعات الدينية ومجالس العزاء إلّا

---

(٦١) مجذوب، طلال: ايران من الثورة الدستورية حتىٰ الثورة الايرانية ــ ص ٣٠٠ ــ ٣٠١.

(٦٢) وهي مدينة تقع بالقرب من مدينة قم المقدسة، وكانت تسمىٰ في السابق بعراق العجم في مقابل عراق العرب الذي هو المعروف ذاته.

بـاذن مسبق من الشرطة ، وقلص من المجالس الحسينية ، وجعل الاحتفال بذكرىٰ عـاشوراء في اضيق الحدود ، وقلل من اهمية الاحتفال بالاعياد الدينية ، ومن العناية بـالمسـاجـد . وعـنـدمـا جرىٰ اجـتـمـاع حـاشـد في مسجد « كوهرشاد » في مشهد للاحتجاج على اجراءات الشاه امر الشرطة بمهاجمة المجتمعين وقد قتل آنذاك اربعة آلاف شـخـص ، و يُقـال انه لما نُقل اليه الخبر قال غاضباً : « المسجد يتسع لعشرة آلاف شخص ، فأين ذهب الباقون ؟ »[٦٣]

وفي مجـال الـتـعـليم ارسل بعثات من ستين طالباً للتخصص في جامعات اوروبا .[٦٤]

الحـال كـان ممـاثلاً تقريباً في افغانستان وتركيا ، اما في العراق ، فقد اراد الانـكـليـز ان يـكـون لـ «يـاسين الهاشمي» دور في العراق حتىٰ يصنع كما صنع الآخـرون ، فـكـان شـخـصية لامعة في الدولة ، لذلك قام بتوحيد اللباس او «اتحاد الـشـكـل» كـمـا يسمونه في ذلك الوقت ، وصنع بعض الاشياء الاخرىٰ ولكنه لم يـوفـق لـمـقـاصـده الاسـتـعـمـارية . فقد أراد بالاتفاق مع ابن خالته «طه الهاشمي» الـذي كـان لـه تـأثير قـوي على الجـيـش ، و بـدعـم مـن الانكليز ، القيام بانقلاب عـسـكـري في الـعـراق ، واتـفـقـا ان يـعملا معاً لتحقيق اهداف بريطانيا كاملة في الـعـراق إلّا أن الله سبحانه وتعالىٰ لم يشأ ذلك فقد فطن فيصل الاول لمؤامرتهما ، فـأمر بـنـفـي يـاسين الهـاشمي ، وعندما علم بذلك هرب من العراق باتجاه تركيا ، والأتراك ايضاً لم يكونوا يرغبون في وجوده بين ظهرانيهم لذلك ففي الحدود قالوا له انـك مـريـض ويجـب زرقـك بأبرة للشفاء ، فزرقوه بأبرة قاتلة . وهكذا لم يوفق لان يكون اتاتورك او بهلوي العراق .

---

(٦٣) مجذوب ، طلال : مصدرسابق : ص ٣٠٢.

(٦٤) المصدر نفسه : ص ٣٠٣.

امام كل ذلك كان السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) واعياً لمؤامرات الاستعمار، ولمّا كان يمثل المرجعية العليا لذلك فقد كانت المسؤولية العظمىٰ لردع هذه المؤامرات تقع على عاتقه من هنا فقد اخذ السيد (ره) بمحاربة كلٍّ من هؤلاء حرباً ثقافية ، اي أنه قاد «ثورة ثقافية» في البلاد الاسلامية التي كان له فيها نفوذ. وقد تركزت منجزات السيد (ره) في العراق وايران وافغانستان، اما في تركيا حيث لم تكن هناك يد للمرجعية فإنه لم يوفق لعمل شيء ، لذلك فتركيا ظلت حتىٰ اليوم تعيش غربة حقيقة عن الاسلام ، ولازال اعتمار العمائم ممنوعاً. فالحال لم يتغير عما كان عليه في عهد اتاتورك.

من هنا اخذ السيد ابو الحسن (ره) يركز جهوده على تربية العلماء والخطباء والمبلغين والمرشدين والمدرسين والمؤلفين ويجمع كلمتهم.. و بينما كانت العمائم محرَّمه في ايران وافغانستان وتركيا ونوعاً ما في العراق ايضاً ، اكثر السيد (ره) من نشر اعتمارها وكان كالأب الرؤوف بالنسبة لطلبة العلوم الدينية ، يربيهم و يدير امورهم ، و يوجههم ، و يرشدهم ، ويحترمهم ، و يوجب احترام الناس لهم. (٦٥)

واول ما وجه السيد (ره) جهوده اليه هو تقوية جناح العلماء في المجتمع الاسلامي ، حتىٰ تبقىٰ صلة الناس بالعلماء لا بالحكام الجائرين وقد تمكن بذلك من ازالة النظرة السلبية التي علقت بأذهان الناس تجاه رجال الدين والعلماء ، وكان من اساليبه (ره) في ذلك : انه كان يعطي المال لأساتيذ الحوزة في النجف الاشرف و يوصيهم بألاّ يقولوا بأن المال منه ، وإنما يوحون للناس بأنهم هم الذين يأخذون الاموال من الحقوق الشرعية و يوزعون هذه الاموال على تلاميذهم كما هي العادة الجارية في الحوزات العلمية. وكان السيد بذلك يريد ان يوحي

(٦٥) سوف نتحدث عن ذلك في فصل قادم إن شاء الله تعالىٰ.

للناس بأن العلماء آقوياء ومقتدرون ، فكان من يأتي من البلاد الاسلامية الى النجف الاشرف فيرىٰ هناك حوزة ضخمة ورجال دين يدرسون جماعات من الطلبة (٥٠٠ او ١٠٠٠ طالب او أقل او اكثر) ، يقتنع بأن دور رجال الدين لم ينته كما يحاول المستعمر الإيحاء بذلك.

وفي ايران وعندما طُرد رضا خان من الحكم، ارسل السيد ابو الحسن (ره) جماعة من رجال الدين وأعطىٰ كل واحد منهم كمية من المال وقال لهم : إن شأنكم فقط هو ان تمشوا في شوارع طهران جيئة وذهاباً من الصباح الىٰ المساء. وليس اكثر من هذا، حتى يطمئن الناس ان الدين قدرجع الىٰ البلاد، وهكذا و بعد فترة وجيزة تمكن (ره) و بحنكته وذكائه من أن يعيد هيبة وسمعة العلماء الى ايران.

و بالاضافة الىٰ ارجاع الهيبة الى العلماء، فقد كانت للسيد ابو الحسن (ره) مشاريع عمل ومؤسسات كثيرة اهتم معظمها بالبناء الثقافي ، فقد اولىٰ السيد (ره) اهتماماً خاصاً لبناء المساجد والحسينيات والمكتبات في جميع ارجاء العالم الاسلامي من امريكا الىٰ اقصى الهند، وكان يبني في كل مكان مسجداً ، وحسينية ، مكتبة ، ومدرسة ، ويجعل له هناك وكيلاً عاما مهما كانت الظروف صعبة.[٦٦]

وسعىٰ السيد (ره) لأن يطرق ابواب مناطق كثيرة كانت بامس الحاجة لفكر وهدي الائمة عليهم السلام. ومما ينقل عنه انه لما ظهر أن في «كركوك»[٦٧] ونواحيها عدداً كبيراً يبلغ الآلاف من المنتمين الىٰ ولاية اهل البيت (عليهم السلام) وذلك بعد انحسار حكم العثمانيين عن تلك الديار، وقد استولى عليهم

---

(٦٦) سوف نتطرق لذلك بشكل مفصل إن شاء الله.

(٦٧) مدينة تقع في شمال العراق.

الجهال وانتشر فيهم التصوف غير المحمود والغلو وجهلوا احكام الدين الاسلامي واعماله أرسل اليهم الدعاة والمرشدين وعين لهم المرتّبات الكافية، فكان يصل الى بعضهم خمسمائة روبية في الشهر، عدا ما يرُسل اليه من الخلع والعباءات الفاخرة ليهدوها الى الرؤوساء استمالة لهم. وألف (ره) لهم رسالة في احكام العبادات بالتركية الشائعة بينهم ووزعها عليهم، وبنى لهم المساجد والحسينيات.[٦٨]

(٦٨) الامين، السيد محسن: اعيان الشيعة مج ٢ — ص ٣٣٢.

الحرب العالمية الثانية.. وعودة لتصدر العمل السياسي المباشر

كان لاندلاع الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ ، دور كبير في تحريك الوضع السياسي في العراق، وهنا استغل بعض العسكريين و بقيادة رئيس الوزراء حينها رشيد عالي الكيلاني مع اربعة عقداء في الجيش الاوضاع للقيام بحركة مضادة للانكليز كانت اهدافها محسوبة على الاشخاص الذين قاموا بها.

ولكن، ولان الحركة كانت موجهة ضد الانكليز، وقد تكون سبباً في التحرر من قبضتهم وتحقيق مطلب الاستقلال التام، فإن السيد ابو الحسن الاصفهاني ومجموعة من العلماء استغلوا التحرك الجديد في سبيل نهضة شعبية شاملة تهدف الى اخراج الانكليز من العراق.

و يبدو ان السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) قد صعد الى واجهة العمل السياسي المعارض رغم ان الأخيرلم يكن ضمن تكتيكه في المرحلة السابقة حيث اتبع اسلوب العمل الثقافي والسياسي الهادىء، وقد نرجع السبب الى الضعف الواضح الذي اصاب الانكليز وخاصة وهم يخوضون حرباً عالمية مدمرة بالاضافة الىٰ بروز خطوط معارضة كثيرة في العراق تراوحت بين خطوط عميله لقوى اجنبية

اخرىٰ، او خطوط مصلحية، او خطوط وطنية او خطوط اسلامية، وهذه كلها كانت تشكل ضغطاً واضحاً وقوياً على البريطانيين الذين اصبحوا على مشارف الانهيار، كما وصلت في مرحلة سابقة الدولة العثمانية والتي وصفت حينها بـ «الرجل المريض».

من هنا فإن تحرك السيد ابو الحسن لم يكن محظوراً بصورة كبيرة، بل إن الساحة كانت مهيأة بصورة جيدة لتقبل العمل السياسي المعارض.

وهكذا فقد تحرك السيد ابو الحسن بالاضافة الى مجموعة من العلماء المجتهدين الكبار كالسيد حسين القمي والسيد ميرزا هادي الخراساني في كربلاء، والشيخ الجزائري والشيخ كاشف الغطاء في النجف الاشرف واخرين، وأمروا باخراج بريطانيا من العراق.

وقد اصدر هؤلاء العلماء فتاوىٰ تدعو الى طرد الانكليز، وقد طبع كتاب صغير وفيه صورة كل عالم وفتواه، وتم توزيعه بشكل واسع في العراق.

اما المرجع الاعلى السيد ابو الحسن الاصفهاني فقد اصدر فتواه التالية:

«بسم الله الرحمن الرحيم، السلام على كافة اخواننا المسلمين وأخص العراقيين منهم. إن الواجب الديني يقضي على كل مسلم بحفظ بيضة الاسلام وبلاد الاسلام بقدر استطاعته، وهذه البلاد العراقية المشتملة على مشاهد الائمة ومعاهد الدين، يجب علينا جميعاً محافظتها من تسلط الكافر والمدافعة عن نواميسها الدينية فإلىٰ هذا احثكم وادعوكم، وفقنا الله واياكم لخدمة الاسلام والمسلمين إن شاء الله تعالىٰ.

٦ ربيع الثاني ١٣٦٠

ابو الحسن الموسوي الاصفهاني»[٦٩]

---

(٦٩) الاسرار الخفية لحركة ١٩٤١ — ص ٢٧٠.

وكان لفتوى السيد ابو الحسن والعلماء الآخرين، و بالخصوص الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء دور كبير في تحريك قبائل الفرات الاوسط ودفعها الى المشاركة بالمعركة لصالح الاستقلال والتحرر.

وقد كان يمكن لهذا التحرك الجديد ان يكتب له النصر المؤزر، لولا التخاذل الذي ابداه الجيش، فرشيد عالي الكيلاني و بحكم موقعه الطبقي والطائفي والسياسي الحليف للاستعمار والمعادي للشعب لم يحبذ ولم يرتح لتدخل الشعب في الثورة ضد الانكليز خوفاً من ازدياد مساهمة الشعب وخصوصاً قبائل الجنوب الشيعية، في السلطة في المستقبل، ولذلك فلم يلتجىء الى الشعب ولم يفكر في اعداده وتسليحه بصورة جدية حتى انه لم يعلن النفير العام. (٧٠)

و يقول اسماعيل احمد ياغي في كتابة حركة رشيد عالي الكيلاني: «غير أن نشاط رجال العشائر قد تحدد فيما بعد كنتيجة لطلب قائد الجيش خشية تعاظم نفوذ الشيعة ومطالبتهم بنفوذ اكبر على الحكومة». (٧١)

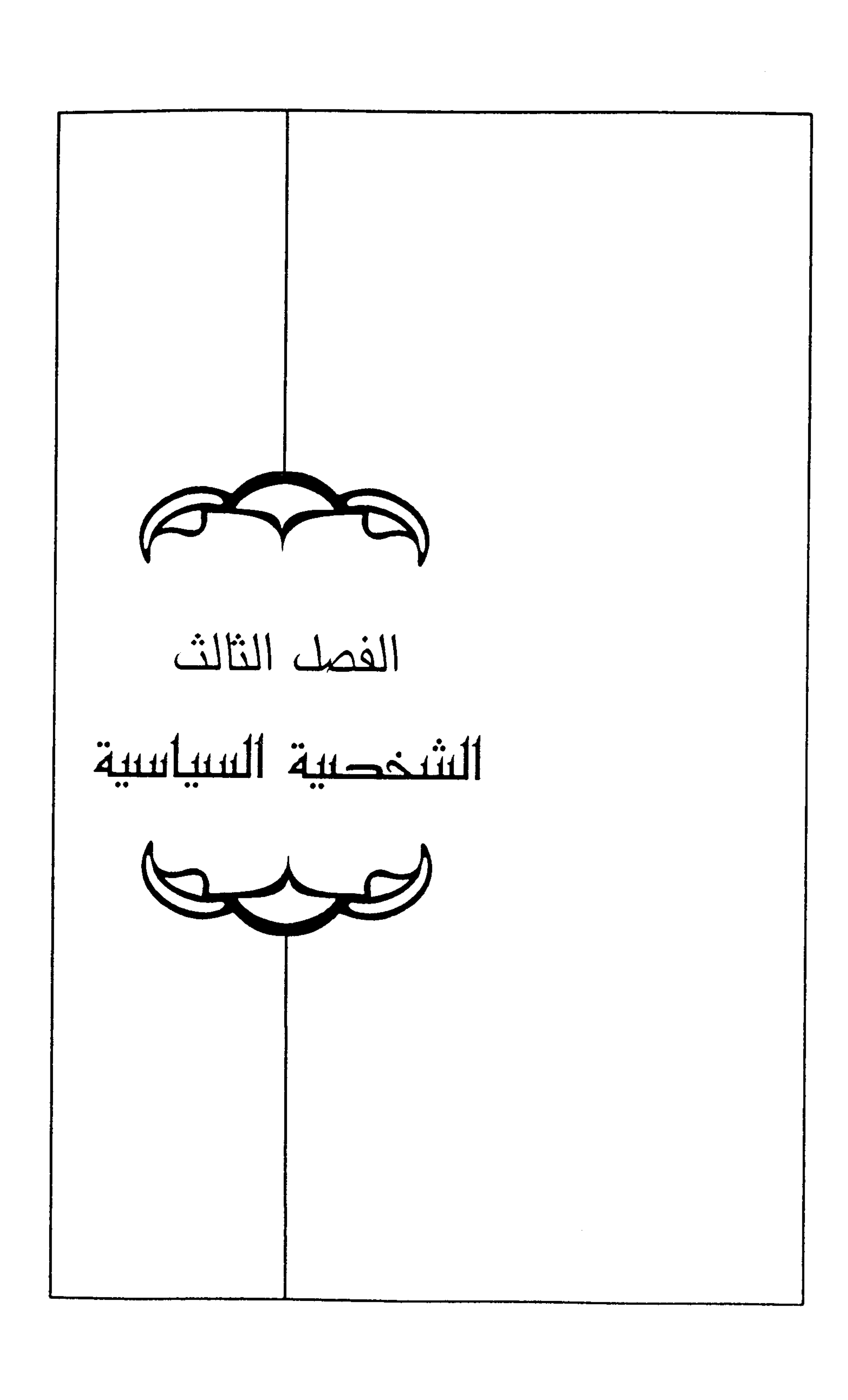
وقد كانت نتيجة هذا التخاذل والخيانة ان هرب العقداء الاربعة في الجيش مع اعضاء وزارة الكيلاني في يوم ٢٩ ابريل (نيسان) ١٩٤١ الى ايران. وسقطت بغداد، واستسلمت مرة اخرى للقوات البريطانية.

ومع كل ذلك فقد كان لتحرك السيد ابو الحسن (ره) والعلماء الآخرين دور كبير في تصعيد المواجهة مع المحتلين الانكليز، وكانت من ثماره الخروج البريطاني من العراق فيما بعد.

---

(٧٠) الكاتب، احمد: مصدر سابق ـ ص ١١٩، نقلاً عن: الدرة، محمود: الحرب البريطانية العراقية ١٩٤١ ـ ص ٢٣٧.

(٧١) ياغي، اسماعيل احمد حركة رشيد عالي الكيلاني ـ ص ١٦٣.



الفصل الثالث

الشخصية السياسية



مقدمة

هناك في تاريخ العلماء نهجان متقابلان الاول : الانكفاء والابتعاد عن ممارسة الدور السياسي، وإذا كان لابد من الدلو في السياسية فلتكن محدودة بردود الفعل الآنية إزاء الاحداث التي تحتم على القائد المتصدي لامور المسلمين ان يتخذ موقفاً معيناً تجاهها، اما النهج الثاني : فهو التصدي للعمل السياسي وممارسة الدور السياسي بكل ماتتيحهُ الفرص والظروف من امكانات، والسائر على هذا النهج بالتالي تتشكل له شخصية سياسية مستقلة و بارزة، و يبدو ان التاريخ لم يركز الا على اولئك السائرين على النهج الثاني.

السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) اتخذ النهج الثاني وسار عليه طوال المرحلة التاريخية التي عايشها، وكان يرىٰ ان هذا النهج هو الاصل في تركيبة القيادة المتصدية والقائدة للمسلمين، و بالتالي فلابد من ممارسة العمل السياسي والخوض فيه وعدم تركه للآخرين ممن لا يحملون من روح الدين شيئاً و بالتالي فإن ممارستهم السياسية ستشوبها الانحرافات والاهواء والتقليد الاعمىٰ كما هو موجود في الواقع من اساليب في العمل السياسي.

وهكذا فقد تميز السيد ابو الحسن (ره) بشخصية سياسية فذة، اكتسبها بالخبرة والتجربة والممارسة التي لم تكن فقط في مدة مرجعيته العليا التي دامت زهاء (٢٥) عاماً تقريباً، بل قبل ذلك بكثير أي عندما كان طالباً في بدايات حياته الدراسية.

[الحصافة والذكاء]

ونحن قبل ان نحاول تحديد ملامح هذه الشخصية الفذة، علينا أن نتحدث عن ميّزة تعتبر ركيزة هامة في بناء هذه الشخصية وهي «الذكاء الحاذق» و«الحنكة السياسية». فمراجعة سريعة وعامة لجميع مواقف السيد (ره) في قيادته للمرجعية تؤكد وجود هذه الصفة، بل ان هذه الصفة كانت مرادفة ومرافقة لاحداث كثيرة خاضها السيد بوعي وذكاء وحنكة.

وإذا أردنا ان نبحث عن عوامل النبوغ والذكاء عند السيد (ره) فلابد من الإشارة الى عاملين ـــ لاندعي وحدانيتهما بل بروزهما ـــ شاركا في تكوين الذكاء والحنكة عند السيد ابو الحسن، وهذان العاملان هما: البيئة والتربية.

فمن جهة تتميز البيئة الاصفهانية عادة بالنباهة والذكاء الامر الذي أورثهما للسيد، ومن جهة اخرىٰ فالتربية التي تلقّاها السيد (ره) على يد علمائه الذين تتلّمذ على أيديهم كانت كفيلة بخلق مثل هذه الصفة.

والعامل الثاني يجعلنا نقف عند حقيقة هامة يمكن ان تُثَبَّت في تاريخ علمائنا المعاصرين فالمراقب لحركة الثورة والتجديد في تاريخ التشيع في قرننا هذا

يجدها تنبع من شخصية زاهرة ورائدة ألا وهي شخصية السيد محمد حسن المشهور بالميرزا الشيرازي (١٢٣٠ــ ١٣١٢هـ)، والذي اعتبر مجدد القرن الثالث عشر الهجري. والذي اعتبره الاستاذ الوردي كـ(اعظم مجتهد شيعي في العهد الحميدي العثماني)، ووصفه المجتهد الاكبر السيد محسن الامين في الاعيان بانه: «من مشاهير المدرسين في الاصول ومربي العلماء، وقد تخرج من حوزته العلمية على يديه اكثر فقهاء عصره، كما و يعتبر من العلماء المجددين، فضلاً عن تمتعه بعقل سياسي حصيف»

ووصفه السيد حسين الصدر[1] في كتاب «تكملة امل الآمل»: «بأنه مجدد الاحكام وأن عقله السياسي كان محيراً للسياسيين، وان اهل العلم والسلاطين يرجعون اليه في الامور السياسية».[2]

هكذا كان الميرزا الشيرازي (قدس سره) الذي قاد ثورة التنباك في ايران، وقاد التحرك الثوري للشيعة يوم كان العلماء ــ في انظار الناس ــ لايعدون ان يكونوا اساتذة او مدرسين او عبّاداً زاهدين وما الى ذلك.

ومن هذا المنبع خرج قادة الثورة والتجديد في بدايات القرن الهجري الماضي، وعلى يد الميرزا الشيرازي وايديهم صنعت النهضة الجديدة للتشيع في العالم الاسلامي.

ومن ابرز هؤلاء الملا كاظم الخراساني رحمه الله المعروف بالآخوند، والذي كان من أشدّ مؤيدي المجدد الشيرازي وأقربهم اليه، ،وهو الذي قاد ثورة الدستور في ايران.

---

(١) من كبار المجتهدين في الكاظمية ايام ثورة العشرين وما بعدها.

(٢) الصدر، السيد حسن: تكملة أمل الامل ــ ص ١٢٦.

ومنهم ايضاً الميرزا محمد تقي الشيرازي رحمه الله ، قائد ثورة العشرين الباسلة في العراق ، وعلى ايدي هذين الاثنين تخرج آخرون واصلوا نهج اساتذتهم ومربيهم منهم الشيخ فتح الله الاصفهاني رحمه الله ، المشهور بشيخ الشريعة الذي تلّمذ على يد الآخوند الخراساني ، وقد اشترك في حركة الجهاد وقاتل في جبهة القرنة سنة ١٩١٥م ، وخلف الميرزا تقي الشيرازي في منصب المرجعية العليا في صيف ١٩٢٠ ، وفي قيادة ثورة العشرين حتى وافاه الاجل في ديسمبر (كانونا الاول) ١٩٢٠م.

ومنهم ايضاً الميرزا حسين النائيني رحمه الله الذي كان أحد التلامذة المقربين للملا كاظم الخراساني ، وقد ساهم في قيادة حركة العلماء المراجع بعد ثورة العشرين ، وكانت له مساهمات مشهودة في ثورة الدستور في ايران وثورة العشرين.

ومنهم كذلك السيد الجليل ابو الحسن الاصفهاني رحمه الله ، وقد تلّمذ ــ كما سبق ــ على ايدي اولئك العلماء الاجلاء ، فكان تلميذاً مخلصاً للآخوند الخراساني رحمه الله وقد سار على نهجه ونهج استاذه المجدد الشيرازي .

وحول خصلة الحذق والذكاء الشديد عند السيد ابو الحسن (ره) يمكن ان تستوقفنا الكثير من القصص ، والشواهد التي تحكي لنا احد كوامن العظمة عند السيد (ره) .

ومن ادق من رأى هذه الصفة عند السيد (ره) المجتهد الاكبر السيد محسن الامين (ره) والذي كان معاصراً للسيد فقد كتب يقول في الاعيان : «نظرته عام سفري للعراق سنة ١٣٥٢ ومارسته فرأيت فيه رجلاً كبير العقل واسع العلم والفقه بعيد النظر دقيقه ، صائب الرأي عميق الفكر ، حسن التدبير ، واسع التفكير ، عارف بمواقع الامور ، جاهداً في اصلاح المجتمع ــ لو استطاع ــ شفيقاً على عموم

الناس، عالي الهمة، سخي النفس، جليل المقدرة، عظيم السياسة...»[٣]

ومما يزيد في السيد (ره) قدرة على ادارة الامور، انه كان يتابع كل شيء و يتفحص عن الجزئيات، وكان من عادته ان يسأل اي انسان يأتيه عن بلاده التي يقطنها سياستها، واقتصادها، واجتماعها ... وكان يتفرس و يسأل بدقة عن الاشخاص المرتبطين به.

عرفه دون لقاء سابق !!

ومما ينقل عن ذكاء السيد ابو الحسن (ره) القصة التي يرو يها (الحاج مهدي نويخت) وهو احد تجار كربلاء الكبار في عصره يقول: كنت مقلِّداً للسيد ابو الحسن ولم يكن قد رآني أبداً، لانّي لم اذهب اليه ولم التق به مطلقاً، وعلاقتي به كانت فقط من خلال رسالة كنت قد ارسلتها اليه، قلت فيها: إنّي من مقلديكم وان الحقوق التي لكمعنديهي كذا وكذا.. فأرسلوا الي من يأخذها مني تدريجياً عن طريق حوالات مالية.

و بعد حوالي ستة أشهر من هذه الرسالة، وحوالات السيد تترى عليّ وأنا أجيبها، في احدى المرات كنت ذاهباً لزيارة العباس (عليه السلام)، وكان السيد ابو الحسن حينها زائراً لكربلاء. وكنت أنا داخلاً الصحن الشريف وإذا بالسيد (ره) يشرع خارجاً منه، فكانت فرصة ان أسلِّم عليه، و بالفعل اتجهت اليه وقبلت يده، وإذا بالسيد يتفرّس فيَّ لحظة ثمَّ قال لي: انت حاج مهدي نويخت؟ قُلت: نعم سيدنا.. من اين تعرفني ؟!! فأنا لم أرك ولم ترني من قبل. فأجاب السيد (ره): في الحقيقة أنا سألت عن اوصافك، فشخص طيب مثلك وملتزم كان لابد ان اعرف أحواله وأوصافه والآن لمّا رأيتك فهمت انك ذلك الشخص الذي وصفوه لي!

---

(٣) الامين، السيد محسن: اعيان الشيعة مج ٢ — ص ٣٣٢.

وتلك الايام كانت ايام زيارة كما يقول الحاج مهدي، اي ان السيد كان يلتقي بالآف الناس فكيف استطاع ان يميز شخصاً بعينه من بين هذا الحشد ومع هذه المسؤوليات والمشاغل التي ترتبط بالمرجعية العليا، وهو اضافة الى ذلك لم يكن قد رآه !!.

ثلاثة عصافير بحجر

إنها احدى مكامن العظمة التي تصبغ شخصية السيد ابو الحسن (ره) بصبغتها وهذا الذكاء الفطري عند السيد (ره) كانت له انعكاسات واضحة وخاصة في العمل السياسي، وادارته السياسية للامور. فكان (ره) متميزاً بحنكة سياسية راقية، تمكن بها ان يفوت الكثير من الفرص على الاعداء. ولعلّ ابرز قصة تروىٰ في هذا المجال. هي قصته مع سفير بريطانيا في العراق أواخر ايام السيد (ره). وهي قصة ينقلها (الحاج عباس اخوان) احد كبار تجار العراق. يقول: كان السيد (ره) زائراً للكاظمية، وقد سكن داراً واسعة لان المراجعين له، كانوا كثيرين جداً، فقد كان المرجع الاعلى لعموم الشيعة وكانت سفراته الى الكاظمية قليلة. وحينها ذهبت لزيارة السيد (ره) وكان عنده جماعة خاصة (لان وقت جلوسه العام لم يحن بعد) في هذه الاثناء قال له خادمه: ان السفير البريطاني يُريد زيارتك. فأشار السيد بان يتفضل. فدخل السفير (وكان يعرف اللغة العربية بصورة جيدة) وأخذ يتحدث للسيد (ره) قائلاً: «اننا والحمد لله انتصرنا في الحرب العالمية الثانية ببركة الله تعالىٰ و بهمة الناس، والملكة نذرت أنه إذا نصرنا الله على هتلر فسنقدم لرؤساء كل المذاهب والاديان في العالم كميات كبيرة من المال شكراً لله تعالىٰ. وقد اعطينا لبابا روما ١٠ آلاف دينار، ولشيخ الازهر مثلها، ولزعيم الصابئة ولحاخام اليهود وللسيخ كل واحد كمية من المال (الرقم الاكبر كان للبابا ولشيخ الازهر) وكمية قليلة جئنا بها اليكم، وأخرج من جيبه صكاً

وقال هذا (١٠٠) ألف دينار!!.. نَريد ان نقدمها لكم، لانكم رئيس الشيعة في كل العالم، ولكم حاجات كثيرة، ولهذا خصصت الملكة (١٠٠) الف دينار لكم.[٤]

الحاج عباس يقول: نحن الجالسون تحيرنا. هل سيأخذها السيد وكيف سيأخذها؟ او يرفضها.. وكيف يرفضها؟

سادت حالة حيرة وانشداد لما سيجري، فإذا بالسيد(ره) قد أخذ الصك شاكراً ووضعه تحت فراشه، وهذا مازاد حيرتنا واستغرابنا ثم اتوا بالشاي للسفير.

و بعد وقت قصير، اخرج السيد الصك من تحت الفراش وكتب خلفه شيئاً وقال للسفير: في الحقيقة هناك مسلمون كثيرون عندكم في افريقيا والهند وفي بريطانيا ايضاً واماكن اخرىٰ.. وهؤلاء تضرروا من الحرب كما تضرر سائر الناس، ونحن الآن لا نملك مالاً حتىٰ نقدم لهؤلاء المسلمين ما يكفيهم، ولكن هذا شيئاً بسيطاً ضموه الى اصل مالكم وقسموه بين الفقراء المسلمين في تلك البلاد، والمال الذي أنا قدمته لكم هو ايضاً (١٠٠) الف دينار، فيصبح مضافاً لمالكم (٢٠٠) الف دينار هنا اصبح السفير في مأزق كبير وصار حائراً لايدري ماذا يفعل، فهل يقبل وهذا نقض لغايته، او لا يقبل وكلام السيد في غاية المنطق والحكمة. فأحمر وجهه احمراراً شديداً واصبح يتخبط في دوامة، ولكنه اخيراً رأىٰ انه لابد من ان يقبل، فأخذ الصك، وكان السيد قد حوله الى تاجر من التجار في بغداد لاخذ المال منه.

و يقول الحاج عباس: انه عندما ذهب السفير، اتيت الى السيد وقلت له: سيدنا اتيت بالعجب، فقال لي: لاعجب أني ما أردت ردّ المال مباشرة ولا أردت

---

(٤) هذه الكمية كانت تكفي في ذلك الوقت لمرتبات الطلبة لستة اشهر او لعلّها تكفي لسنة كاملة، وكانت تعادل خُمس او سدس ميزانية السيد السنوية والتي تقدر بحوالي ٥٠٠ ـــ ٦٠٠ ألف دينار!.

أن آخذ المال . فرأيت آن في هذه الصورة خدمة للمسلمين بالفعل لأن البريطانيين سيقسمونه على المسلمين كما هي عادتهم .

و بذلك يكون السيد ابو الحسن (ره) و بفضل ذكائه وحنكته السياسية قد ضرب ثلاثة عصافير بحجر واحد ، فهو اولاً : لم يكن يُريد ان يثير الانكليز ضده بدون سبب . وثانياً : لم يكن يُريد ان يقبل المال منهم وهي اهانة كبيرة له وللشيعة عموماً ، وقبوله كان يعني تنازله عن مبدأ الاستقلالية الذي دأب علماؤنا الاجلاء على طول التاريخ على العمل بها في مواردهم المالية ، فليس من عادة العلماء اخذ المال من الجهات الرسمية . ولعلّ ذلك كان سرأمن اسرار قوتهم وتقدمهم . وثالثاً : فإن السيد (ره) اراد ان يقدم خدمة للمسلمين في تلك البقاع النائية التي كان من العسير ان يصلها بيده لعونهم ومساعدتهم .

هذه القصة تبقى خالدة بخلود السيد (ره) ، وتبقى شاهدة على حنكته وفطنته التي كان يستغني بها عن الكثير من الوقت والجهود ، لكي يتدبر أمراً من هذه الامور الحساسة والمؤثرة .

قراءة المستقبل

وقصة اخرى تكشف ايضاً عن عبقرية السيد ابو الحسن (ره) ، وهي انه ذات مرة اشترى كل حنطة العراق في موسمها ، فتعجب الناس كثيراً لهذا العمل . واوصى السيد (ره) البائعين بان يحفظوا الحنطة عندهم حتى يأتي وقت اخذها منهم و بعد مدّة اتفق ان رأى ان الحنطة قد ارتفع سعرها في اطراف العراق . فوصل الخبر للسيد (ره) فأطرق قليلاً ثم رفع رأسه وقال : «يبدو لي أنه قد تساوى في هذا اليوم الفقير وغير الفقير من ارباب المال ، لخلو البلد من الحبوب ، فاحملوا هذه الحنطة الى جميع الخبازين و بيعوا بعضها خبراً على الناس بسعر دون السعر المقرر، وامنحوا بعضها مجاناً للفقراء حتى تنكشف الازمة وتصل حبوب التموين الى النجف» .

وهكذا فعل الوكيل وهكذا نادى المنادي بأن الخبز قد اصبح في متناول الجميع على أن يتناوله الفقراء مجاناً ، والاغنياء غير المدخرين بسعر الكلفة و بلا أية فائدة[5] وعندما سئل السيد عن موقفه هذا قال : انني قد علمت ان هذه السنة ستكون سنة قحط ، وأن المياه ستكون قليلة ، وقد قال المنجمون بذلك. لذلك اشتريت الحنطة لانني إذالم اشترها كانت تتسرب للخارج حيث الاسعار مرتفعة هناك ، والناس في العراق يتضررون بذلك. وهذه ايضاً من ملامح ذكاء السيد رحمه الله حيث انه كان يقرأ المستقبل، وكان يعد العّدة له ، وكان ملتفتاً وملاحظاً لكل جوانب الامور و يتخذ التدابير اللازمة لها ، وهي صفة هامة وضرورية بالنسبة للقيادة ، حيث لابد من ان تكون قادرة على التخطيط والتدبير.

والقصص والقرآئن كثيرة ، وكلها تجمع على ان السيد ابو الحسن رحمه الله كان يمتلك حصافة سياسية وذكاءً خارقاً كان افضل عون له في التعامل مع الظروف والمتغيرات.

ولعلّ صفة الذكاء التي كان السيد رحمه الله يتميز بها هي البارزة في شخصيته السياسية. ولعلّنا نشاهدها في كل مواقف السيد رحمه الله تجاه الاحداث والتطورات المختلفة ، ولكي تتكامل الصورة لابد من البحث عن بعض ملامح هذه الشخصية الفذة.

---

(٥) الامين . السيد محسن : مصدر سابق — ص ٣٣٣ — الهامش — من كلمة للشيخ محمد الشريعة بعنوان «المثل الاعلى في الزعامة».

ملامح الشخصية السياسية للسيد ابو الحسن رحمه الله

اولاً : رجل الإدارة

من ابرز صفات القائد الناجح هي مقدرته الإدارية ، وهي تعني بمعناها العام تنظيم النشاط الجماعي للافراد لتحقيق اهداف معينة ، في حين تعني القيادة في معناها العام عملية التأثير في نشاطات الافراد لتحقيق اهداف معينة. (٦)

من هنا فإن الدور الإداري يأتي ليقنن و ينظم نشاطات الافراد من أجل الوصول الى تكاملية الدور القيادي ، ولذلك فإن قائداً لايحمل الصفات الإدارية ، هو قائد ناقص الاهلية للقيادة ، وكثيراً ما سيعاني من الفشل والسقوط. و بالعكس فإن قيادة تتقن الدور الإداري تكون اقدر على خوض المهمات القيادية باتجاه تحقيق الاهداف والغايات الموضوعة.

وهذه الرؤية تنطبق بشكل كبير على علمائنا الاعلام الذين قادوا المرجعية الدينية ، فمنهم من تميز بادارته الحكيمة فكان قائداً فذاً وناجحاً ، ومنهم من تجاهل هذا الدور او لم يتقنه فكانت قيادته مشوبة بالكثير من الهفوات والاخطاء.

---

(٦) كنعان ، الدكتور نواف : القيادة الإدارية ــ ص ٩٧.

وإذا أردنا ان نصنف السيد ابو الحسن رحمه الله بين هذين النوعين من القيادة فإننا يمكننا القول انه رحمه الله تمكن من ان يتقن، بل و يتفنّن بالدور الإداري في قيادته للجماهير المسلمة. لذلك استحق ايطلق عليه لقب «رجل الإدارة الحكيمة».

وإذا أردنا أن نخوض في هذا البعد من حياة السيد ابو الحسن فإن علينا ان نستكشف شخصيته بصورة أعمق، ونخوض في عناصر يمكن ان ترشدنا الىٰ الدور الإداري له.

التصدي للمرجعية

١ ــ تصديه لإدارة الجهاز المرجعي الاعلىٰ.

عندما توفي السيد كاظم اليزدي (قدس سره) في ٢٢ ابريل (نيسان) ١٩١٩م، وكان المرجع الاعلىٰ للشيعة، حينها كانت الاجواء تتهّيأ لثورة العشرين، وكان العراق كله يعيش اجواء الثورة ضد المحتلين الانكليز لذلك ففي تلك الظروف كان الفراغ القيادي يحتاج الى ملء ومن هنا نشر حوالي (٩٠) عالماً كبيراً رسائلهم العملية، وكان من بينهم السيد ابو الحسن الاصفهاني (رهٰ)، والميرزا محمد تقي الشيرازي، وشيخ الشريعة، والسيد حسين القمي، والشيخ حسين النائيني وغيرهم.

وحتىٰ وفاة شيخ الشريعة الاصفهاني (ره) في (ربيع الثاني ١٣٣٩هـ) كانت الرئاسة العامة قد انتقلت من اليزدي الى الميرزا تقي الشيرازي ثم الى شيخ الشريعة و بعدها انحصرت في الشيخ حسين النائيني والسيد ابو الحسن الاصفهاني، ولكن لنبوغ السيد وقدرته الادارية فقد وجد نفسه مؤهلاً لان يتصدىٰ للمرجعية العليا، و بالتالي رجعت له عموم الشيعة في التقليد و ينقل صاحب الاعيان قصة رحلته الى العراق ثم الى ايران في سنة (١٣٥٢هـ)، والتي كانت

تهدف فيما تهدف اليه الى ان يكشف المرجع الاعلىٰ بين عشرات المراجع المطروحين على الساحة بعد صاحب العروة السيد كاظم اليزدي ، وكانت العادة الجارية ان المناطق البعيدة عن مكان المرجع الاعلىٰ عندما يتوفىٰ كانت ترسل الوفود والوكلاء ليروا من هو اكثر لياقة ليكون المرجع الاعلى للمسلمين، وقد انتدب السيد محسن الامين (ره) من قبل سوريا ولبنان لهذا الغرض، وقد كان من عادة السوريين واللبنانيين انهم إذا زاروا العراق قدموا الى ايران أيضاً لزيارة الامام الرضا (عليه السلام) لبعد منطقتهم وصعوبة السفر، وهكذا فعل السيد محسن الامين إذ ذهب الىٰ النجف حيث مقر المرجعية، ثم الى خراسان ثم رجع الى بلاده. وقد عين من المراجع السيد ابو الحسن الاصفهاني (رحمه الله) واختاره ليكون مرجعاً اعلىٰ ولهذا قلد أهالي سوريا ولبنان السيد. وعندما سئل السيد محسن الامين (ره) عن سبب اختياره للسيد ابو الحسن مع العلم بوجود علماء آخرين وكبار. فقال : في الحقيقة انني رأيتهم جميعاً علماء عدولاً ، لكن رأيت في السيد ابو الحسن شيئاً آخر وهو حُسن الإدارة مما دفعني الى اعتباره لائقاً لإدارة شؤون المسلمين.

واشار الىٰ استنتاجه هذا بالقول : انني عندما وصلت الى النجف الاشرف زارني السيد ابو الحسن في اول يوم بينما لم تكن بيني و بينه معرفة كاملة، فدعاني الى الغذاء ثم أمر بعض ذو يه ان يدعوني للطعام غداً. في العشاء وفي الصباح وطيلة بقائي في النجف كنت ضيفاً للسيد ابو الحسن ، ثم امر السيد جميع المقربين اليه بأن يزوروني باعتباري من علماء سوريا ولبنان فزاروني مع العلم باني لم اكن معروفاً كثيراً.

وأما بقية العلماء فبعضهم لم يزرني ، و بعضم زارني بعد ايام زيارة عابرة ولمّا عزمنا على التوجه لزيارة الرضا (عليه السلام) حضر الى منزلنا وطلب اخلاء المجلس ثم قال : اتريد السفر الىٰ ايران . قلت : نعم . فقال : يلزم ان تستعد للباس يقي البرد لان ايران باردة وكثيرة الثلج (وكان ذلك في اوائل ابريل

نيسان). ثم قال: وأين تُريد ان تنزل في طهران. قلت انا رجل درو يش لا أُبالي اين أنزل. قال: هذا لا يمكن لأن ايران ليست جبل عامل فلابد من نزولك في منزل معروف. قلت: ان رجلاً ممن ينتسب الىٰ العلم من اهل طهران كان في النجف وعرض عليّ النزول في داره واجبته . قال: هذا لا يصلح أن تنزل في داره. قلت: قد وعدته بذلك و يصعب علي خُلف الوعد. قال: المحافظة على مكانة العلم اهم من خلف الوعد. فاختر غيره من اهل المكانة في العلم لا كتب له بذلك قلت: انا لااعرف احداً هناك. وإنما أسمع بالشيخ اسحاق الرشتي والسيد محمد البهباني. قال: اختر احدهما لا كتب له. فاخترت الرشتي. ثم قال: إذا لزمك امر في كرمنشاه فراجع فلاناً، وإذا لزمك امر في طهران فراجع فلاناً. وإذا لزمك امر في خراسان فراجع فلاناً. ثم طلب دفتراً فكتب اسماءهم فيه بخط يده فشكرته على ذلك. [٧] ثم سألني تعيين ساعة الخروج من النجف الاشرف فقلت له الساعة. وعندما خرجت من النجف الىٰ كربلاء. رأيت على مشارف كربلاء وكيل السيد ابو الحسن بانتظاري. فتبين انه اتصل بوكليه حتىٰ يستقبلني ويحترمني. ونزلت ضيفاً في دار وكيل السيد ومدة مكوثي في كربلاء كنت ضيفاً عنده وامر الناس بان يزوروني ويحترموني. و بعد أن اردت أن انصرف من كربلاء الى الكاظمية. سأل الوكيل عن ساعة خروجي من كربلاء فقلت له: ولما وصلت الكاظمية رأيت على مشارفها وكيل السيد ابو الحسن باستقبالي وضيفني عنده ودعىٰ الناس لزيارتي. و بعد ذلك ذهبت الى سامراء وكان كما في كربلاء والكاظمية. وتبين ان السيد ابو الحسن قد اوصى وكلاءه، ان كل وكيل يخبر الآخر بانني ضيف للسيد ابو الحسن فيجب استقبالي واحترامي.

و يقول السيد الامين: وعندما رحلت من سامراء الى مشهد وطوال الطريق ولعلّه عشرين مرحلة. من طهران الى قم ــ كرمنشاه ــ سبزوار ــ دامغان

(٧) الامين، السيد محسن: مصدر سابق ص ٣٣٣.

والخ.. والى ان وصلت الى مشهد. في كل هذه المناطق كنت ضيفاً للسيد ابو الحسن بسبب وكلاءه الذين كانوا ينتظرونني على مشارف المدينة و ينزلونني ضيفاً عندهم. وكذلك في رجوعي الى سوريا.[٨]

و يضيف السيد في كتاب الاعيان: انه ولمّا رجعنا من ايران الىٰ العراق بعدما اقمنا في ايران مدة خمسة اشهر ونصف شهر التقينا به في كربلاء فأول مارأيناه قال: أتُريد ان نكلمك بالفارسي او بالعربي. قلت: بما شئت فقال: لا تذكر لي شيئاً مما جرىٰ لك في ايران. كله عندي علمه. واخبارك كانت تأتيني يوماً فيوم وساعة فساعة.[٩]

من هنا فالسيد الامين (ره) يقول: «إن ماحازه من الرياسة العامة كان عن جدارة واستحقاق»[١٠]

فالسيد ابو الحسن (ره) و بكل هذه الشبكة الهائلة من الوكلاء، والقدرة العالية في الادارة، كان يستحق ان يصبح مرجعاً اعلىٰ. مع ان مكانة السيد العلمية ليست بتلك الشهرة التي تميز بها بعض مراجع عصره، وهو (ره) لم يؤلف سوىٰ كتاب واحد وهو رسالته العملية في احكام العبادات والموسومه بـ «وسيلة النجاة». ولكن قدرته الادارية وتجسد الصفات القيادية في شخصيته كانا عاملين مهمَّين في تصدّيه للمرجعية العليا.

وهذا لا يعني ان السيد لم يكن ذا قدرة علمية، فهو (ره) كان مديراً للحوزة العلمية ومجلس درسه كان من اكبر مجالس الدروس الدينية في النجف الاشرف. وكان مرجع استفادة لكبار العلماء والفقهاء.[١١]

---

(٨) ينقل هذه القصة احد العلماء المراجع الكبار (حفظهم الله).

(٩) الامين، السيد محسن: مصدر سابق ــ ص ٣٣٣.

(١٠) المصدر نفسه ــ ص ٣٣٢.

(١١) مرجع فارسي: ريحانة الأدب ــ ص ١٤٢.

٢ ــ رئاسة الحوزة العلمية ورعاية طلبة العلوم الدينية.

لعلّ من اعظم مواقف السيد ابو الحسن (ره) رعايته لطلبة العلوم الدينية وعنايته بهم اشدّ العناية، فكان (ره) بالاضافة الى اعطائهم الرواتب، يجري لهم الخبز بما يكفيهم ليومهم، هو عمل لم يقم به اي مرجع قبله او بعده. وكان (ره) يحرص اشدّ الحرص على ان يوفر للطلبة كل احتياجاتهم، وان يوجد الوحدة والتآلف بينهم، وان يرفع كلمتهم لان رفع كلمتهم يعني رفع هيبة العلماء ومكانتهم في قلوب الناس.

وهناك قصة ينقلها الشيخ محمد على المعروف (بالمعلم الافغاني)[١٢] حيث يقول: انه جاء في احدى المرات بخمسة آلاف دينار من الاخماس الشرعية من الافغان. فقدمها للسيد. فقال السيد له: هل لك منزل؟ قال: لا. قال: وهل تكفي هذه الاموال لبناء منزل؟ قال: نعم. قال: إذن خذها وابن لك منزلاً فاستغرب الشيخ. فقال السيد: هل هذه الاموال تكفي لكل رواتب الطلبة؟ قال: لا.. قال: نصف؟ قال: لا.. قال: ربع؟ قال: لا.. قال: إذن سيعوّضني الله بغيرها.

وقد جرت عادة السيد ان يعطي لكل طالب علوم دينية عنده اسرة وغير متمكن مسكناً يؤويه. وهذه كانت من اعماله الجليلة.

وكانت السيد (ره) يجري من الخبز لكل طالب علوم دينية ما يكفيه هو وعائلته من كل يوم، بحيث يعطي كل شخص (اوقية) من الخبز يومياً. اي اربعة ارغفة خبز. فإذا كانت العائلة من ثلاثة تعطى لهم ثلاث اوقيات اي اثنا عشر

(١٢) احد الاساتذة الكبار في الحوزة العلمية في قم، وقد وافاه الله الاجل في بداية عام ١٤٠٩هـ، وكان رحمه الله من العلماء الأفاضل.

رغيف خبز يومياً. وكان للسيد (ره) وكيل قائم على توزيع هذا الخبز.

وكان السيد (ره) يعطي اموالاً كثيرة للطلبة حتى أنه كان يقترض من اجل قضاء حوائج الطلبة والمحتاجين.

ووصل به الحال انه عندما لم يكن عنده مال كان يبيع بيته من اجل تلبية حاجات الطلبة والمحتاجين. وتنقل قصة عن السيد انه (ره) كان يمشي في احد الايام في الشارع او السوق فجاءه رئيس الخبازين في النجف الاشرف. وقال: سيدنا إن النقود التي صارت عليكم كثيرة ونحن نُريدها. فقال السيد: سوف اعطيك اياها والآن لا املك ولمّا ذهب ذلك التاجر. وإذا بأحد الطلبة جاء الى السيد وطلب منه مالاً: فأخرج السيد من جيبه مالاً واعطاه اياه. ولما ذهب. سأل احد مرافقي السيد عن سرّ عدم اعطاء المال التاجر في حين اعطاه للطالب. فقال السيد (ره): هذا الشخص التاجر يصبر عليّ وصبره جائز وعدم اعطائي له جائز ايضاً. ولكن هذا الطالب الديني من اين يأتي بالمال لاكله وشربه وعياله ومصروفه لقد كان هذا محقاً وقد حفظت المال حتى إذا مرّ علي طالب دين او فقير اعطيته اياه.

و ينقل عن السيد ابوالحسن ايضاً. .انه كان ماشياً في جنازة ابنه الكبير السيد حسن، وكان متأثراً جداً و يبكي، فهو ولده الكبير وكان يدير شؤونه وكان عالماً فاضلاً متقياً وخادماً للمؤمنين واثناء التشييع وهو بتلك الحالة من ضيق النفس اقترب منه احد الطلبة وقال له: سيدنا ليس عندي نقود فأخرج السيد من جيبه كمية من المال وقدمها اليه و بدأ بعض الجماعة الحاضرين يلومون هذا الطالب بحجة ان الوقت ليس وقت طلب الحاجة. ولكن السيد اسكتهم قائلاً لهم: لا بأس. وهو بذلك يضرب اسمى درجات الحبّ والرعاية الابوية لطلبة العلوم الدينية.

و ينقل ايضا احد تجار اصفهان ولقبه (كوفائي) كان وكيلاً عاماً للسيد في اصفهان وكان يقول : ذات مرة اخذت عباءة من اجمل العباءات الشتوية من وبر الإبل ، وفي ذلك اليوم كانت العباءة العادية بقيمة (٧) توامين. وهذه العباءة كانت تثمن بـ(١٠٠) تومان. اي اكثر من (١٣) ضعفاً وذهبت بها الى النجف الاشرف وقدمتها للسيد في مجلسه فأخذها السيد وشكرني. وجعل العباءة امامه. في هذه الاثناء دخل احد الطلبة وعباءته ممزقة فنظر السيد إليّ وقال : هل هذه العباءة لي. قلت : نعم يا سيدنا. قال : لابأس ففتحها ولبسها في لحظات ثم نظر الى ذلك الطالب وقال له ما حاجتك قال : إن عباءتي ممزقة وأخجل أن امشي بها في الشارع. فبادر السيد الى عباءته التي اهديت له حالاً.. وقال للطالب اعطني عباءتك فأخذها ووضع العباءة الفاخرة على كتف ذلك الطالب ! ويضيف التاجر: قلت للسيد ياسيدنا هذا الطالب لايحتاج الى عباءة مثل هذه. وهذه العباءة هي لك. فقال السيد : لايخصك ذلك فأنت وهبت العباءة لي وأنا حرّ في التصرف بها. وقد لبستها حتى اصبحت ملكي.

وهكذا كان السيد يضحي بالغالي والنفيس من اجل راحة وسعادة الطلبة، الذين كان يعتبرهم ابناءه المدللين.

ومما ينقل عن اخلاق السيد ابو الحسن (ره) ، انه كان يولي احتراماً خاصاً لرجال الدين ، ومن قصصه في ذلك ما ينقله احد علماء النجف الاشرف وهو اية الله السيد هادي الشيرازي (من احفاد المجدد الشيرازي) قال : ذات مرة ذهب الى احد وكلاء السيد أريد منه المال حسب تحويل السيد اليه فأساء اليّ ذلك الوكيل. فغضبت كثيراً. وكان الوقت بعد الظهر فذهبت الى السيد وقلت له : تحولني الى شخص لا يقدرني و يهينني ولا يحترمني. ونقلت له القصة كاملة. فقال السيد : لابأس ماذا تُريد الآن هل تُريد ان تأتي إلي كل شهر وتأخذ منّي المال مباشرة، او تُريد ان احولك الى وكيل آخر؟ و بذلك يكون السيد قد منع

اهانة هذا العالم.

وإذا كان السيد (ره) يحاول ان يقضي كل حوائج الطلبة ، فإنه ايضاً كان يسعىٰ ما بوسعه للاصلاح بينهم وعدم اظهارهم متنازعين ومتصارعين حتىٰ يوحي للاعداء بان كلمة العلماء واحدة. هذا من جهة ، ومن جهة أخرىٰ يوحي للناس بأن العلماء «قلوبهم على بعضها» لانزاع ولاخلاف بينهم. و ينقل في هذا المجال انه وقع ذات مرة نزاع بين طالبين وضرب احدهم الآخر بالسكين ، وسمع السيد (ره) بهذه القصة التي وقعت في كربلاء. وعلم ان الطالب المضروب قدم شكوىٰ الى الشرطة ضد الطالب الضارب. فأرسل السيد احد الاشخاص الى الطالب المضروب يطلبه ، ولكنه لم يوافق على الحضور. لانه علم ان السيد إذا رآه سيأمره بالتنازل عن الشكوى ولكن السيد (ره) اصّر على حضوره فارسل ثلاثة وسطاء ، ثم ارسل ولده السيد حسين وقال : ائتني به بأية صورة. فأتاه به بعد الحاح شديد. ومن ثم السيد طلب الطالب الضارب فحضر. وصالح بينهما واعطىٰ كمية من المال للطالب المعتدى عليه جزاءاً لما اصابه ، وأصَّر عليه ان يذهب الى الشرطة و يسحب دعواه ، و بالفعل تم ذلك وقد حرص السيد (ره) على ان يتم الامر باسرع ما يمكن حتىٰ لا تشيع اخباره ولا يتطور الىٰ اكثر من ذلك. و بالفعل فقد سويّ الامر كلّه ببساطة و بأقل من نصف يوم.

وفي قصة شبيهة انه كان في النجف الاشرف عالم متنفذ ولكنه كان عديم الاخلاق ، فجاء ذات يوم مجموعة من طلبة العلوم الدينية الى السيد ابو الحسن واشتكوا لديه على هذا العالم على انه اخرجهم من مدرستهم واسكن فيها جماعة من أصدقائه ، وسألوا السيد هل نذهب ونشتكي عند موظفي الدولة ليأخذوا بحقنا ؟ أجاب السيد (ره) : لا .. لان هذا يسبب تفرقة بين كلمة العلماء ، وهذا العالم وإن أساء بعمله هذا ، ولكن علينا ان نحفظ انفسنا بأنفسنا وهو افضل. ثم اعطاهم كمية من المال وقال : استأجروا دوراً لكم واسكنوا فيها حتىٰ يفرج الله

عنكم.

و بعد فترة وعندما رأىٰ ذلك العالم حسن سلوك السيد، ترك المدرسة وسحب اصدقاءه منها. ورجع الطلبة الىٰ مدرستهم بحكمة السيد(ره).

هكذا كان السيد حريصاً اشدّ الحرص على ان يجعل من العلماء وطلبة العلوم الدينية كالبنيان المرصوص لاخلافات بينهم، ولاعداوات، ولامنازعات لكي يقتدي الناس و يثقوا بهم، و يطمئنوا لقوة العلماء ونفاذ كلمتهم.

وللسيد (ره) ايضاً قصة رائعة اخرىٰ تبين حرصه على الدفاع عن حقوق الطلبة والوقوف معهم في الشدائد. فينقل انه في احدىٰ المرات أُخبر السيد بأن احد الطلبة في النجف سُجن بشأن من الشؤون. وكان الوقت عند الظهيرة. وعندما قدموا للسيد غداءه في ذلك اليوم قال: لا اتغذىٰ.. فسألوه عن السبب. قال: لان هذا الطالب مسجون ومن غير الصحيح ان آكل وهناك طالب علوم دينية مسجون فأصّروا عليه.. وقالوا له: ان الوقت ظهيرة الآن والدوائر مغلقه، ولا يمكن الآن أن نعمل شيئاً. وهذا قانون والخ.. ولكن السيد اصّر على موقفه حتىٰ يؤتىٰ بالطالب و يأكل معه.

و بعد ذلك تدخل ابن السيد وهو السيد حسين فاتصل بقائممقامية النجف، فاتصلوا بالمتصرفية في كربلاء. وتمكنوا بعد مشقة من اخراج ذلك الطالب من السجن. وجاء الى بيت السيد ابو الحسن وتغذىٰ معه عصراً. لان الساعات طالت حتىٰ تمكنّوا من حلّ القضية.

وهذا موقف آخر من السيد ابو الحسن (ره) يُريد به ان يبرز تقدير واحترام الطلبة، وقد كان يُريد ان يؤكد ليس فقط على الناس بل على الحكومة ايضاً بأن تحترم الطلبة ولا تتعرض لهم بسوء. وهو موقف يكشف ايضاً عن قوة شخصية السيد والرهبة منه.

٣ ــ معالجة المشاكل المستعصية .

من ابرز معوقات الإدارة ــ حسب ما يشير الى ذلك المختصون في علم الإدارة ــ معوقان هما :

١ ــ المركزية الشديدة .

٢ ــ البيروقراطية والروتين .

اما المعوق الاول فإن مظاهر تبرز في عدم رغبة القيادي في تفويض الاختصاصات والصلاحيات للقيادات في الصف الثاني من السلم الإداري[١٣] وهذا يؤدي الى تعقيد العمل الإداري ، وتكبيله بالكثير من القوانين والاعراف التي تقتل المرونة في أداء الاعمال .

والمعوق الثاني يأتي على النقيض من المعوق الاول ، فالبيرقراطية حسب ما يعرفها هارولدلاسكي هي : «اصطلاح يوصف به الجهاز الحكومي الذي تكون الرقابة عليه في يد مجموعة من الموظفين الرسميين الذين تحد سلطاتهم من حرية الافراد العاملين في هذا الجهاز»[١٤] . وهذا المعوق ايضاً يعقد العمل الإداري و يؤدي الى التضحية بالمرونة ، ولعلّه اسوأ من الاول ، إذا ما تولدت بطانة سوء للقيادي ، فتتحكم بكل شيء وتدير كل شيء دون ان يكون القيادي قادراً على التغيير او توجيه المصالح وفق الرؤية التي يراها .

و بين طرفي النقيض هذين كان السيد ابو الحسن (ره) يسير في ادارة شؤون ومصالح المرجعية العليا خدمة للصالح العام .

ففي حين كان حريصاً كل الحرص على ادارة الامور والمشاكل المستعصية

---

(١٣) كنعان ، دكتور نواف : مصدر سابق ــ ص ٤٤٣ .

(١٤) المصدر نفسه ــ ص ٤٤٩ .

بـنفسه، كان ايضاً حريصاً على عدم تعقيد الامور، وعدم خلق الحواجز والتعقيدات أثناء عملية تنفيذ الخطط وتمشية الأعمال.

ومـن صفـاتـه التي اشتهر بها أنه كان لا يتوقف امام الانتقادات التافهة والبـسـيـطة، ولم يكن يعير لها اي اهتمام، إلّا حينما كان يُـنتقد على ذلك، فإنه كـان يـبين وجـهـة نـظـره، لان هـذه الامـور الـبـسيطة والتافهة لم تكن ــ حسب تـصـوره ــ تـزيـد او تـنقص شيئاً في مسيرة العمل والعاملين. وكثيراً ما كان ينتقد بحجة انه لماذا اعطيت فلاناً هذا المقدار من الاموال؟.. او لماذاقمت بهذا العمل؟ و ما الى ذلـك... كـل هـذه المـسـائـل لم يكن يتوقف عندها، إلّا إذا اصبح في موضع شبهة، وأصبحت الحاجة ملّحة لأن يبين وجهة نظره.

هـذا من جهة.. ومن جهة اخرى كان السيد ابو الحسن (ره) حريصاً كل الحرص على ادارة ومتابعة الاعمال والمهمات بنفسه، وكان يتدخل لحلّ المشاكل الكبيرة والمستعصية، بل حتى بعض المسائل التي تستعصي على وكلائه، او يسيؤن التـعـامـل معها. ولذلك فالتاريخ لم يسجل أسماء بطانة معينة كانت تلتف حوله وتدير الامور عوضاً عنه، بل ان القصص التي تنقل عنه تثبت انه كان يسيّر اعماله بمجموعة هائلة من الوكلاء والعلماء والمقربين، بل وحتى التجار والمثقفين. وكان يحاول ان يستثمر اي طاقة من الممكن الاستفادة منها وتوظيفها في خدمة الهدف.

و يـنـقـل آية الله السيد عبدالهادي الشيرازي (ره) وهو المرجع الاعلى بعد الـسـيد البروجردي الذي خلف السيد ابو الحسن، قصة فيها الكثير من الـعَبر وهي تشرح كيفية اهتمام السيد بانجاز الاعمال بنفسه. فيقول السيد. الشيرازي: ذات مـرة ذهـب الى الـسـيـد بـعـد صلاة المغرب والعشاء في صحن امير المؤمنين(ع) في الـنـجـف الاشـرف فـقدمت له استفتاء مستعجلاً، وقلت له انه استفتاء مستعجل وأرجـو ان اسـتـلـم الجـواب غـداً. فقال: لا بأس، تعال لي في البيت عند الفجر.

وبالفعل وفي فجر اليوم التالي وبعد أن أقمت صلاة الصبح ذهبت الى داره ، فأدخلني خادمه (الحاج عبدالحميد) وقال : تفضل فالسيد جالس في الغرفة . وكان الوقت بعد طلوع الفجر بلحظات ، والسيد لم يكن قد صلّى الصبح بعد ، لأن من عادته تأخير الصلاة نصف ساعة حتى يجتمع المؤمنون . وعندما دخلت عليه ، رأيت الغرفة التي يجلس فيها ممتلئة بالاوراق على شكل ملفات هنا وهناك ، وكان جالساً يكتب فسلمت عليه ورحب بي ، فقلت له : سيدنا أُريد جواب الاستفتاء الذي جئت به اليكم يوم أمس . فقال السيد : انظر الى زاوية الغرفة . فنظرت الى الزاوية فرأيت موقداً نفطياً وعليه قدر فيه طعام قال السيد : الليلة البارحة عندما جئت من صلاة المغرب والعشاء بدأت ابحث في هذه الاوراق وهذه الاسئلة والى الآن لم أنَمْ ، ولم أتعشَّ ، وعشائي هو هذا الذي على الموقد . ثم أخرج ورقتي من احد الملفات الخاص بالنجف الاشرف وكتب الجواب وقدمه اليّ .

هذه القصة تدل على مدى إصرار السيد (ره) على انجاز الأعمال بنفسه ، وهو ما كان يأخذ الكثير من وقته .

و يصف الشيخ محمد الشريعة تفاني السيد (ره) في اداء الاعمال فيقول : «والعمل الذي أُلقي على عاتق زعيم مثله إنما هو عمل عظيم جداً يتطلب مجهوداً قد يكون من المستحيل أداؤه مالم يكن هذا المجهود نتيجة تظافر جهود عدة اشخاص معروفين بالحزم والصبر والخبرة الواسعة ، ولكن المعجزة والعجب في قيامه بنفسه بكل هذه الاعمال الشاقة وهو في سن ما احوجها الى الراحة والاستقرار ، فإنه فضلاً عن قيامه بالتدريس والبحث اليومي وحضوره صلاة الجماعة في اوقاتها والفسح في المجال لزائريه بزيارته ومقابلته في مختلف الاوقات كان مكلفاً بقراءة البريد كل يوم والأجابة على الفتاوى والرسائل بقلمه دون أن يساعده احد في ذلك ، وكم ستكون دهشة القارىء عظيمة إذا علم بأن نصف ما كان يتسلم بريد

النجف والمبعوثون الخاصون بالسيد ــ إن لم يكن اكثر ــ من الرسائل اليومية انما كان معنوناً باسمه ، ونصف ما كان يرسله البريد ومبعوثو السيد ، إنما كان يصدره من مكتبه و بقلمه ، والرد على أغلب هذه الرسائل ما كان يخلو من تعب وكلفة ومشقة فالكثير من هذه الرسائل كان يتضمن فتاوى ليس من السهل الاجابة عليها ، قبل تأمل طويل لعدم حصول نظائرها من قبل او تداخل مشاكلها بعضها في بعض ».

و يضيف الشيخ محمد الشريعة بالقول : «ومع كل ذلك فلم يكن هذا وحده ــ وإن كان كبيراً ومهماً ــ هو الشاغل الوحيد لفكره واوقاته ونشاطه ، وإنما كان مسؤولاً بعد ذلك عن معالجة جميع المشاكل التي تحدثها الظروف في مختلف الاوقات لجميع الطوائف الاسلامية في سائر الانحاء »(١٥)

وينقل السيد محسن الامين (ره) : ان السيد ابو الحسن (ره) عرض له قبل وفاته بسنتين ضعف في المزاج وتوالت عليه الامراض، فكان يخرج في ايام الصيف الى الكاظمية وسامراء. فيقيم فيها لتغيير الهواء فتنهال عليه البرقيات والرسائل للاستعلام عن صحته ، فيجيب عن جميعها ، حتى انه كان ينفد الورق المعد للبرقيات من عند مأمور البرق والبريد لكثرة ما يرد عليه ويجيب عنه فيكتبها على ورق عادي .(١٦)

هكذا كان السيد (ره) ذا همةٍ عالية ، ونشاطٍ دؤوب لانجاز كافة الاعمال الملقاة على عاتقة ، وفوق كل ذلك كان إذا ما حصلت لاحد من المرتبطين به مشكلة معه ، او مع وكلائه ، فكان يقوم بنفسه بانجاز العمل ، حتى لا تتفاقم المشاكل، وكان يتواضع لذلك اشدّ التواضع . وتنقل قصة في إطار حديثنا ينقلها آية

(١٥) الامين، السيد محسن : مصدر سابق ــ ص ٣٣٢ ــ الهامش.
(١٦) المصدر نفسه ــ ص ٣٣٣.

الله السيد مرتضى الطباطبائي وهو من علماء كربلاء ، فيقول : كنت جالساً عند السيد ابو الحسن في غرفته ، وكان وحده لانه لم يكن وقت زيارة الناس له . وإذا بالخادم جاء وقال : فلان جاء لزيارتك. قال السيد ليتفضل . فدخل ذلك الرجل. وأخذ وهو واقف يسب السيد، فطأطأ السيد رأسه ووضع يده على جبهته . وواصل ذلك الشخص وهو شيخ معمم تهجمه على السيد بدون اي رعاية للآداب يقول السيد مرتضى فكرت في ان اقوم واضرب ذلك الرجل ، ولكنني احترمت المجلس ونظرت الى السيد ابو الحسن مستفهماً عما اذا كان يجيز لي بعمل شيء ، فرأيت لايقول شيئاً وهو على حاله منكّس رأسه وواضعٌ يده على جبهته . وعندما أتم الرجل سبابه. نظر السيد اليه وقال له : تفضل. فجلس الرجل سأله السيد : ما هي المشكلة ؟ فقال : هي كذا وكذا. فقال السيد : اني قلت لك ذات مرة وقلت للأصدقاء كلهم. إنه إذا كانت عندهم حاجات فليرجعوا الى شخصي. فلماذا رجعت الى فلان. وأنا حاضر لتلبية حاجتك. ثم اعتذر له . وقدم له مظروفاً فيه مال !! وقال : إذا احتجت الى شيء مستقبلاً فأرجع اليّ بالذات ولا ترجع في حاجاتك الى احد من وكلائي وأقربائي وأبنائي . وأنا مستعد لتلبية حاجتك في اي وقت تُريد من هنا كان السيد ابو الحسن (ره) يباشر الامور والمشاكل المستعصية بنفسه ، وكان في الوقت نفسه لا يخلق بطانة تتحكم في الامور، بل كان يدير الامور بشبكة كبيرة من الوكلاء والعلماء والمقربين. وفي الوقت ذاته كان يتابع سير الامور بنفسه دون ان يخلق المركزية المتشدّدة، بحيث يعقد الامور و يتزمت في ادارة الشؤون. بل كان مرناً في كل تصرفاته ، والذي عاشروه وارتبطوا به تأكدوا من هذه الميزة المهمة عنده.

التفكير المؤسساتي.

٤- التفكير المؤسساتي.

عندما خيمت على الامة حالة من اليأس والتراجع بعد أن منيت ثورة العشرين الباسلة بالهزيمة العسكرية، وأخذ المدّ البريطاني بالتوسع في العراق، هنا شعر السيد ابو الحسن (ره) بأن الكفة بدأت ترجح لغير صالح العلماء والامة لذلك كان عليه ان يعمل شيئاً لكي يعيد تنظيم الجماهير المسلمة لتتكامل مواقفها مع مواقف العلماء، فاتخذ استراتيجية بناء المؤسسات التي سار على نهجها حتى توفاه الله في عام ١٩٤٥م.

وخلال هذه المرحلة اولى السيد (ره) اهتماماً خاصاً لبناء المساجد والحسينيات والمكتبات في كل ارجاء العالم الشيعي من امريكا الى اقصى الهند، وكان بذلك يحاول ان يؤسس قواعد صلبة لنشر الفكر الإسلامي، وإبقاء روح التدين في نفوس المسلمين.

وكثيراً ما كان يواجه الضغوط والمصائب، ولكنه مع ذلك كان يصرّ على ان يبني في كل مكان حسينية، ومسجداً، ومدرسة و يعيّن هناك وكيلاً وعالماً

ليسيّر شؤون مؤسساته. وتروى قصة تبين إصرار السيد (ره) على أن يفتتح في المناطق ــ مهما بلغت الصعوبة ــ مؤسسة او مؤسسات لتكون قاعدة للتبليغ الاسلامي.

ففي احد الايام جاء اليه رجل ايراني اسمه (علي اكبر) وعنده ٣ آلاف دينار عراقي، وقال للسيد هذه الاموال لكم.

سأله السيد وما هي ؟ هل هي خمس، زكاة، نذورات ؟ قال الرجل : انما ثمن قمار؟ فقال السيد : وكيف هي ثمن قمار؟ !! قال : انا في «الحبانية». (١٧) .. واعمل للبريطانيين مقرات للجيش لانني نجار.

سأله السيد (ره) : وماهي «الحبانية» ؟

قال : مدينة كبيرة فيها سكان محليون، بالإضافة الى انها قاعدة عسكرية مغلقة لا يجوز دخولها او الخروج منها إلّا باذن خاص من الحاكم العسكري الموجود هناك.

فقال السيد : وما هذه الاموال ؟

فأخذ الرجل : يروي قصة هذه الاموال «ثمن القمار» : فقال : ان البريطانيين وزعوا يانصيباً بنصف دينار وجاؤوا اليّ وأخذوا منّي نصف دينار بالقوة وأعطوني بطاقة يا نصيب. فقلت لهم: هذا حرام في الشرع. قالوا : نحن لا نعرف الحرام. ويجب ان تشارك في اليا نصيب، فاشتركت مضطراً. و بعد السحب ظهر أنّي فزت بهذه الثلاثة آلاف دينار، وحيث اني اعلم ان هذه نقود

(١٧) وهي مدينة عراقية كبيرة قريبة من بغداد، وقد جعلها البريطانيين قاعدة عسكرية لهم عُدت من اقوى القواعد في الشرق الاوسط. وكان ممنوعاً دخول المدينة على اي احد إلّا برخصة خاصة، وكانت من اصعب الامور الحصول عليها. وقد بقيت كذلك الى قبيل الحرب العالمية الثانية.

قمار، استرخصت الحاكم أن أزور النجف الاشرف ، وهويعرف بأنني شيعي. فأذن لي. فجئت بها اليكم.

سأل السيد الرجل عن الحبانية : كم فيها من الشيعة ، وكم من السنة ، وكم من المسيحيين ؟ فقال : نحن مجموعة من الشيعة متواجدون هناك قال السيد : هل للسنة مساجد. قال : نعم.. وبكثرة (لأن اكثرية سكان الحبانية في ذلك الزمان من السُنة) قال السيد : وهل للشيعة مساجد ؟ قال : ابداً. قال : فماذا تعملون انتم ؟ قال : نصلي فرادى في البيوت.

فسأله السيد : وهل تتمكن من ان تبني مسجداً ؟ قال : لا لا أستطيع لان الحكومة تمنع ذلك سأله السيد : وهل تتمكن من ان تبني حسينية ؟ قال : نعم.. لان البريطانيين حسب الظاهر ليس لهم شأن بعزاء الحسين عليه السلام قال : كم يكفي لبناء الحسينية وهل هذه الاموال تكفي لذلك ؟. فقال الرجل : لا.. لان الغلاء فاحش في الحبانية فهي قاعدة عسكرية. فأخذ السيد (ره) ثلاثة آلاف دينار أخرى وأعطاها لعلي اكبر وقال له : بهذه الستة آلاف دينار ابن حسينية عندكم.

وبالفعل تمكن الرجل بعد ان استأذن الحاكم العسكري في الحبانية والذي اذن له من بناء حسينية جمع فيها الشيعة للصلاة وللعزاء.. وتمكن السيد ايضا من ان يعين هناك وكيلاً وهو الشيخ عبدالله.

بهذا الحرص كان السيد ابو الحسن (ره) يسعىٰ لبناء المؤسسات التي تأخذ على عاتقها البعث الجديد للامة.

وإذا كانت خطة السلطات العميلة لبريطانيا هي التجهيل الثقافي، وابعاد الجماهير عن التدين والارتباط بعلماء الدين ، هذا إضافة الىٰ الحملات التبشيرية المسيحية التي افتتحت مراكز لها في معظم المدن العراقية وراحت تتجول

في القرىٰ والأرياف وتصرف الاموال الطائلة لتغيير عقيدة الجماهير المسلمة. ففي مقابل كل ذلك كان للسيد (ره) خطة مضادة، فقد رأى النقص البيّن في المؤسسات الاسلامية، فبدأ بتأسيس المدارس الاسلامية الاهلية الحديثة كمدارسة الامام الجواد عليه السلام في بغداد والكاظمية ومدارس منتدىٰ النشر في النجف الاشرف وبعض المدارس الاخرىٰ في البصرة وكربلاء وغيرها من المدن العراقية. كما قوىٰ حوزة النجف ذاتها، واكثر من بناء المدارس وإعداد الخطباء والعلماء وأخذ يبني المساجد والحسينيات في كافة انحاء العراق.(١٨)

وقد كان السيد (ره) يتوخىٰ في مؤسساته ان تكون عصرية مواكبة لروح التطور والنهضة العلمية التي تغزو العالم، وكان يحرص على ان يكون المسلمون عصريين.. ليس في الدين ولكن في الوسائل، حتىٰ لا يغلبهم الغربيون، ولهذا فقد اسس في تلك الايام جملة مؤسسات في النجف الاشرف وفي غيرها كانت تجمع بين التراث والتجديد وبين القديم والحديث وبين الأصالة والمعاصرة.

ومن جملة نشاطاته تلك. كان تأسيس منتدى النشر والذي قامت على أساسه فيما بعد كلية الفقه الموجودة حتىٰ الآن.

وبدعم كبير من السيد (ره) وبادارة الشيخ محمد رضا المظفر، تقدم في الرابع من شوال عام ١٣٥٣ (١٠/١/١٩٣٥) ثلة من طلبة العلوم الدينية الشباب ومن ضمنهم الشيخ المظفر ببيان الى وزارة الداخلية يطلبون فيه تأسيس جمعية دينية بالنجف الاشرف باسم «منتدى النشر» مصحوباً بالنظام الاساسي وبعد اللتيا والتي اجازت الوزارة فتح المنتدىٰ.(١٩)

وقد تمكن الشيخ المظفر بعد ذلك وبعد محاولات عديدة وتجارب طويلة من

---

(١٨) الكاتب، احمد: تجربة الثورة الاسلامية في العراق ــ ص ١٠٢.

(١٩) المظفر، الشيخ محمد رضا: عقائد الإمامية ــ المقدمة ص ٣٤.

تأسيس (كلية الفقه) في النجف الاشرف واعترفت بها وزارة المعارف العراقية سنة ١٣٧٧ هـ .

ومنتدى النشر كانت عبارة عن مدرسة تخلط بين العلوم القديمة والحديثة ، وقد احتضن جماعة كبيرة من الطلبة .

و بالاضافة الى ذلك فقد صنع السيد ابو الحسن (ره) ايضاً الرابطة والتي يجتمع فيها الخطباء والادباء حتىٰ يتخرجوا خطباء حديثين . وايضاً كان السيد (ره) يزود بعض المجلات والمطابع في النجف الاشرف بالمال حتىٰ تنمو النجف علمياً ، بالاضافة الى نموها حسب الحضارة الحديثة .

روح شوروية

٥ ــ الشورى :

من ابلغ المعاني التي ركز عليها الإسلام بالنسبة للقائد الإسلامي في إدارته لشؤون المسلمين هو التحلي بروح الشورىٰ ، فيقول عز وجل مخاطباً نبيه «وشاروهم في الامر» ، و يقول تعالىٰ : «وامرهم شورىٰ بينهم» ، وفي الحديث الشريف : «ما خاب من استشار» ، وقد حرص قادتنا العظام وعلى رأسهم الرسول صلى الله وعليه وآله وسلم والآئمة الاطهار على الأخذ بهذا الأسلوب مع ارتباطهم بالوحي عن طريق الرسول (ص) وقد حثوا (عليهم السلام) بشكل كبير على الاخذ بقيمة الشورىٰ .

من جهة اخرىٰ فإن البحوث العلمية الدقيقة في موضوع الإدارة اثبتت صفة ملازمة للقيادة الديمقراطية وهي «المشاركة» .. وفرض ذلك على من يتولىٰ إدارة التنظيمات الحديثة أن يتعاون مع مرؤوسيه و يشركهم في اتخاذ قراراته وممارسة مهامه ، اي يشركهم في الإدارة . [٢٠]

---

(٢٠) كنعان ، الدكتور نواف : مصدر سابق ــ ص ٢١٨ .

وعلى ضوء هدي الاسلام والعقلية العصرية اتخذ السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) اسلوب الشورىٰ في إدارة مهامّه وشؤون المسلمين. ولعّله كان يكثر من الاستشارة حتىٰ يضيق نقاط الخلاف والصراع التي يمكن ان تؤدي الىٰ عواقب وخيمة لاتحمد عقباها.

وقد ضرب السيد (ره) مثالاً رائعاً في الشورىٰ ـ وهو نادراً ما كان يتواجد في اوساط العلماء عندما كان يجعل عملية الاستهلال لشهري رمضان وشوال شورو ية، وهو الامر الذي كثيراً ما كان يثير اللغط والخلاف بين المسلمين، فكان ـ رحمه الله ـ عندما يشهد عنده الشهود و يثبت عنده مطلع الهلال، كان يرسل من العلماء المقربين وكانوا كثيرين وفوداً الى المراجع والعلماء الكبار في ذلك الوقت ـ وهم ايضاً ليسو قليلين ـ، فكان المبعوث او الوفد يأتي الى المرجع او العالم الفلاني و يبلغه رسالة من السيد (ره) وهي: انني قد ثبت عندي الهلال، فهل أعلِنْ ذلك .!! فيقول له بعد ان يرىٰ تواضع السيد (ره) نعم. وعندما تكتمل عند السيد جميع الآراء كان يعلن عن ثبوت الهلال. ولعلّ ذلك كان درساً رائعاً للشورىٰ وتوحيد الكلمة ولم يختلف الشيعة طوال فترة مرجعيته في سنة واحدة ابداً حول اول الشهر. وقد حدث الاختلاف في سنة وفاته عندما كان مريضاً وطريح الفراش في بغداد، فلم يستطع ان يؤدي نفس المراسم كما في كل عام، و بالتالي فقد اختلف الشيعة على تحديد الهلال.

وإذا كانت اهمية هذه المسألة تكمن في الحفاظ على وحدة الشيعة وقوتهم لذلك كان يتخذ الشورىٰ، فانه (ره) كان ايضاً يلجأ الى الشورىٰ حتىٰ في مسائل اقل اهمية ليؤكد حرصه عليها، وعلى جمع عقول الناس الى عقله كما ورد في الحديث الشريف. وقد تكون تلك الروحية عند السيد احد اسباب حذاقته وحكمته في التصرف في كثيرمن الامور.

وتنقل قصة في هذا المجال وهي: انه في احدى المرات وردت على السيد

(ره) رسائل من «العمارة»[٢١] : تقول ان فلاناً صار مسيحياً فهل يجوز لنا قتله. فما كان من السيد إلّا وأخذ الرسائل قبل ان يجيب عليها، وطلب مجموعة من العلماء من حاشيته وعرض عليهم الرسائل. وقال : إن فلاناً المسلم في العمارة ارتد للمسيحية، وهؤلاء استفتوني. فما هو رأيكم. هل يجب قتل هذا الرجل حسب قوانين الارتداد؟ وعندما ناقشوا المسألة رأوا أن شهادة الشهود تثبت ارتداد الرجل وأخيراً قالوا : يا سيدنا نحن لا نرىٰ ان تأمر بقتل هذا الرجل لعدم معرفتنا بملابسات القصة. ولعلّ الاصلح ان ترسل شخصاً الى العمارة يحقق عن سبب ارتداد الرجل. ثم يرجع رسولك وتقول كلمتك فيه.

استحسن السيد (ره) الرأي، وقال : إن رأيي هو ايضاً كذلك، ولكن أردت أن آخذ رأيكم.

وبالفعل ارسل السيد شخصاً الى العمارة ليحقق في الامر، وعندما رجع اخبر السيد (ره) بان هذا الرجل فقير ومعدم، والمسيحيون هناك خدعوه باعطائه المال ولهذا السبب إرتد.

عند ذاك طلب السيد ابو الحسن (ره) العلماء الذين استشارهم قبلاً وعرض عليهم الحقائق. فقالوا : الآن تبين الأمر. فالفقير الذي يرتد يجب ان يرجع وهناك رأي لبعض العلماء : ان المرتد حتىٰ لو كان ملّياً لا يقتل وإنما يستتاب اولاً بينما المرتد الفطري يقتل وهو من وُلد وأحد ابويه مسلم.

هنا بعث السيد بكمية من المال الى الرجل المرتد وطلبه للإسلام. فرجع من كفره الى الاسلام، وصار مسلماً. وتبين ان الفقر هو سبب ارتداده، وهذا لم يثبت لولا استشارة السيد ابو الحسن (ره).

---

(٢١) مدينة في جنوب العراق.

وعند هذا الحدّ لم تتوقف قيمة الاستشارة عند السيد (ره) ، فهو لم يكن يقصرها على بعض الامور المهمة بل تعداها الى مسألة تعيين وإقامة وكلائه ، وهي قضية مهمة ، حيث ان تفاعل الناس مع الوكلاء قد لا يكون بمستوى كما لو كان عندما يشعر الناس والوجهاء بانهم على قناعة بهذا الوكيل او ذاك .

وقد ضرب السيد ابو الحسن (ره) في ذلك مثلاً في مشكلة وقعت لوكيلٍ له في مدينة «الرميثة» التي تقع الى الجنوب من بغداد .

فقد تناهى الى سمع السيد بأن هناك خلافاً حاصلاً حول هذا الشيخ (وكيل السيد) . فما كان من السيد (ره) إلّا وان اغتنم احدى الفرص عن طريق احد الشيوخ الذين يعرفهم فطلبه وقال له : أُريد ان تدعو جميع شيوخ القبائل في الرميثة لمقابلتي فطلبهم الشيخ وجاؤوا الى النجف الاشرف وذهبوا لزيارة السيد ابو الحسن وعند الاجتماع بهم سألهم السيد عن رأيهم بوكيله في الرميثة ... فأبدى الجميع رضاهم بالوكيل واستحسنوه جميعاً ، إلّا ذلك الشيخ (صديق السيد) لم يتكلم بشيء ، وعندما انتهى اللقاء أخذ الجميع بالسلام على السيد وتقبيل يده . وعندما سلّم الشيخ على السيد . قال له : أُريد أن أراك لوحدك . فقال حسناً . وعندما تفرقوا رجع هذا الشيخ للسيد وكان ينتظره . فقال له السيد : لماذا لم تقل شيئاً عندما قالوا رأيهم بالوكيل . فقال الشيخ : إن رأيي كان غير ذلك ، ولكنني لم اكن أريد أن أُخالف الجمع فسكت . فقال له السيد : ما هو رأيك ؟ قال : انا اقول انه مادام قد أُختُلِفَ على الوكيل فهو اصبح غير صالح ، لأن ذلك يؤدي إلى إثارة بعض المسائل عليكم . فقال له السيد : احسنت .

وبعد مرور أيام أو أشهر جاء الوكيل لزيارة النجف والتقى بالسيد . فقال له السيد دون ان يعلمه بأي شيء : اننا محتاجون لك هنا لكي تُدرس ،

ولاحاجة لرجوعك للرميثة. ثم أرسل وكيلاً آخر اكثر قدرة على الإدارة والتصرف ليكون بديلاً عن الوكيل السابق.

وهذه لمحة أُخرىٰ تؤكد الروح الاستشارية التي كان يتحلىٰ بها السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره)، وهذه القصة والأُخريات هي لمحات ونماذج لشخصية عظيمة كانت لا تفصل بين الإدارة والشورى بحالٍ من الأحوال.

إدارة الإقتصاد

٦ ــ الإدارة المالية.

يعتبر عامل المال من اهم الاعمدة التي ترتكز عليها المرجعية في قيادة الامة، ولهذا العامل دور خطير في النهوض بالامة وتقدمها الى الافضل والاحسن.

والتاريخ (المرجعي) سجل مناهج وأساليب متنوعة في التعامل مع الاموال التي ترد على المرجع، وإن كانت ابواب الفقه الاسلامي غير خالية من تحديدات وأُطر في التعامل مع هذه الاموال. ولكن يبقىٰ لاجتهادات الفقيه واسلوبه العام في الحياة وفي الممارسة القيادية الدور الكبير في رسم السياسة المالية لمؤسسته المرجعية.

على هذا الاساس كانت السياسة المالية للسيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) عبارة عن اسلوب خاص لعلّه يفترق عن أساليب كثير من المراجع سواء في عصره او فيما بعد وحتىٰ في عصرنا، فكان لا يرىٰ اي فائدة من تكديس الاموال وتجميدها والتزمت في الصرف، بل كان لا يرتاح حتىٰ يفرق الاموال التي ترده كلّها ــ مع ضخامتها ــ في وجوهها الشرعية. لذلك كان يتميز بالعطاء الذي لا يعرف الحدود، والانفاق الواسع حتىٰ لو اضطرّه ذلك الى الاستدانة.

وهذا الاسلوب لم يكن بدعة جاء بها السيد، فقد كان من قبل امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام قد اسس لذلك، حيث كان (ع) لاينام

حتى يفرق كل ما في بيت المال ، ولكن مع ذلك كان هذا الاسلوب الذي اتخذه السيد ابو الحسن محل طعن وتهمه وتشهير، فكان البعض كثيراً ما ينتقد السيد بسبب عطائه اللا محدود ، غير ان ذلك لم يكن يوقف السيد (ره) عن اسلوبه في الادارة المالية.

وإذا كان هذا هو اسلوب السيد فإن ذلك يعني أن الحياة الاسلامية في ذلك الوقت كانت تعيش نوعاً من الازدهار، فالاموال التي كانت تصل الى السيد ليست بقليلة.

فعندما انتهت الرئاسة العامة الى السيد (ره) كان يعني ذلك ان عموم الشيعة بدأت تأخذ بتقليده ، وقد قدروا بحوالي (١٠٠) مليون مقلد له على طول العالم الإسلامي.

وهذا يعني بالتالي ان ترد على السيد من الحقوق الشرعية المختلفة اموال طائلة ، فيقول صاحب «اعيان الشيعة» : «وجبيت اليه الاموال من أقاصي البلاد وأدانيها ولم يبلغ احد في عصره ما بلغه» [٢٢]

وقد لا يمكن اعطاء رقم دقيق عن حجم ما كان يصله ، او حجم ما كان يصرفه ، ولكن قدرت ميزانية السيد السنوية على وجه التقريب بالتراوح بين ٥٠٠ ألف و ٦٠٠ ألف دينار.[٢٣] وهذا الرقم يعني بحسابات اليوم مئات الملايين من الدنانير وهو رقم هائل وضخم كما هو واضح.

اما مجموع ما كان ينفقه شهرياً فكان يتراوح بين الـ ٣٦ والـ ٤٠ الف دينار[٢٤]. والبلاد التي كانت ترده منها الاموال كثيرة ولكن اشهرها كما ثبتها

---

(٢٢) الامين، السيد محسن : مصدر سابق ــ ص ٣٣٢.

(٢٣) الجعفري، صالح : الامام السيد ابو الحسن ــ ص ٦٠.

(٢٤) المصدر نفسه ــ ص ١٠٥.

صاحب كتاب «الامام السيد ابو الحسن» : ايران ، الهند ، افغانستان ، البحرين ، العراق ، الكويت ، افريقيا الشرقية ، بورما ، سوريا ، لبنان ، واقطار اسلامية اخرى[٢٥] .

وقد قيل مرةً لملك الاردن عبدالله ابن الشريف حسين ان ميزانية السيد الشهرية خمسة وعشرون الف دينار فقال :
السيد يتحدىٰ الحكومات بنفقاته !![٢٦]

والارقام كثيرة و يكفي ان نعلم ان عدد طلبة العلوم الدينية في النجف في ذلك اليوم كان لا يقل عن ٢٠ ألف طالب ، وكان السيد (ره) قد خصص للقسم الاكبر من هؤلاء رواتب شهرية ليتمكنوا من مواصلة دراستهم[٢٧] . بل وكان يعطي الكثير من الطلبة دوراً للسكن وكان يدفع إيجارات الكثير منها هذا بالنسبة للارقام ، اما الإدارة المالية فقد برع بها السيد (ره) بشكل كبير عندما اعتمد اسلوب «اللا مركزية» فكان من جهة يوجه الناس الى وكلائه و يُعطي اولئك حرية التصرف وفق الخطوط التي كان يرسمها ، ومن جهة اخرى كان (ره) يعين وكلاء له من التجار لكي يباشروا و يساهموا في الإدارة المالية .

وكان السيد يختار هؤلاء الوكلاء التجار من المتدينين والذين لهم نفوذ معين في السلطة بحيث يستطيع من خلال مكانتهم ان يحصل على المواد التموينية التي توزع على المحتاجين و بأسعار مناسبة ، خاصة وأن العراق كان يمر بفترات كثيرة من القحط والشح في المواد الغذائية الرئيسية وخاصة «الطحين» الذي كانت السلطة تحتكره .

---

(٢٥) المصدر نفسه ــ ص ٥٩ .
(٢٦) المصدر نفسه ــ ص ١٠٧ .
(٢٧) المصدر نفسه ــ ص ١٠٦ .

وفي سنين السواد آلف السيد في ايران جمعية من ابرار التجار على غرار الجمعيات التعاونية وطلب منهم ان يملأوا المخازن بالحبوب وشتى الحاجات، وعند الشدّة يبدأوا بتوزيعها بالاسعار العادية دون ان يثيروا مشكلة في المجتمع الايراني. (٢٨)

وعموماً فالملاحظ ان السيد ابو الحسن (ره) كان قد أدرك اهمية «المال» في الصراع، من هنا كان كثيراً ما يستخدمه في استمالة الآخرين، وقضاء الحوائج حتى لا يحتاج المسلمون الى غيره ممن يذلهم و يهينهم.

وكان من ابرز صفاته (ره) انه كان معطاءً بكل ما للكلمة من معنى، فكان يصل به الحال الى الاقتراض من اجل قضاء حوائج الطلبة والمحتاجين فقد اضطر في احدى المرات الى ان يرهن دارين له للضائقة المالية وتلبية الحاجات، ولما توفي (ره) كان مديناً بحوالي مئة الف دينار مع رهن دارين له، وعندما كشفوا عن صندوقه كان به (٦٠) ألف دينار فبقي من دينه (٤٠) الف دينار وهنا تدخل جماعة من التجار الكبار وقضوا دينه.

إن المال من العوامل المؤثرة في استمالة القائد وإغرائه ومع كثرة الاموال التي كانت ترد على السيد (ره) فإنه كان حريصاً كل الحرص على أن لا تزله الاهواء وحب الجاه. فما أخذ عليه في حياته مرة انه لبس اكثر مما يلبس من هو بالمستوى الاعتيادي من طلبة العلم، او تناول طعاماً هو أهنأ أو أمرأ مما يتناولون، او سكن وفرش أوثر مما يفرشون و بالعكس فقد كانوا اكثر تناولاً منه لهذه الامور. (٢٩)

نعم كان دثاره الزهد وشعاره العطاء اللا محدود.

---

(٢٨) المصدر نفسه ــ ص ١٠٧.

(٢٩) المصدر نفسه ــ ص ٦١.

شبكة الوكلاء

٧ ــ جهاز الوكلاء

هـذا الجـهاز يعتبر الاساس الذي تقوم عليه المرجعية في تسيير شوؤنها وإداء وظائفها في مختلف البلدان، وصلاح وقوة هذا الجهاز يعبـران عن قوة وحنكة المرجع الذي يشرف عليها.

والـوكيل هو صورة مصغرة عن المجتهد او المرجع في تفقيه الناس وتعليمهم وارشـادهـم للخير والـصـلاح والـسـعـادة، وتسلم اموال الزكاة والاخماس والحقوق الـشرعـيـة الاخرىٰ والتصرف بها في مواردها الشرعية او ارسالها الى المرجع حسب الاتفاق بين الوكيل والمرجع.

والـوكـيـل يـصلي بـالـنـاس ويحضر مواسمهم الدينية في العقود والوفيات. و يـنشيء و يـؤسـس المؤسسات و يبني المساجد والحسينيات مما يجمعه من تبرعات لهذا الغرض و بعد أخذ اذن المرجع.

وكـذلـك هناك وظيفة التدريس ووعظ الناس والى آخره مما يجعل الوكيل يشكل قطباً ومحوراً وممثلاً للمرجع في البلد المعين فيه.

مـن هنا تتأكد ضرورة الاختيار الجيد والمناسب لهؤلاء الوكلاء وفق معايير دقيقة ومناسبة، ودون ترك الامر بصورة عفوية او جَـعْل الاختيار عشوائياً. وهذا ما كـان يحـرص عليه السيد ابو الحسن (ره) فقد كان يحسن اختيار وكلائه ولا يتسرع بـل يـتـورع في تـعـيين مـن يـعين للناس، ولا يقوم بعملية الاختيار إلّا بعد ان يختبر الشخص المرشح للوكالة، ويقيس فيه دينه وعلمه وهداه وتقواه وعقله وغير ذلك مما يـنـاسـب الـبـلد الذي يُراد ان يُرسل له. وقلما كان السيد (ره) يرجع عن وكيل. وذلك آية في جودة اختياره في اول الامر وحسن معرفته للناس وللبلاد وللامور.[٣٠]

(٣٠) المصدر نفسه ــ ص ٦٧ ــ ٦٨.

وقد وصل عدد وكلاء السيد (ره) الذي يعتمد عليهم من غير تلاميذه الى زهاء اربعة آلاف وكيل في شتى اصقاع الارض.[31] وهذا يكشف قوة السيد وانتشاره الواسع وقدرته الى ايصال صوته وراشاداته الى اماكن كثيرة من الوطن الاسلامي.

الإدارة الرسالية.

٨ ــ الإدارة الرسالية.

حيث ان السيد ابو الحسن كان في منصب كبير وهو المرجعية العليا، لذلك كان محطاً لأنظار الطامعين بالسلطة و بالمكانة، فكان (ره) يملك قلوب الملايين، و بإشارة منه كان يمكن ان يقضي اي حاجة تأتي اليه.

من هنا كانت عروض الاغراء والرشاوى تترى عليه، فكان (ره) حازماً صلباً لا يحيد قيد أنملة عن الحق، وإن كانت العروض تصل الى عشرات بل مئات الآلاف من الدنانير!!.

و ينقل أحد العلماء الكبار قصة تكشف لنا حقيقة السيد الملتزمة بالمبادىء. فيقول هذا العالم انه في شتاء احدى السنوات كان لا يملك عباءة شتوية، (وكان طالباً في النجف الاشرف)، وحينها سمع بان السيد ابو الحسن قد وصلت له سيارتان كبيرتان محمّلتان بالعباءات هدية اليه.

يقول العالم: عندما سمعت بذلك اسرعت الى بيت السيد (ره) حتى احصل على عباءة قبل ان يوزعها. وعندما وصلت الى بيته. رأيت السيارتين واقفتين امام الباب ففرحت كثيراً لأن السيد لم يوزع العباءات بعد، ثم دخلت عليه وقلت له: هل من عباءة من هذه العباءات تتفضّل بها علّي، فقال

---

(٣١) المصدر نفسه ــ ص ٦٩.

السيد : إصبر. و بعد قليل طلب صاحب السيارتين ، وقال له : لا حاجة لي بعباءاتكم أذهب بها الى اصحابها . وكلّما اصرّ عليه صاحب السيارتين لم يقبل فاضطر للرجوع .

بعد ذلك التفت الي السيد وقال : هذه العباءات كانت رشوة لاجل غاية ، وأنا لا أريد ان ارتشي ولو بصورة هدية .

هكذا كان السيد ابو الحسن (ره) حريصاً كل الحرص علىٰ ان لا يسمح لاي جهة او شخص ان يستغلوه لهدف من اهدافهم الدنيو ية ، بعيداً عن مصلحة المسلمين العامة .

و ينقل عن السيد (ره) انه قبل وفاته بليلتين طلب كلا من السيد علي الصدر والشيخ اسدالله الزنجاني والسيد محمد مهدي الخراساني ، وعند حضورهم سلمهم ختمه الخاص وكان قد وضعه في علبة طليت بالشمع الاحمر ، واودع عند السيد الخراساني ، و بعد وفاة السيد مباشرة و بحضور العلماء ومجموعة من الوجهاء جرىٰ استحضار من حك نقش الختم حتىٰ لم يبق عليه اي أثر للنقش ... فالسيد ابو الحسن (ره) كان بذلك يُريد ان يتجنب اي عملية تزو ير قد ترتكب ضده في اواخر حياته او بعد مماته ، وهذه القصة ايضاً تكشف مدىٰ ذكاء السيد وحنكته ومراقبته لكل الامور وإن صغرت .

العشائر في رؤية السيد السياسية

ثانياً : كسب العشائر.

في العراق هناك معادلة تعتبر هامة في تقرير مصير هذا البلد ، وهي : ان من يستطيع ان يسيطر على العشائر يحكم العراق بسهولة ، ومن يستطيع ان يسيطر على شيوخ العشائر يسيطر على العشائر ذاتها . وهذه المعادلة يؤكدها احد الخبراء في شؤون العشائر في العراق وهو عبدالجليل الطاهر.[٣٢]

والعراق يعتبر بلد عشائري ، فأفراد العشائر المزارعون والبدو يشكلون ٧٦٪ من مجموع سكان العراق فيما بين الحربين، من هنا كانت مشكلة العشائر تعتبر حجر عثرة أمام السياسات المتبعة للسيطرة على العراق، وكان الصراع محتدماً بين الانجليز ورجالاتهم وبين العلماء والوطنيين من اجل كسب ودّ العشائر واحتوائها والانكليز اولّ ما حلّوا في العراق اتبعوا سياسة خاصة تجاه العشائر، كانت في الواقع السياسة المعدّلة التي كانت متبعه في «بلوخستان» وهي التي وضعها السير «روبرت سندمان» حوالي سنة ١٨٧٥ .

(٣٢) الطاهر، عبد الجليل : العشائر العراقية ج ١ ــ ص ١٣ .

سندمان كان يرى ان النظام القبلي في بلوخستان كان آخذاً في الانحلال والتفسخ في صورة سريعة، كما انه لحظ آنذاك ان سلطة زعماء القبائل وقوتهم كانت ايضاً آخذه في الضعف والوهن. وفي العراق، عند نشوب الحرب كانت القبائل ولاسيما قبائل الفرات الاوسط في الوضع ذاته نتيجة لمحاولة الاتراك تحضيرهم أو القضاء عليهم، ولمحاولتهم مصالحة زعمائهم وشيوخهم، او تحطيمهم. وكانت الحكومة العثمانية تعتبر دوماً القبائل العربية من الشعوب المتوحشة التي كانت بسبب (خبثها) تعارض الحكومة المركزية في بغداد. لكن الحكومة البريطانية اعادت الاعتبار والسلطة والاحترام الى شيوخ القبائل الذين كانوا مسؤولين تجاه الضبّاط السياسيين المحليين. وكانت وظيفة الشيخ الاولى حفظ الامن والنظام في مضارب قبيلته، ثم جمع الضرائب المترتبة على رجال قبيلته.(٣٣)

ولكن لم تستطع بريطانيا كسب العشائر كاملاً لعوامل عديدة يمكن ان نجملها في ثلاثة:

١ ــ هيمنة الطابع الديني على العشائر، بسبب ارتباطها الوثيق بالقيادة المرجعية، وهو ما كان يشكل المضادات الحيوية ضد الهيمنة البريطانية عليها، خاصة وان البريطانيين في نظر العشائر كانوا يعتبرون كفاراً.

٢ ــ هيمنة التقاليد العربية على العشائر، وهذا كان يصطدم مع بعض تصرفات البريطانيين المحتلين، الذين كانوا يتسمون بالكبر والتعنت وهو ما تأباه النفوس المجبولة على التقاليد العربية الاصيلة.

وإذا اردنا ان نعرف طبيعة الممارسات التي كان الضباط الانكليز يمارسونها ضد ابناء العشائر، فلنقرأ البيان الذي اصدره الحاكم العسكري العام في

(٣٣) النفيسي، عبدالله: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث ــ ١٩٤.

العمارة في ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩١٥ والذي يقول فيه :

«لقد لحظ الحاكم العسكري العام ان الاهلين لا يؤدون التحية للضباط العسكريين، كما كانوا قد أمروا بذلك في بلاغ صدر في ١٦ سبتمبر (أيلول) نذكر الاهلين بأنه ينبغي عليهم عندما يمرُّ ضابط بريطاني أن يقفوا و يؤدّوا التحية، ومن لا يمتثل هذا الامر يعرض نفسه للجزاء»(٣٤)

٣ ـ ان الشيوخ الذين كانت الحكومة البريطانية تتعهدهم وتساندهم كانوا يسيؤن استعمال السلطة التي أعطوها وكانوا يستغلونها لمصالحهم الخاصة. وهذا ما سبب نشوء نوع من التمرد في صفوف القبائل على شيوخها والتزامها بأوامر شيوخ ثانويين، كانوا يعادون البريطانيين بشكل طبيعي لانهم يدعمون شيخ العشيرة.

من هنا كان هناك نوع من الخلل في سياسة الانكليز تجاه العشائر، وهو ما سجل ضدهم في ثورة العشرين وقبلها في الصراع المحتدم بين الشعب العراقي بقيادة العلماء و بين البريطانيين وعملائهم في العراق.

وإذا كان الانكليز قد سجلوا نجاحاً في آخر ثورة العشرين فإنما كان ذلك لتداركهم هذا الخلل في سياستهم، فاستطاعوا تحقيق ذلك النجاح بعد ابعاد العلماء والقضاء على رعايتهم واشرافهم على الشعب وخاصة على رؤساء العشائر، وايضاً بقدوم فيصل وتشكيل حكومة عربية اتخذت سياسة اكثر تفهماً لواقع العشائر فبدأت بإثارة العنصر القومي عندهم وسعت بالكثير من الجهد لكسب ودّهم، واخيراً كان اسلوب الاغراء، بالاموال الطائلة لرؤساء العشائر، وايضاً كان نزع السلاح عن العشائر مساعداً لاكمال ابعاد العشائر عن ساحة الصراع، فقد كان تسلح العشائر تاماً وكاملاً، وعندما تم الاستسلام الكامل للقوات المقاتلة

---

(٣٤) المصدر نفسه ـ ص ١٨٩.

للانكليز في نوفمبر (تشرين الثاني) من عام ١٩٢٠، كان من الشروط تسليم الاسلحة والذخائر وقد فرضت غرامات كبيرة على رجال القبائل حتىٰ يجردوهم كاملاً من السلاح، وبالفعل تم لهم ذلك واستطاعوا بشكل خبيث القضاء على الثورة.

من كل ذلك يتبين دور العشائر وتأثيرها في السياسة والتغيير في العراق، وقد ادرك ذلك السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره)، فكان يسعىٰ و بشكل جاد لكسب رؤساء العشائر، وكان يغدق في عطائه لهم، وعندما كانت عشيرة من العشائر تتضرر بسبب تلف المزروعات او شحّ المياه او الفيضانات وغمرها للمزارع واهلاكها الحيوانات، كان (ره) يرسل لها كمية كبيرة من المال لينقذها من الجوع والفقر.

وكان السيد (ره) يحرص على ان لايوجدله اي عدو من العشائر خاصة حتىٰ يبقىٰ تأثيره قوياً عليها. وهناك قصة تكشف لنا ذلك، ينقلها احد وكلاء السيد ابو الحسن وهو الشيخ اسماعيل، الذي يقول: ان السيد ارسلني الى مدينة «طوز خورماتو» وهي في شمال العراق وفيها خليطٌ من الاديان والمذاهب المنحرفة، وقال لي: ابق هناك واهدهم للايمان والخير والفضيلة.

وبالفعل ذهب ذلك الشيخ الى تلك القرية، واستأجر داراً فيها وعزم على الاستقرار و بدأ مشروعه في هداية اهالي القرية. ولكنه فوجيء بالسقائين لا يرضون ببيع الماء له (سابقاً لم تكن هناك انابيب إسالة والماء كان يأتي به السقائون). وكذلك فوجيء بأن أحداً لا يحضر ديوانه مع انه كان يوفر المغريات المناسبة من الشاي والقهوة والسجائر!!. إذن ما سبب هذه المقاطعة ؟

عندما تحقق الشيخ اسماعيل وجد ان هناك شيخ عشيرة كبيرة يسيطر على المدينة، وهذا الشيخ بمجرد ان سمع بوصول وكيل السيد للمدينة، قال لكل الذين

كانوا حاضرين ديوانه : ان على كل فرد من اهل المدينة ان لا يذهب الى هذا الشيخ (وكيل السيد) ولا يحضر صلاته ووعظه ولا يبيعه مالاً او بضاعة ،ومن يفعل أيّاً من ذلك أحرمه من الماء وأطرده من المدينة .

يقول الشيخ اسماعيل : تحيرت في الامر فماذا اعمل ؟

عندها قرر الشيخ ان يذهب الى مدير الناحية واشتكى عنده من رئيس العشيرة هذا ، وطلب منه اجراءً معيناً لحلّ المشكلة ، إلّا ان مدير الناحية اعتذر بسبب قوة رئيس العشيرة وسطوته . ولكنّه نصح الشيخ اسماعيل بان هناك علاجا واحد لذلك ، وهو ان يذهب للسيد ابوالحسن و يطلب منه ان يطلب من وزير الداخلية ليرسل الى هنا مفرزة من الجيش او من الشرطة حتى يستطيع مدير الناحية مقاومة المسلّحين من اتباع العشيرة المذكورة .

و بالفعل اخذ الشيخ اسماعيل بالنصيحة ورجع الى النجف وقابل السيد وقصّ عليه القصة كاملة وطلب منه ان يعمل بنصيحة مدير الناحية قال السيد : لا بأس تعالى إلي غداً .

في اليوم التالي حضر الشيخ اسماعيل عند السيد ففوجىء بموقف السيد حيث اخذ ورقة وكتب الى شيخ العشيرة كتاباً مهذّباً قال فيه : ان الشيخ اسماعيل هو وكيلي وأنا أرجو منك ان تحترمه وتقدره وأن احترامه احترامي وإكرامه اكرامي ، يقول الشيخ اسماعيل : فتعجبت! ما تأثير هذا الكتاب والشيخ منحرف عقيدياً ومحارب للسيد ابو الحسن !! قال : ولكن تأدبت وما قلت شيئاً . والسيد عندما كتب الكتاب وضع فيه (٥٠٠) دينار وهو مبلغ ضخم في ذلك اليوم . وكتب ان هذه هدية متواضعة لك . وقال لي : إذهب اليه وسلم عليه في مجلسه وقدم له هذا الكتاب باسمي .

وكما امره السيد ابو الحسن ، جاء الشيخ اسماعيل الى مجلس شيخ

العشيرة، يقول فدخلت وسلمت : فلم يجبني أحد، ولم يقم لي أحد، فجلست ثم قمت له وقلت : ان السيد ابوالحسن يسلم عليك و يقدم لك هذا الظرف. فتردد في أخذ الظرف، ولكن و بكل إهانة و بيد واحد أخذ الظرف ووضعه في جيبه، ثم اخرجه ومزق الظرف قليلاً بشكل مهين. ولمّا رأى المال ارجعه في جيبه ثم قام ودخل داره.

و بعد عشر دقائق خرج ونظر الى الجماعة الذين كانوا في ديوانه وقال : يا جماعة إن هذا الشيخ هو الشيخ اسماعيل وكيل المرجع الاعلىٰ للشيعة في العالم. والذي اسمه السيد ابو الحسن وهو في النجف الاشرف. وكل إنسان لم يحضر صلاة جماعته او لم يحضر ديوانه او لم يسلم عليه في الشارع او لا يحترمه اقطع عنه الماء وأطرده من البلد.!!.

يقول الشيخ اسماعيل : عندها قام الناس كلّهم اليّ وقبلّوا يدي وقبلّوا وجهي، وقال لي الشيخ : إذا ذهبت الى النجف بلغ سلامي للسيد وقل له نحن مطيعون وخاضعون له. ومن يومها اصبح الناس يتهافتون على بيت الشيخ صباحاً ومساءً. وحتىٰ اليوم يعتبر اهل مدينة «طوز خورماتو» كلهم مسلمين وموالين لاهل البيت و يأتون للزيارات للنجف وكربلاء باستمرار. بينما كانوا في السابق منحرفين اشدّ انحراف. وكل ذلك بفضل حكمة السيد ابو الحسن (ره) في التعامل مع العشائر.

وهناك أيضاً قصة ينقلها أحد رؤساء العشائر الذين اهتدوا للايمان على يد السيد ابو الحسن و بدوره هدىٰ عشيرته اجمعها وفيها عشرات الألوف وكان ذلك بحسن سياسة السيد (ره).

ينقل هذا الشخص وهو من سكان شمال العراق الذي يعتبر خليطاً من عدة مذاهب واديان ففيهم الشيعة والسنة والذين يعبدون علياً (ع) واليزيدية

(يعبدون الشيطان) والصابئة واليهود والمسيحيون والآشوريون (وهم أقلية مسيحية في شمال العراق) وغيرهم.

يقول هذا الشخص ان السيد كان يكرمني كل مرة ازور فيها النجف. وذات مرة سمعت بأنه جاء الى سامراء (وهي قريبة من الشمال) فذهبت الى الدار التي يسكن فيها من اجل المال والهدايا وغيرها. وكان الوقت قبل الظهر، والدار كانت ممتلئة. وعندما كان يجلس حينها كان مئات الناس يجلسون في داره طلباً للحاجة. وكان يقضي حاجتهم بنفسه واحداً بعد واحد...

يقول: عندما ذهبت سلمت على السيد من بعيد لان الدار مزدحمة. فأجابني بجواب فاتر. فتعجبت لعدم احترامه لي. ولكنّي حملت فعله على انه لم يرني ولم يعرفني لانّي كنت بعيداً عنه. ثمّ لمّا ذهب الناس قدمت اليه وسلمت عليه وقبلت يده وقلت له: ياسيدنا أنا فلان. ولكن السيد ايضاً لم يعبأ بي فتعجبت كثيراً من ذلك. فندمت لتركي طريقتي واتباع طريقته في الايمان والتقوى والمذهب.

وبقيت جالساً وواجماً وحائراً ماذا اعمل وماذا اقول. ثم أردت ان اودعه وانصرف الى بلدي، ولمّا اقتربت منه وقبلت يده، أخذ السيد يدي وهمس في اذني قال: يا فلان لا تتوقع اني أحترمك في سامراء ولكني احترمك في النجف والسبب انه إذا احترمتك في سامراء امام هؤلاء الجماهير فسيقولون: ان السيد صار سبباً في هدايتك. وهذا يسبب لك حرجاً وعسراً. وأني اردت ان يفهم الناس اني لست مرتبطاً بك وانك بنفسك اهتديت ولم تهتد بسبب المال وغيره.

يقول هذا الشخص: فسرّني كثيراً. ثم وضع السيد شيئاً صغيراً جداً في يدي بمقدار عقب سيجارة وقال: في أمان الله وسوف نلتقي بك في النجف الاشرف. عندها عرفت ان عدم اعتناء السيد بي كانت له حكمة ولما خرجت من

الدار وفي مكان خال من الناس فتحت يدي لأرى ماذا وضع السيد فيها فرأيتها ورقة نقدية من الدنانير ذات فئة (مئة) دينار وكانت تساوى ثمن دارين !!. لكن السيد كان قد طوى هذه الوقة وجعلها صغيرة جدا حتىٰ لا يعرف أحد أمرها وكان هذا العطاء يفوق كل ما اعطاني من قبل !!.

هكذا كان السيد ابو الحسن (ره) حاذقاً في احتواء العشائر، وكان يسعىٰ للوصول الى كل قرية يستطيع اليها سبيلاً. ونجح في ذلك نجاحات باهرة. وذلك كان يشكل احد الملامح البارزة في شخصيته السياسية.

الأب الرحيم

ثالثاً : الذوبان في الناس .

لم يكن السيد ابوالحسن (ره) يفارق الناس يوماً واحداً ، بل كان دائم الاتصال بهم ، وكان يعتبرهم الهدف الذي ينبغي أن يستأثر بوقته وتفكيره وعمله ، وانهم مسؤوليته فكيف يتخلى عن مسؤوليةٍ اولاها الله تعالى اليه . ففيما روي عن الامام الباقر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : «لا تصلح الإمامةُ إلّا لرجلٍ فيه ثلاثُ خصال : ورعٌ يحُجزُه عن معاصي الله ، وحِلمٌ يملِكُ به غَضَبَه ، وحسنُ الولاية على من يَلي ، حتى يكون لهم كالوالد الرّحيم » .

وفي روايةٍ اخرى : حتى يكونَ للرعيّةِ كالأبِ الرحيم . (٣٥)

وهكذا كان السيد ابوالحسن (ره) يعيش بين الناس ، يعطف على فقرائهم ومساكينهم ومحتاجيهم ، وكان معطاءً لكل من يطلب منه حاجة ، وكان رؤوفاً رحيماً بالناس ، فهم أبناؤه ، وليس له إلّا ان يداريهم ويحفظهم و يساعدهم حتى لا يحتاجوا الى احد .

---

(٣٥) الكليني ، الشيخ محمد : اصول الكافي ج ١ ــ ص ٤٠٧ .

ولعلّ السيد (ره) بهذه الخصلة كان الأقدر على الامساك بزمام الامور في الامة، وتجاوز جميع المرجعيات المطروحة حينها، حتى اصبح مرجعاً اعلى مع وجود اساطين العلم من الفقهاء الذين كانت لهم صولاتهم وجولاتهم في المباحث العلمية. وكانت للسيد (ره) لأجل ذلك التفاته من الامام الحجة (عجل الله فرجه) وهي قصة فريدة من نوادر ما جادت به حياة السيد الخالدة. وهذه القصة ينقلها احد علماء النجف الاشرف هو (الشيخ محمد الكوفي) الذي كان مواظباً على زيارة الامام الحجة (عج) في مسجد السهلة والذي يقع بالقرب من مسجد الكوفة والمعروف ان الإنسان إذا زار مسجد السهلة اربعين ليلة اربعاء خالصاً مخلصاً وهو نزيه من المعاصي والشوائب وما أشبه فإنه يرى الامام الحجة (عج).

هذا العالم الجليل وهو من معاصري السيد ابو الحسن كان مواظباً على الحضور في مسجد السهلة ليس لأربعين ليلة اربعاء فحسب بل لأربعين سنة !!.. وهو ممن كان معروفاً بالالتقاء بالامام الحجة (عج) وقد جاء ذات يوم الى السيد ابو الحسن وقال له: اني رأيت الامام المهدي (عج) وقال لي: (قل للسيد ابو الحسن اجلس في الدهليز [٣٦] واقضِ حوائج الناس) ولذلك كان من عادة السيد ابو الحسن (ره) ان يجلس في بعض الاحيان في الدّهليز وهذا الأمر لم يكن مألوفاً بالنسبة لعالم دين كبير في النجف مثل السيد أبو الحسن ولعلّ الامام الحجة (عج) اراد شيئين من وراء ذلك:

الاول: ان يرى العلماء والطلبة التواضع.

والثاني: قضاء حوائج الناس فيكون جلوس العالم في الدّهليز أكثر تسهيلاً لقضاء حوائج الفقراء وغيرهم.

والحديث عن العلاقة بين السيد ابو الحسن (ره) والناس حديث ذو ابعاد

---

(٣٦) الدّهليز: فارسي معرب، ما بين الباب والدار، وهي مساحة تعتبر مدخل الى الدار.

مختلفة والكثير ممن عاصرو السيد يذكر ان من اوائل صفات السيد (ره) ارتباطه وذوبانه في خدمة الناس والسعي لقضاء حوائجهم. وكان معطاءً أيّما عطاء، بيته كانت تلجأ اليه اعداد هائلة من ابناء الامة بين طالبٍ لحاجةٍ مالية او معنوية، او مشكلة عويصة مبتل بها و يُريد من السيد مساعدته في حلّها، او مستفتٍ عن مسألة شرعية وغير ذلك.

ولم يكن السيد (ره) ينفك عن الناس حتىٰ في الطريق خارجاً من البيت او قادماً اليه فكان الناس يحيطون به باستمرار طلباً لقضاء حاجاتهم والسيد في ذلك كان لا يردُ أحداً مهما كان الطلب. وهو لو لم يكن يلبي الحاجات إذن الى من يلجأ الناس ؟..

وفي عطائه كان السيد يحرص اشدّ الحرص على حفظ ماء وجه السائلين، حتىٰ لا يشعروا بحرج، ومما يؤثر عنه، انه كان إذا مشى في الطريق كان يتقدم الجماعة الذين يسيرون معه بمسافة مترين أو اكثر، حتىٰ إذا اراد احد حاجة تقدم اليه و يكون بعيداً عن الآخرين حتى لا يسمعون بحاجته.

وإذا كان لنا أن نصور حدود علاقة السيد (ره) بالناس، ومدىٰ حبه لهم عموماً وحتىٰ للمسيئين منهم، فإننا يمكن ان نتوقف عن حادثة مؤلمة مرَّ بها وهي قصة مقتل ابنه الكبير السيد حسن الشهيد (ره).

ففي احدىٰ ليالي الجمعة و بالتحديد في الخامس عشر من صفر عام ١٣٤٩هـ، والسيد ابو الحسن يؤم المصلين في صحن الامام امير المؤمنين عليه السلام في صلاتي المغرب والعشاء، وكان نجل السيد الاكبر جالساً في احدىٰ صفوف الجماعة بين صلاتي المغرب والعشاء. تقدم في هذه الاثناء احد الاشخاص من سيئي السيرة والسلوك الى السيد حسن (ره) وطلب منه مالاً لحاجته، فما كان من

السيد حسن إلّا ان يلبي الحاجة ويخرج من جيبه عشرة روبيات[٣٧] واعطاها اياها. ولكن الرجل استقل المال وقال: هذا قليل، ثم رمىٰ المال امام السيد حسن (ره)، ولم يمهل السيد بأي شيء، بل أخرج من جيبه سكيناً كبيرة، وتوجه الى السيد حسن وقطع رأسه و بصورة وحشية وفظيعة، فسقط (ره) صريعاً دون حراك. عند ذلك هاج الناس وماجوا، وانفرط عقد صلاة العشاء التي كانت قد بدأت تواً. وكان الجميع ينظرون حيناً الى جثمان الشهيد ومنظر الجريمة البشعة وحيناً الى والده السيد ابو الحسن (ره)، هل يأمر باعتقال القاتل؟ وهل يحرض رجال الشرطة والامن على الانتقام لدم ولده؟..

وقع المصيبة على قلب السيد ابو الحسن لم يكن بسيطاً وعادياً، فالشهيد كان عالماً فاضلاً ورجلاً متقياً، اضافةً الى انه كان اكبر ابناء السيد و يده اليمنى ومدير شؤونه ومعتمده الاول...

مع ذلك كلّه فالسيد لم يقل ولم يعمل اكثر من ترديد هذه العبارة الشريفة مرات متعددة فقط «انّا لله وإنا اليه راجعون».. ثم غادر الصحن المشرف متوجهاً الى بيته!!.

وفي الغد، غُسِّل الشهيد وكفن ودفن، اما المجرم فقد تبعته الحكومة واعتقلته وكان من المنتظر ان تحكم عليه بالاعدام. ولكن السيد ابو الحسن (ره) كان اكبر من هذه المصيبة بكثير، فقد قام بنفسه وتوسط لدىٰ الحكومة بان تطلق سراح المجرم. وهو الموقف الذي وُجه باحتجاج شديد من مقربي السيد وتابعيه، واخذوا يلومونه عليه كثيراً، على ان هذا مجرم، وارتكب ذنباً يستحق عليه الاعدام بدون اي رأفة ورحمة. غير ان السيد الاصفهاني (ره) كان يجيبهم بحكمة رائعة، ومقولة ستبقىٰ تؤرخ لطبيعة علاقة السيد (ره) بالناس، حيث كان يقول لهم:

---

(٣٧) كانت الـ (١٠) ربيات في ذلك الوقت تمثل قوة شرائية كبيرة في العراق.

« ليس عليكم حرج ، فاطلقوا سراحه ، فابني قتل ابني الآخر فالذي يحُرمْ من ابنه المقتول هل عليه أن يحُرمْ من ابنه القاتل ايضاً » !!. و يضيف (ره) : « إذا قتلتموه فسأكون قد حرمت من ابنين » !!. وأصر السيد اشدّ الإصرار على الحكومة حتىٰ تطلق سراح قاتل ابنه ، وتم ذلك بالفعل.

وقد قيل للسيد ابو الحسن (ره) في احد الايام أن (فلانا) محتاج فقال ولماذا لا يواجهني في حاجته ؟

فقالوا : يمنعه الخجل.

قال : سبحان الله ايخجل منّي وأنا أبوه ولا يخجل من سبّ القصاب له في السوق ؟!!.

إذن فهناك خلفية ايمانية كان ينطلق منها السيد (ره) في تعامله مع الناس ، لذلك فقد دخل قلوب الناس ، وكما يقول احد العلماء : « دخل اسم السيد ابو الحسن كل دار دخله اسم الإمام جعفر الصادق عليه السلام ». من هنا كانت ترد على السيد آلاف الرسائل والمكاتيب والاستفتاءات من جهات الارض مما تحتاج قراءته الى عدد كبيرمن القراء، فكان رحمه الله يقرأها بنفسه غير متوان ولا متكاسل مع ما تحتاجه من دقة وتأمل. وقُدّر عدد مقلديه في اصقاع الارض بحوالي مئة مليون مقلد [٣٨] !!.

وفي قصة تروي تعلق الناس بالسيد الاصفهاني (ره) ، ينقل احد المراجع الكبار في الوقت الحالي فيقول انه خرج في احد الايام مبكراً من بيته في مدينة كربلاء المقدسة ، فوجد الشوارع هادئة وساكنة ، وكانت الدكاكين مغلقة والسيارات كانت تأتي مسرعة متوجهة الى النجف الأشرف ، يقول :فتعجبت ،

---

(٣٨) الجعفري ، صالح : مصدر سابق ــ ص ٦٩.

وسألت احد الاشخاص الذين صادفتهم عمّا يجري. فقال: ضُرِبَ السيد ابو الحسن فقتل. مما زاد من تعجبي، فمن يجرؤ على فعلةٍ مثل هذه، وخاصة ان المقتول هو مرجع الامة، اضافةً الى انه كان لطيفاً ورؤوفاً مع الناس، والجميع كانوا يحبّونه، وكان يحسن حتى لاعدائه !!.. ولكن الخبر كان له صدى في ذهني مما جعلني أتابع القصة والاحق الحدث، وفي العصر من ذلك اليوم خرجت من البيت مرة اخرى، فرأيت كل شيء قد عاد الى وضعه الطبيعي مما جعلني ازداد تعجباً، لذلك ذهبت الى صديق لي وهو السيد حسين الزيني وكان من الاشراف في كربلاء، ومن خدم المراقد المقدسة ومع ذلك كان عنده محلٌ لبيع الكتب، فسألته عما حدث وما هي القصة. فقال: إنها قصة طويلة وعجيبة...

وأشار سارداً القصة الى انه كان جالساً في دكانه صباح ذلك اليوم، ففوجىء بمتصرف كربلاء يزور بالمحل، وقال له: ان رئاسة الجمهورية في بغداد اتصلت بي وقالت ان السيد ابو الحسن قد تعرض لمحاولة اغتيال، وطلبوا منّي ان اذهب الى النجف لاستكشف الخبر بالضبط، لذلك ارجوا ان تأتي معي لان لك علاقة جيدة مع السيد و بالفعل ذهبنا مع بعض، ـــ يقول ـــ وعندما وصلنا الى النجف رأينا وكأن القيامة قامت من الحشد الكبير من الناس، فحاولنا بمشقة كبيرة ان نصل الى منزل السيد و بعد ان ذكرت للناس أن هذا وفد من رئاسة الجمهورية تمكنا بعد وقت طويل و بشق الانفس من الوصول الى منزل السيد ودخلنا البيت وكان الناس متجمهرين في كل مكان في النجف الاشرف، وعندما وصلنا رأينا السيد جالساً في احدى غرف المنزل، فأدخلنا وأجلسنا، وكان يخفي احدى يديه.. حاول المتصرف ان يستعلم من السيد عمّا جرى فقال السيد: لم يحدث شيء، فألحّ المتصرف وقال: قل لنا ماذا جرى، ومن هو الشخص الذي حاول الاعتداء عليك فلم يجب السيد وكرر بانه لم يجر شيء.

يقول السيد حسين : وكلما حاولنا وألححنا على السيد ان يشرح لنا ما حدث ، ولكن لم يقل شيئاً ، حتىٰ قررنا الخروج بعد أن اطمئنّنا على أنه بخير ولم يصب بأذىٰ .

وعندما خرجنا سألنا أحد الاصدقاء عمّا حدث ، فقال : حسب ما نُقل عن اهل بيت السيد ، انه كان في الليلة الماضية وكعادته عندما ينصرف الناس يجلس فيعد النقود التي أخذها من الحقوق الشرعية ثم يضعها في الخزانات المخصصة لحفظ النقود ، وعندما كان يعد النقود في تلك الليلة جاء الى داره لص ، وكانت معه سكين فحاول ان يطعن السيد حتىٰ يسرق الاموال ، ولكن السيد اتقىٰ الضربة بيده فاصيب بجرح كبير، وفي هذه الا ثناء كان السيد قد نادىٰ خادمه الذي وصل مسرعاً ، فما كان من اللص إلّا ان يحمل قليلاً من الاموال و يهرب بها .

هذه هي القصة ، وهي حادثة بسيطة ، ولكن العجيب فيها هو ارتباط الناس بالسيد ابو الحسن (ره) ، فقد اسرع الناس وبمجرد ان سمعوا ان السيد قد اصيب ، من كل صوب وحدب ، و بدأت قوافلهم تهرع مسرعة من كل المدن ومن النجف الاشرف الى بيت السيد حتىٰ امتلأ البيت والشوارع في النجف لتستعلم عن صحته . نعم انه ابوهم الرؤوف الرحيم فكيف لا يصدمون عندما يسمعون انه اصيب بأذىٰ ؟ ..

وتروىٰ ايضاً قصة وقعت للسيد ابو الحسن (ره) تبين كيف انه كان يضحي من اجل خدمة الناس وحلّ مشاكلهم .

ففي العراق كانت هناك عادة جارية في العشائر انه لمّا تتهم المرأة بالفاحشة ، او تتهم فقط بصداقة احد الرجال بصورة غير شرعية حتىٰ لو بدون ارتكاب الفاحشة ، فإن القبيلة تأخذ المرأة وتقتلها . وذات يوم كان السيد ابو

الحسن (ره) جالساً في بيته وكان البيت مزدحماً جداً كعادته حتىٰ أن البعض كان يقفون في باب المنزل منتظرين احداً يخرج فيدخلون !!.

وفي الاثناء إذا بأمرأة تهرول مسرعة باتجاه السيد وتقول له : انقذني .. سألها السيد : ممّا انقذك ؟

قالت : من اهلي فهم يُريدون قتلي فقال لها السيد : لابأس عليك ادخلي هذه الغرفة. واشار الى إحدى الغرف المخصصة للنساء، و بالفعل دخلت.

و بعد لحظات دخلت بيت السيد و بصورة مفاجئة مجموعة من المسلحين من رجال العشائر وسألوا السيد بغضب : اين ابنتنا ؟

فقال لهم السيد : ايُّ ابنة تقصدون ؟

قالوا : هذه التي دخلت عندكم الآن، لقد هربت من عندنا وجاءت الى النجف، وعندما بحثنا عنها في النجف قالوا : دخلت عليك.

فسألهم السيد (ره) بهدوء عن مشكلتها .. قالوا : نُريد قتلها . لانها عارٌ علينا . قال : ولماذا ؟ . قالوا : لانها صادقت شاباً.

مجرد مصادقة !!.

قال السيد (ره) : هل تُريدون قتل بنتكم أم كنّة فاطمة الزهراء سلام الله عليها !!. قالوا : نُريد قتل ابنتنا .

فقال السيد : اشهدوا ياجماعة ونادىٰ على احد اولاده ، فجاء فقال السيد : اني استأذن منكم والجماعة الضيوف واقرباء البنت فأذنوا له .

فقال (ره) : زوجت (فلانة) الىٰ ابني محمد. وقال السيد محمد من جانبه : قبلت .

بعد ذلك قال : الآن اصبحت كنّة فاطمة الزهراء عليها السلام.

عندها قام اهل البنت وقبلوا يد السيد ابو الحسن وشكروه، فهو بهذا العمل يكون قد انقذ هذه الفتاة من القتل، وازال هول المصيبة التي يشعر بها افراد العشيرة.

إذن فالناس كانوا هَمَّ هذا العالم الأكبر، وعندما يكون الناس هَمْ المرجع الاعلىٰ، او اي مرجع في الامة فإن آلامهم ومشاكلهم وجراحهم تصير جراحه وآلامه ومشاكله قبل اي شخص آخر، ومنها تبدأ نقطة التغيير بالتوسع والكبر حتىٰ تصل الى حالة النهوض الشاملة بالامة نحو الخير والصلاح والسعادة.

الرفعة ووحدة الكلمة

رابعاً: السعي لرفعة المسلمين ووحدة كلمتهم.

الاخطار التي تواجه المسلمين متنوعة، منها ما هو خارجي، ومنها ما هو داخلي. وكلها تتكاتف لكي تجعل من كلمة المسلمين رقماً هامشياً في معادلات الحياة، وبالتالي تتهيأ الظروف اكثر للاعداء لبسط نفوذ الأعداء وهيمنتهم على بلاد المسلمين.

والمرجعية وعلى مدى العشرة قرون الماضية من عمرها كانت تشكل من نفسها الدرع الذي يحمي المسلمين من هذه المخاطر، وكانت تهب لهذا الغرض منتفضةً ومعلنةً الكفاح المسلح تارةً، وتارةً كانت تمارس وسائل الضغط ارتكازاً على حنكتها السياسية وتأييد الجماهير المطلق لها، وقد كانت تصل الامور بالمراجع الى ان يضحوا بانفسهم من اجل اعلاء كلمة الله وانقاذ العباد، والى ذلك يشير الامام الجواد عليه السلام في وصفة للعلماء فيقول (ع): «يبذلون دماءهم دون هلكة العباد...»[٣٩]، من هنا نجد اسماء تتلألأ من مراجع الامة الكبار قد نالوا وسام الشهادة وقدموا انفسهم على مذبح الكرامة والعزة.

---

(٣٩) مجموعة مؤلفين: الحياة ج ٢ ـــ ص ٢٩٨.

فالمرجع اذن هو قطب الرحىٰ في الامة، وهو من أولئك الذين يصفهم الامام الحسين عليه السلام بقوله: «مجاري الامور والاحكام على ايدي العُلَماء بالله الأمناء على حلالِهِ وحرامه»[40]، لذلك فاي خطر يواجه الامة لابد للمرجع ان يكون اول من يتصدىٰ له و يقارعه حتىٰ يردّه عن الامة.

اما الاسلوب فيعتمد على طبيعة المرحلة والظرف الذي يمر به المرجع والامة، والمرجع الاعلى السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) انتهج اسلوب «العمل الهادىء» بعد فشل ثورة العشرين الباسلة، وكان يمارس دوره في رفع كلمة المسلمين اعتماداً على ذكائه وحصافته السياسية، وقد ضرب في ذلك اروع الامثلة.

وقبل كل شيء تبرز مشكلة تحتاج الى قدر كبير من الحكمة للتعامل معها، وهي طبيعة العلاقة مع النظام الحاكم، فهل يتراجع السيد نهائياً و يصبح من ابواق السلطان، و يسكت عن الحق؟ ام ينهض و ينتفض، ليواجه مصيره المحتوم بالاعدام او النفي عن العراق؟ فما هو العمل؟

اما الخيار الثاني فكان مرفوضاً لما عرفنا من ازمة الضعف والوهن في الحركة الجماهيرية في ذلك الوقت، ولما عرفنا بان هذا الخيار كان السيد (ره) قد تخلىٰ عنه وانتهج اسلوب «العمل الهادىء» منذ ان عاد الى النجف الاشرف في ابريل (نيسان) من عام ١٩٢٤.

كذلك فالخيار الاول لم يكن في حسابات «القائد» حيث كان يعلم ان هذه السمة ليست من سمات خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله والائمة الاطهار عليهم السلام.

---

(٤٠) المصدر نفسه ــ ص ٢٨١.

اذن ما هو العمل؟

يبدو ان هناك خياراً ثالثاً اتخذه السيد ابو الحسن (ره) وهو رفض التنازل بأي شيء للنظام مع عدم المجابهة والتصعيد، لذلك كان السيد (ره) يطرح نفسه ـ وهو المرجع الاعلى ـ كِندْ للنظام وليس عبداً ذليلاً، او عالماً للبلاط.، وكم حاول النظام اسقاطه واحراجه إلّا انه كان اذكى من ان يقع في شراك المؤامرات التي كان يحيكها النظام أو أسياده الانكليز.

[الكلمة للعلماء]

ولكي تبقى الكلمة للعلماء، فقد سعى السيد لان يفرض هيبته على الحكام وعلى البريطانيين الذين كانوا يتربصون الدوائر بالامة الاسلامية، من هنا فقد قاد بالتعاون مع علماء النجف الآخرين حملة تحريض واسعة في الاوساط الجماهيرية للامتناع عن استقبال الملك فيصل الذي جاء للعراق حاكماً بترشيح من الانكليز في مؤتمر القاهرة الذي عقد في مارس (آذار) عام ١٩٢١، برئاسة تشرشل رئيس الوزراء البريطاني آنذاك، نفسه.

وبالفعل رفض العلماء لقاء فيصل، وامتنعت غالبية السكان من استقباله عند وصوله البصرة ومروره بمناطق الفرات ومن ثمّ زيارته لمدينتي كربلاء والنجف حيث استقبل استقبالاً فاتراً، اقتصر على مؤيدي الحكومة، وبعض المتزلفين.

وكذلك عندما قتل الملك (غازي الاول) وجاء الى الحكم ابنه الصغير (فيصل الثاني) الذي جعلوا له وصياً لإدارة شؤون البلاد وهو خاله (عبد الآله)، طلبوا من السيد ابو الحسن (ره) اللقاء بالحاكم الجديد.

قال السيد لابأس ، ولكنّه اشترط ان يكون اللقاء في السَّحَر وفي صحن الامام امير المؤمنين عليه السلام وكانت عادة العلماء تكون لقاءاتهم في الصحن الشريف. (٤١)

ولكن هذا الشرط لم يكن مقبولاً عند حاشية الملك، فاعترضوا على الوقت بحجة وقت منام الملوك !. ولكن السيد (ره) اصرّعلى موقفه وقال لهم انه ليس عنده وقت إلّا هذا. وأمام الاصرار المتزايد من السيد ابو الحسن اضطرت الحكومة الى القبول بموعد اللقاء، لأن رجالها في الواقع كانوا يحتاجون اشدّ الحاجة الى هذا اللقاء لكي يقولوا لشيعة العراق ــ وهم اغلبية الشعب ــ بأنهم مع العلماء والعلماء معهم. وهنا تبرز حنكة السيد لأن يؤكد عكس ذلك و يؤكد تصدر العلماء للساحة.

إذن فقد كان قبولهم على مضض، ولكي يحافظوا على هيبة الملك وسيادته، فقد اقرّوا تهيئة مدن (الحلّه) و (كربلاء) و (النجف) لاستقبال الملك بصورة تليق بمنصبه، من هنا كان على أبناء هذه المدن ان يبقوا ساهرين حتى الصباح ليقوموا باستقبال شعبي للملك أثناء مروره ومكثه بهذه المدن.

وبالفعل بدأ (الملك) رحلة اللقاء التاريخي الذي كانوا يأملون منه ان يضفي الشرعية الدينية على الحكم الجديد. وفي العصر من ذلك اليوم وصل الموكب

---

(٤١) هذه العادة كان قد سنّها آية الله المجدد السيد حسن الشيرازي رحمه الله، فقد رفض استقبال شاه ايران (ناصر الدين شاه) عند مدخل النجف، او زيارته في محل اقامته فيها، ورفض كذلك هديته المالية، وذلك عندما قدم الشاه لزيارة العتبات المقدسة عام ١٢٨٧ هـ، ١٨٧٠، في عهد مدحت باشا، حيث اكتفى الشيرازي بعد إلحاح عليه بملاقاته في الحضرة العلوية، وقد رفع هذا الموقف من مكانه الشيرازي في اوساط العامة، وزاد عدد مقلديه، وشكل كسراً للتقليد الذي كان يتبعه المجتهدون في استقبال الملوك المسلمين.

راجع : الرهيمي، عبد الحليم : تاريخ الحركة الاسلامية في العراق ــ ص ١٢٧ــ، وأيضاً : مغنية، الشيخ جواد : مع علماء النجف الاشرف ــ ص ١١٠.

الى كربلاء، وفي منتصف الليل توجه الموكب الى مدينة الحلة، وفي السحر كان موعد وصول الموكب الى النجف الاشرف للقاء المرجع الاعلىٰ.

وعند السحر وصل الملك فيصل الثاني الى الصحن الشريف في الموعد المتفق عليه، وكان معه الوصي عبدالآله وكبار الوزراء والضباط والمسؤولين في الدولة.

ولكن المفاجأة كانت ان السيد لم يصل بعد للحضرة المشرفة، بل لم يخرج من بيته حتىٰ ذلك الوقت. وهو ما احرج الكثيرين بحيث اتجه بعضهم الى منزل السيد (ره) ليخبروه بوصول الملك الى الصحن، و يطلبوا منه الاسراع بالخروج للقائه.

ولكن السيد و ببرود أعصاب يقول لهم مرة انه يتوضأ، ومرة انه يصلي صلاة الليل والى ذلك مما كان يهدف من ورائه الى تأخير خروجه. حتىٰ يُقال ان ما بين بيت السيد والحضرة الشريفة امتلأ بالوف الناس ينتظرون خروج السيد (ره) وكأن الاستقبال قد أعد للسيد وليس للملك !!.

واستمر السيد ملتزماً البيت حتىٰ أذّن المؤذن لصلاة الصبح، فصلاّها السيد (ره) في بيته، ثم بعد ذلك خرج من البيت والناس محتشده محيطه به، وتعالت الصلوات والتهليل على طول الطريق الذي سلكه السيد الى الحضرة الشريفة، وعندما وصل الى الصحن الشريف كان الرعب والخوف قد أخذ مأخذه في قلب الملك والوصي واعضاء الحكومة، حتىٰ بدت علامات الاستغراب والتعجب من هذه الشعبية الكبيرة التي يمتلكها السيد (ره).

ومن ثمّ كان اللقاء، حيث اخذ السيد بالقاء بعض الوصايا على الملك، وانتهى اللقاء، عند هذا الحدّ ليسجل بذلك السيد موقفاً لا يمكن للتاريخ ان ينساه او يتجاهله.

وقد سُئل بعد ذلك عن موقفه هذا ؟

فقال ـ بما معناه ـ انني قمت بذلك «حتىٰ ابيّن للملك ان العزة لله ولنا نحن العلماء والكلمة لنا نحن وليس له، وحتىٰ لا يعتدي على الناس لان الملوك إذا امنوا جانب العلماء اعتدوا على الناس، واما إذا خافوا العلماء، وعلموا ان هؤلاء العلماء هم كل شيء في البلاد فانهم يخافون من التطاول على الناس...».

وهكذا كان.. فبسبب قوة العلماء التي جسدتها مواقف المرجع الاعلىٰ فقد كان الظلم قليلاً من قبل الحكام والسجون كانت شبه فارغة بسبب ذلك.

[تدوير القدرة افضل من التبعية]

وفي قصة ينقلها (السيد باقر البلاط) مدير عام البلاط الملكي في بغداد، وكان الشيعي الوحيد من بين اعضاء الدولة، وكانت له علاقة جيدة بالسيد ابو الحسن (ره) ورد : ان ملك الاردن عبدالله ابن الشريف حسين كان زائراً للعراق، فكان هو مسؤولاً عن ترتيب برنامج زيارته، وقد كان من ضمن البرنامج زيارة الاماكن المقدسة في العراق. وفي إطار ذلك كان لابد من لقاء المرجع الاعلىٰ، وجرىٰ الاتفاق على لقاء الملك عبدالله بالسيد ابو الحسن والميرزا النائيني في الحرم الشريف.

يقول السيد باقر البلاط : انه في اثناء الطريق كان يتحدث للملك عبدالله عن علماء الشيعة وهيبتهم وقوتهم، ولكنه كان يبادره بالقول : بانكم تغالون في علمائكم وتضخمون من شخصياتهم، فقال له : إذن سنرىٰ.

وعندما وصلوا الى الحرم جلس الملك عبدالله وسط السيد ابو الحسن والميرزا النائيني، وكان العرف جارياً ان يخرج الجميع من الحرم حتىٰ «الكليدار» و يغلق باب الحرم. ولكن السيد باقر البلاط كان لابد ان يحضر

اللقاء لانه حلقة الوصل بين الملك والمرجع الاعلىٰ ولان الملك عبدالله كان ينظر الى علماء الشيعة باستخفاف وتعالٍ لذلك كانت جلسته فيها الكثير من التبختُر والتكبر والغرور، وكان بالكاد ينطقٌ بكلمة. سأل السيد ابو الحسن (ره) الملك عن الوضع المالي في الاردن ولماذا هذه الازمة الاقتصادية ؟ وكيف تديرون الاقتصاد عندكم ؟

فأجاب الملك بعد ان احسّ بوجاهة السؤال فقال : اننا بلد صغير، ولابد لنا من ان نكون في ظل دول كبرىٰ . و بريطانيا العظمىٰ هي التي تتكفل بالماء والكهرباء و بكل شيء، ونحن في ظلها نستطيع ان نواجه الازمة الاقتصادية في البلاد.

فقال له السيد : انا بامكاني ازالة ضعف المال لديكم بأن اكتب للمقلدين لي ان يوجهوا مقداراً من الحقوق الشرعية اليكم. فهل هذا احسن ام اللجوء الى الكفرة والاجانب ؟!!.

هنا شعر الملك عبدالله بالصدمة، وشَعَر انّه بدأ يتضاءل امام المرجع الاعلىٰ، حتىٰ بدأ بتعديل جلسته و بدأت عليه علامات الاحترام للسيد ابو الحسن، فقد عَلِمَ انه لا يكلم انساناً عادياً، بل امةً كاملة، وحقاً ان السيد كان امةً كاملة، فقد كان يمثل مئة مليون انسان !!.

وفي رحلة العودة يقول السيد باقر البلاط ان الملك عبدالله توجه اليه قائلاً : إن ما قلته بحق علمائكم قليل !!. (٤٢)

إذن فالسيد (ره) عندما كان يتقرب من الحكام كان يسعىٰ جاهداً لأن يفرض هيبته وهيبة العلماء عليهم، وكان يحاول ان يحصل على مكاسب يرفع بها

(٤٢) ينقل هذه القصة حجة الاسلام السيد عبد الحميد حفيد السيد ابو الحسن الاصفهاني.

الحيف والظلم عن الناس و يُبقي كلمة العلماء هي العليا في البلد.

وإذا ما سعوا الى التآمر عليه، كان و بسلاح الذكاء والحنكة السياسية يقلب السحر على الساحر. ويخرج رافعاً كلمة الاسلام والمسلمين.

[خدمة وفضيحة]

وتنقل في ذلك قصة عن السيد (ره) انه في ذات مرة زاره في بيته سفيرا بريطانيا واميركا، و بعد ان قدم لهما السيد الشاي و بعد طول جلوس مع اكتظاظ المجلس بالناس، توجه احد السفيرين نحو السيد وقال له : هل لكم امرٌ نوصله الى حكومتي بلدينا ؟

فقال السيد : لا أمر.

قال السفير: كيف لا أمر لك وانت زعيم المسلمين.

فقال السيد (ره) : انا رئيس جماعة من الطلبة وعندهم بعض المسائل الشرعية واعطيهم من الحقوق وآخذ منهم الحقوق. هذا عملي فقط... قال ذلك وكانه يُريد ان يؤكد لهما ان لا حاجة له بمساعدات بلديهما. ولكنهما اصرّا عليه مرةً ثانية وثالثة وأخيراً قالا له : اننا مأموران من قبل دوليتنا بأن تطلبوا منّا شيئاً، وإلّا فسنواجه معضلة مع حكوماتنا !.

فقال لهما السيد (ره) : إذن فلي حاجة صغيرة.. قالا : ماهي ؟

قال إن طريق العراق ــ ايران أُغلق منذ سبع سنوات، فاطلبوا من دولتيكما فتحه..

وكان يحكم ايران في ذلك الحين رضا خان الذي بمجرد ان وصل الى الحكم اغلق الطريق الذي يربط العراق بايران حتى يمنع الزوار من التوجه الى

العتبات المقدسة من الجانبين. وكان يدعي انّه هو بنفسه قد اغلق الطريق.

قال السفيران: حسناً هذه حاجة ثم قاما وذهبا.

وفي غد اليوم التالي فتح الطريق، و بدأ الزوار من الجانبين يذهبون زرافات زرافات، وتبين ان دعوىٰ الشاه بان اغلاق الطريق هو من عنده هي دعوىٰ كاذبة، فالقرار هو قرار المستعمرين!

[لا حج بدون تعمير البقيع]

و يُنقل عن السيد ايضاً انه مع استطاعته الحج لم يحج ولا مرة واحدة، وعندما كان يُسأل يعلل ذلك بأنه مستطيع، مالاً و بدناً، ولكنه غير مستطيع شرعاً. و يُفسر ذلك بقوله: انني شيخ الاسلام للشيعة مطلقاً: وإذا ذهبت للحج ورضيت بأن يبقى البقيع مهدماً كما هو فإن هذا إضعاف لقوة الشيعة وشخصيتهم. وإن طلبت من ملوك الحجاز ان يعمّروا البقيع فسوف يرفضون ذلك فأضطر الىٰ ان، أدخل معهم في محاربة ومقاطعة، وإنّي لا افضل ذلك، ولا أُرجح ذهابي الى الحج مع بقاء البقيع مهدماً.

ومع طلب الحكومة السعودية لاكثر من مرة من السيد ابوالحسن (ره) لأن يحج ولكنه لم يستجب لطلباتها، إلّا بشرط ان تبني البقيع بنفسها او تأذن بتعميره وكذلك سائر القبور الموجودة في المدينة المنورة ومكة المكرمة.

من هنا كان السيد وطوال فترة مرجعيته يجعل من اليوم الثامن من شوال يوم عزاء عام في كل أرجاء العراق، فالعراق في ذلك اليوم يصبح حزيناً، تُغلق فيه الدكاكين، وتخرج مواكب العزاء في الشوارع والاسواق استنكاراً لجريمة هدم الوهابيين للبقيع.

[تماسك الجبهة الداخلية]

هذه ملامح لفرض هيبة العلماء ورفع كلمة المسلمين والتي كان السيد ابو الحسن (ره) بطلها ورائدها، وهناك جانب آخر في رفع الكلمة وتوحيدها، وهو ما يختص بالجبهة الداخلية وكيفية الحفاظ على القوة والتماسك بين المسلمين، لكي يصبحوا صوتاً واحداً في مقابل الاعداء.

في هذا الجانب أيضاً كانت للسيد صولات وجولات، كلّها تنم عن عقل حصيف ورأي سديد وقولٍ حكيم.

والذكاء والحنكة السياسية هنا ايضاً يبرزان ليؤكدا مرة اخرىٰ سراً من اسرار النبوغ في شخصية الامام السيد ابو الحسن، إنه كان يفكر و يتدبر لاتخاذ افضل وسيلة لوقف التمزق والتشتت، وكان يفضل الوسيلة الاقل جهداً و وقتاً، والابلغ وقعاً، والاهدأ في ميزان الصراع والمجابهة. لانه كان يرىٰ ان ايقاف حملات التفرقة والتمزيق لا يتطلب دائماً رفع السلاح، او اعلان الحرب، وردّ الشتيمة بالشتيمة، والاهانة بعشر من امثالها، والسب بحكم القتل والإبادة، بل وكما يقول الله تعالىٰ في محكم كتابه الكريم: «وقل لعبادي يقولوا التي هي احسن إنّ الشيطان ينزع بينهم، إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً» (٤٣) و يقول تعالىٰ: «ادع الىٰ سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة» (٤٤)، إذن فلابد من الحكمة وقول التي هي احسن وكلها لا تتحقق إلّا لمن حباه الله بالذكاء والفطنة والحصافة وهي اسلحة كان السيد ابو الحسن (ره) بارعاً في استخدامها.

وقد تبدو بعض المواقف غامضة وغريبة لمن يراها من الظاهر ولا يمحصها بعقله، وهذه قد يعذر عليها البعض من هؤلاء، لان كثيراً من مواقف السيد (ره)

---

(٤٣) سورة الاسراء ــ الآية ٥٣.

(٤٤) سورة النحل ــ الآية ١٢٥.

كانت خارقة للعادة، وعامة الناس في واقع الامر لم يعتادوا على الحكمة.

[المال مقابل الفتنة]

وهذه الملاحظة توقفنا عند قصة ذلك التاجر البغدادي الذي كان يقلد السيد ابو الحسن، وفي احد المرات أصبحت عليه حقوق شرعية بمقدار مائتي دينار وقرر ان يذهب الى النجف ليسلمها مباشرة للسيد (ره) فاختار يوم عيد الغدير، ليمر في طريقة لزيارة الامام علي عليه السلام وهو ما كان متعارفاً في هذا اليوم المبارك، ثم لزيارة المرجع الاعلىٰ.

وهذا ما حصل. فبعد الزيارة توجه نحو منزل السيد ابو الحسن، فرأى المنزل وقد اكتظ بالناس، فاضطر الى الجلوس طويلاً حتىٰ استطاع دخول غرفة السيد (ره)، فجلس منتظراً حتىٰ تخف الزحمة و يذهب الناس وعندها يكون باستطاعته تقديم المال للسيد والسلام عليه.

وفي الاثناء دخل رجل ـ لم يكن غريباً عند هذا التاجر ـ فقد كان يعرفه حق المعرفة، انه من الفاسدين والفاسقين في بغداد، وهو شارب للخمر لاعب للقمار وزان وما الى ذلك. وكانت صدمة هذا الرجل عندما رأى السيد قد قام واحترم هذا الشخص الفاسد، بل وقدمه في مجلسه ممّا زاد في تعجبه وحيرته، فهل السيد لا يعرفه ؟

هذا مستحيل فالمعروف عن السيد خبرته بالناس، بل إن طريقة التعامل كان تكشف عن معرفة سابقة، إذن فما هي القصة ؟

كان التاجر مستغرقاً في تعجبه وصدمته حتىٰ تلقىٰ صدمة اكبر وعجباً ادهىٰ، فقد اخرج السيد ابو الحسن (ره) كمية من المال ثم عدّها فكانت مائتي دينار، ثم قدمها لهذا الشخص الفاسد بصورة خفية !!.

يقول هذا التاجر: فكرت مع نفسي كيف اقدم الأموال للسيد وهي حقوق شرعية ثم يقدمها لامثال هذا الشخص الفاسد، بل لقد شككت في عدالة السيد !، وقلت في نفسي لن أعطي المال للسيد ابو الحسن، بل وفكرت ان اعدل في تقليدي للسيد، فقد بطل تقليدي له بهذا التصرف منه، واكثر من ذلك فكرت ان اذهب الى مرجع آخر وأسأله عن، الأموال التي اعطيتها للسيد من قبل !!.

وهكذا خرج التاجر البغدادي من دار السيد وتوجه الى محطة السيارات ليرجع الى بغداد، وهنا أدركتْ هذا التاجر مِنّة من الله، فعاد الى عقله وفكر بشكل ايجابي وموضوعي...

فكر.. ان السيد عالم وهو أعلم منه قطعاً، ولابد من ان يعرف ذلك الشخص الفاسق، من هنا قد تكون وراء ذلك قصة خافية عليه. لذلك استغفر الله تعالىٰ ورجع الى منزل السيد، وكان الوقت قريباً من الظهر، وكان بيت السبد ليس مزدحماً كما كان اولاً، لذلك سلّم على السيد وجلس عنده.

قال له السيد ابو الحسن انت كنت جالساً قبلاً فذهبت ثم رجعت لماذا ؟!!... قصّ التاجر القصة على السيد بكل صراحة، و بين له حيرته وتعجبه من الموقف الذي أبداه تجاه ذلك الشخص الفاسد.

هنا ابتسم السيد، ثم اخرج من تحت البساط كتاباً مخطوطاً، وقدمه للتاجر وقال له: اقرأ..

يقول التاجر: قرأت بعضاً من الكتاب.. ثم سألت السيد ماذا يعني ذلك ؟

قال السيد هذا الرجل انا اعرف عنه كل شيء، وسمعت انه قد ألّف كتاباً ضد الامام امير المؤمنين عليه السلام وهو شيعي، وكان ينوي طباعته علىٰ

نفقة بعض المتعصبين والمنحرفين من النّواصب، وهذا الكتاب لو طبعه لأحدث ضجة كبيرة في بغداد وغيرها من ردّ وإشكالٍ وجواب والى ذلك. لذلك طلبت من هذا الشخص ان يأتي اليّ، وجاء بعد الإلحاح عليه. وعندما التقيته كما رأيت قلت له: كم يعطيك (فلان) لطبع هذا الكتاب؟. قال: ٢٠٠ دينار، فأعطيته ٢٠٠ دينار وأخذت الكتاب منه واضاف السيد (ره): ان هذا الشخص لو طلب ألف دينار لأعطيته مقابل الكتاب...

نعم ان توجيه الاعلام بصورة منحرفة قد يشغل الناس والامة عن مشاكلها وهمومها، والاعداء يرفعون دائماً شعار التفرقة و بث العصبيات بين ابناء الأمة، وسياسة بريطانيا الاستعمارية مشهورة في تمزيق الشعوب وهي كما تسميها «فرق تسد»، لذلك فالقائد كان محنكاً حينما قطع دابر الشرّ ولم ينتظر حتىٰ تطفح القضية على السطح وتبدأ المناوشات التي لا تنتهي إلّا بالخسران والفشل للامة الواحدة.

[لا اكتب حتىٰ «ألفاً»]

وثمة قصة اخرى تكشف حنكة السيد في التعامل مع الاعلام المضلل وقد حدثت في ايران. فقد ظهر هناك كاتبٌ بارع في استخدام القلم لقلب الحقائق والحط من الدين الاسلامي، وكان اسمه (احمد كسروي) وكان يدعي انه (سيد) من ابناء رسول الله (ص)، وقد كان قبل انحرافه من اهل العلم، ولكن البريطانيين تمكنوا من إغرائه وحرفه عن جادة الحق فبدأ بالكتابة ضد الاسلام وضد التشيع، وله مجموعة من المؤلفات.

هذا الرجل كان يكتب باستمرار في الصحف الايرانية الكبيرة وقد اثيرت حوله ضجة كبيرة تفاعلت وتفاقمت حتىٰ وصل صداها الى العديد من البلدان الاسلامية وخاصة العراق.

وحيث كان المرجع الاعلىٰ في ذلك الزمان هو السيد ابو الحسن الاصفهاني، فقد رجع اليه بعض المؤمنين وطلبوا منه ان يكتب ضده و يردّ عليه، ولكن السيد (ره) لم يستجب، وعندما الحّوا عليه، قال لهم بصورة حازمة : لا اكتب ضده شيئاً، ولا أضع حتىٰ «ألفاً» (حرف الألف) في تفنيد ما كتب.

فسألوا السيد عن مبررات موقفه هذا ؟

فقال (ره) : انني بمجرد ان اكتب ضده شيئاً، يصبح هذا الشخص الصغير شيئاً كبيراً، فيقولون قال السيد ابو الحسن كذا، وقال كسروي كذا، بينما هو لا يعتبر شيئاً الأن، وإنما حوله جماعة صغيرة من الشبان المنحرفين يرشيهم او يوفر لهم شيئاً من الفساد.. و يبقىٰ هو مجرّد انسان منبوذ...

ولعلّ السيد ابو الحسن (ره) قد فطن للفتنة التي كان يُراد لها ان تستعر، فالبريطانيون ــ كما يُقال ــ كانوا يُريدون من السيد ابو الحسن والعلماء ان يدخلوا الى حلبة المبارزة مع هذا الرجل حتىٰ يجعلوا من ضلالاته ديناً كما صنعوا القاديانية في الباكستان والبهائية في ايران وغيرها من المذاهب الهدامة في الامة الاسلامية.

إذن فالسيد فهم ان دخوله في الصراع يعني صب الزيت على النار لتزداد اشتعالاً، من هنا فقد آثر عدم المبالاة وعدم تصعيد الضجة اكثر من حدّها هذا وهناك حكمة لطيفة للامام امير المؤمنين عليه السلام يقول فيها : «اقتل الاشياء لعدوك ألّا تُعَرِّفَهُ انك اتخذته عدواً» والجدير ذكره هنا ان ذلك الكاتب المنحرف قُتل على يد حركة «فدائيان اسلام» التي يقودها الشهيد السيد مجتبىٰ نواب صفوي، الذي قد أُعْدِمَ وثلّةَ من أصحابهِ على يد شاه ايران الثاني محمد رضا بهلوي وبإيعاز من بريطانيا.

[سدّ الطريق امام ذوي النزعات الضالة]

هناك حكاية ثالثة ايضاً تسجل في صفحات المجد التي تؤرخ حياة السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره)، وهي لا تفترق عن سابقيها، فمجابهة الاعلام المضلل هو الجامع المشترك بين الثلاث، ولكن في هذه المرة كانت الوسيلة هي اللسان او الخطابة، وفي هذا المرة ايضاً كان للسيد موقف آخر قد لا يتشابه مع موقفيه السابقين، ولكنه يتصل معهما برباط الذكاء والحنكة السياسية، والهدف المشترك.

هذه المرة كان المنحرف من احد الخطباء البارعين في العراق، وكان منبره عامراً بشكل واسع بالجماهير، ولكن كانت الخطيئة في هذا الشخص ان له «نزعة قومية» وقد اخذه غروره بكثرة الجماهير حوله لان يتكلم بايحاء من نزعته القومية العربية، غير انه كان لا يتعرض للمقدسات.

وفي احدى خطاباته الجماهيرية ارتكب ما كان يتجنبه سابقاً، فقد تعرض هذا الخطيب «الجاهل» للإمام زين العابدين عليه السلام وقال :

«انظروا الى الفرق بين العربي والاعجمي، إن العربي له شهامة ولكن الاعجمي محتال وجبان»... ثم تطرق للفرق بين الامام السجاد عليه السلام حيث ان امه ايرانية (وهي السيد شهربانو بنت كسرى يزدجرد) وأخيه الشهيد علي الاكبر حيث ان أبويه عربيان.. فقال : «إن علياً الاكبر ذهب بكل شجاعة الى الحرب وقُتل، ولكن السجاد عليه السلام، حيث ان امه اعجمية تحايل حتىٰ لا يشارك في الحرب وتظاهر بالمرض لكي يُعفىٰ منها..» ـــ والعياذ بالله ـــ ...

هذه الأباطيل بلغت السيد ابو الحسن (ره)، فأفتىٰ بحرمة منبره حتىٰ يتوب.. وبين للناس ان هذا الشخص، اولاً : كذب بكلامه هذا، وثانياً : فقد أهان الامام السجاد عليه السلام، وخطيب يهين احد الائمة من على منبره يحرم

على الناس حضور هذا المنبر.

عند ذاك كسدت بضاغة هذا الخطيب، وانفض الناس عنه، واصبح لا يحضر مجلسه احد، مع براعة مجلسه من حيث العلم و ليس التقوى.

حتى اضطره ذلك الى ان يذهب وهو وجماعة من عشيرته الى السيد ابو الحسن (ره) و يعلن هناك توبته، ثم بعد ذلك صعد المنبر واعلن توبته عمّا سلف منه ومن افكاره التي بثها، وخاصة بشأن الامام السجاد عليه السلام.

وهكذا كان السيد ابو الحسن يحاول ان يسدّ الطريق امام اؤلئك الذين لهم نزعات شيوعية او قومية ممّا يضر بوحدة الصف والتماسك الداخلي مقابل الاعداء الذين يتربصون بالاسلام والمسلمين الدوائر، وتلك كانت من الملامح السياسية الهامّة في حياة الامام السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره).

وحدة الصف الشيعي

إضافةً الى ذلك فقد كانت للسيد مواقف مشهودة لتوحيد الصف الشيعي وخاصة بعد استعار حدّة الصراع الفكري بين الاصوليين والاخباريين والذي خرج في بعض اطواره عن أصول الحوار والنقاش الايجابي ليتحول الى الشتيمة والاتهامات المتبادلة، بل وصل الأمر الى حدّ ان بعض الجهّال كان يعتبر (الاخبارية) انجاساً، بل وتُستحل اموالهم واعراضهم، وهي حكاية وصل خبرها الى السيد ابو الحسن الاصفهاني فتأثر كثيراً بسبب ذلك، وصرح بمساواة حقوق الأخباري وغيره من الاجتهاديين.[٤٥]

وقد وقف السيد ابو الحسن (ره) بصرامة امام حوادث كثيرة افتعلها بعض الجهّال لبث الفرقة بين ابناء الطائفة الواحدة.[٤٦] وكان يحرص كل الحرص على

---

(٤٥) الجابري، علي حسين: الفكر السلفي عند الشيعة الإثنا عشرية ـــ ص ٤٢٧ هامش رقم (٥).

(٤٦) المصدر نفسه ـــ ص ٤٢٨.

ان يوفق بين الاطراف المتنازعة، و يدعو الى استخدام اللين في التعامل مع الاخباريين، حتى لا تتحول النزاعات الى شرخ في الجدار الشيعي مما يضعف الجبهة الداخلية و يزعزع تماسكها. ولذلك فإن عصر السيد ابو الحسن شهد هدوء وسلماً واضحاً بين الاخباريين والاصوليين.

وفي السنوات الاخيرة من حياة السيد ابو الحسن تصاعدت الخلافات بين الطرفين في مدينة البصرة، وقد ألف حينها السيد مهدي القزويني كتاباً يردّ فيه على الأخباريين، مما اثار حفيظة الاخباريين، وقادوا صراعات فكرية مع منافسيهم كانت ابرزها المناظرات التي قادها الميرزا محمد تقي جمال الدين الاخباري مع السيد مهدي القزويني. فخلقت اجواء من التوتر وصلت الى التجريح والتشهير، فكتب السيد ابو الحسن (ره) كتاباً الى اهل البصرة رداً على سؤال لبعض البصريين له، وفيه يتضح بصورة جلية منهج السيد ابو الحسن في التعامل مع هذه الاحداث، فقال في الكتاب المتضمّن للكثير من العبر:

« بسم الله الرحمن الرحيم.. الى كافة المؤمنين المتدينين بشريعة سيد المرسلين وفقكم الله لما يحب و يرضى. بعد السلام عليكم والدعاء للجميع بحسن التوفيق.

لا يخفي وردني مكتوبكم الموقع فيه اسماء جماعة تذكرون فيه عقائدكم من نفي الغلو ومن الاقرار بالمعاد الجسماني والمعراج الجسماني وانشقاق القمر وغير ذلك من ضروريات الاسلام وانكم لا تقولون بوحدة الناطق ولا تنكرون شيئاً من اعتقادات المؤمنين المشهورة بين الفرقة الناجية ومع ذلك ان جناب السيد مهدي سلمه الله قد صدر منه في البصرة ما يوجب تفرقة الكلمة والتحزبات الدينية نعم من كانت هذه عقيدته فهو اخونا في الدين وحاله حال جميع المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم ولا اظن بالسيد وبمن دونه التعرض الى من كانت عقيدته هذه العقيدة، ولعل ما وقع في البين ناشيء من سوء التفاهم من الطرفين فأما ان السيد

اعتقد ان عقيدتكم غير تلك العقيدة واما ان الامر ليس كما بلغكم، وعلى اي حال يلزم رفع الاشتباه وازالة الشحناء من الطرفين واظن ان العمدة في منشأ هذه الضوضاء انتشار الكتاب الذي صنفه جناب السيد قبل عشر سنين، وإني بعون الله تعالىٰ مهتم بكمال جدي وجهدي في رفع هذه الغائلة والتوسل بكل وسيلة في إطفاء هذه النائرة وقد التمست من السيد سلمه الله اللزوم على الطريقة اللينة مع كافة البصريين على اختلاف مشاربهم والامل فيكم ايضاً ان تجتنبوا معه طريق الشدة فإنه اجل من ان يرضى بتفرقة الكلمة خصوصاً في مثل هذه الايام الحرجة وما أريد إلّا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله وعليه توكلت واليه انيب. وفقني واياكم لما يحب و يرضى والسلام على من اتبع الهدىٰ. هذا و يبلغكم علي ابن موسى عني شفاهيات إذا أصغيتهم اليها يكون صلاحكم والسلام. ١٤ ذي القعدة ١٣٤٤ الاحقر ابو الحسن الموسوي» . (٤٧)

(٤٧) راجع نسخة للرسالة في ملحق رقم (١).

شخصية القائد

خامساً : استمالة الآخرين.

بعض الناس تثيرة ادنىٰ مشكلة او قضية فتجعله يتخذ المواقف المعادية تجاه هذا الشخص او ذاك، وهذا بالتأكيد ليس بالاسلوب، الصحيح فـ «رأس الجهل معاداة الناس» كما يقول امير المؤمنين عليه السلام ومن يطمح الى أن يكون قائداً عليه ان يسعىٰ بجهده. لأن لا يخلق له أعداء، فلا يدخل في اللجاجة والخلاف والتنازع مع الآخرين فرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول : «ما نهيت عن شيء بعد عبادة الأوثان مثلما نُهيت عن مُلاحاة الرجال». وهكذا فالقائد عليه ان يكسب جميع الأطراف، ويحاول ان يستميل المعادين والذين يبتعدون عن الخط العام للرسالة. وهذا ما كان يسعىٰ له آية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره)، فقد كان يسخر كل الامكانيات من اجل كسب المخالفين او على الاقل تحييدهم حتىٰ لا يكونوا رقماً فاعلاً ومؤثراً لصالح الاعداء والقوى المضادة لخط العلماء وخط الجماهير. وقد قال امير المؤمنين عليه السلام : «من استصلح عدّوه زاد في عدده».

[الخبز مقابل تسهيل المعاملات !!]

ومن القصص المؤثرة التي تنقل في هذا المجال.. هي التي ينقلها احد وكلاء السيد (ره) وهو (الحاج مجيد الخباز) رئيس الخبازين في كربلاء حيث يقول: ذات مرّة جاء شرطي وقدم إليَّ ورقة موقعة من السيد بأن اعطيه خبزاً وكان من عادة السيدان يرسل طلبة العلوم الدينية الى الخبازين ليتسلموا منهم الخبز بشكل مستمر ولكن في هذه المرة أرسل شرطياً لهذا الغرض وليس طالباً للعلم.. فسألته.. هل ان السيد اعطاك هذه الورقة ؟ قال: نعم فاستغربت كثيراً كيف ان السيد يعطي لشرطي حصة من الخبز.. وبقيت هذه القصة حاضرة في ذهني متحيراً امامها حتىٰ التقيت بالسيد ابو الحسن (ره) فأخرجت الورقة اياها.. وسألته لأتأكد: هل هذه أُرسلت من قبلكم ؟

فقال نعم !. قلت: وهل تعرف الىٰ من اعطيتها ؟.. قال: نعم ! اعطيتها لشرطي فاعترضت على السيد وتساءلت كيف يفعل ذلك وهذا الشرطي ليس من طلبة العلوم الدينية ولا يستحق ان يعطىٰ شيئاً من الحقوق الشرعية..

فقال السيد (ره): إن هذا الشرطي يقف على باب مدير شؤون الإقامة في كربلاء، وقد خصّصت له حصة الخبز حتىٰ إذا ذهب اليه طلبة العلوم الدينية من غير العراقيين (والذين يعتبرون أجانب في عُرف السلطات) يسهل عليهم أمورهم و يسرع في إقناع رئيسه بأن يمنحهم الاقامة ولا يؤخرهم ولا يؤذيهم.

يضيف الحاج مجيد: فعجبت كثيراً لهذا القول.. وتساءلت في نفسي كيف عرف السيد بأن هذا الشرطي يقف على باب مدير شؤون الإقامة !!

ولكنها بالتأكيد حنكة السياسي الخبير التي تبحث عن الاشخاص ذوي النفع والجدوى وتكسبهم لكي يساعدوا في دفع مسيرة العمل والتحرك الى أمام.

[يكسب مديراً للشرطة!!]

ثمة حكاية اخرى ينقلها حفيد السيد ابو الحسن وهو السيد عبد الحميد ابن السيد علي[٤٨] و يقول فيها كنت ذاهباً مع احد اقربائي الى مسجد الكوفة للاعتكاف، وكان المكان مزدحماً ولم نستطع ان نحصل على غرفة إلّا بالقرب من باب المسجد.

بعد فترة جاءنا اثنان من (العرب) ــ اي ابناء القرىٰ ــ وكانوا قد سألوا عنّا فقيل لهم ان أحدهما من اولاد المرحوم السيد ابو الحسن. فجاؤوا الينا، وقالوا عندنا قصة حدثت مع ابيكم في ايام حياته. ونحب ان نرويها لكم.. فقلنا: تفضلوا..

قالوا: نحن من اهالي «العباسيات» بين الكوفة والحلّة وهي منطقة كبيرة جداً وفي ايام السيد ابو الحسن كان مدير الشرطة في المنطقة سنّياً، في حين ان ابناء المنطقة جميعاً تقريباً هم من الشيعة، كان يظلم الناس ويمنعهم عن زيارة العتبات المقدسة، ولم يكن ملتزماً دينياً، وكان لا يصلي ايضاً، وقد ضاق اهالي المنطقة ذرعاً به لكثرة ظلمه. وقد اجتمعنا نحن بعض رجال المنطقة وصمّمنا على أن نذهب الى السيد ابو الحسن ونشكوه اليه. و بالفعل ذهبنا، قلنا للسيد بأن هذا الشرطي انسان متعصب ومنحرف و يؤذي الناس، وطلبنا منه ان يكتب الىٰ المسؤولين في بغداد لكي يغيّروه و يأتوا بآخر أصلح منه.

قال السيد: اذهبوا وقولوا له ان السيد ابو الحسن يطلبك اليه في النجف الاشرف، و بالفعل نقلنا اليه طلب السيد دون ان نعلمه بالحادثة، فتردد كثيراً، ثم قال: سأذهب معكم.. ولكنني حلقت لحيتي يوم أمس فلنصبر عدة ايام حتىٰ

(٤٨) وهو من العلماء الافاضل المقيمين في مدينة مشهد المشرفة.

تطول اللحية ! (ربّما كان يخجل من السيد اذا لم تكن له لحية).

وهكذا و بعد ايام ذهب هذا الشرطي مع بعض رجال منطقته لزيارة السيد ابو الحسن في النجف، وعندما دخلوا عليه بادر هؤلاء الرجال الى تقبيل يد السيد، فعمل هو مثلما عملوا .

واحترمه السيد واستفسر عن حاله واوضاعه، ثم قال له : كم تعطيك الحكومة من راتب ؟ قال : (١٤) ديناراً، وهو مبلغ لا بأس به فالمدرس كان يأخذ ديناران والطالب في الحوزة نصف دينار.

قال السيد : ان هذا الراتب لا يكفيك، فانت شخصية مرموقة في المجتمع وتحتاجْ الى مال اكثر لكي تفي بمتطلبات الضيافة والحاجيات الاخرى..

وأضاف : إن وكيلي في الحلة (بزّاز) ـــ يبيع القماش ـــ وسوف اكتب تذكرة تذهب اليه بها وسيعطيك كل شهر (١٤) ديناراً حتى تستطيع ان تقضي حوائجك فكتب له التذكرة ثم قال له : إن هذا المال لا يشبه مال الحكومة، فهو مال طاهر ويجب ان يصرف للمؤمنين، وسمعت انك لا تصلي قال : لا انا اصلي.. فقال السيد : عموماً إن الذي يصرف المال يجب ان يكون من المؤمنين..

فقال مدير الشرطة : نعم يا سيدنا.. سأكون منذ هذه الليلة تحت خدمتك مع عائلتي.. فعقّب السيد بالقول : اذا لم تبدأ بأداء الصلاة فسيصل نبأك اليّ وسأقطع عنك المرتّب.

يقول ناقلوا القصة.. ان مدير الشرطة قال لأحدهم في طريق العودة : انني لم اكن اعرف ان الشيعة همْ على حق والآن. تأكد لي ذلك، وطلب منهم ان يعلّموه الصلاة، وبالفعل كان يذهب الى أحدهم كل يوم. ليعلمه الصلاة، وهكذا تغيرّ هذا الشخص واصبح يُحسن للشيعة احساناً منقطع النظير.

وبهذه الطريقة استطاع السيد ابو الحسن كسب مدير الشرطة هذا، واستطاع ان يضمه لصالح العمل والتحرك دون ان يقود حرباً إعلامية او عسكرية من اجل ازاحته وقد يفشل في ذلك. وقد قال امير المؤمنين عليه السلام: «الاستصلاح للاعداء بحسن المقال وجميل الأفعال، أهون من ملاقاتهم ومغالبتهم بمضيض القتال».

[المال لوقف الفتنة]

وينقل ان احد الاشخاص الذين كانوا يشنّون حرباً كلامية شعواء على السيد ويحاولون اسقاطه، وقف ذات مرة امام الناس في النجف وقال لهم: انني سمعت كل شيء يلقبون به العلماء مثل: آية الله، وحجة الاسلام والمسلمين، والامام، وملاذُ الانام، ونائب الامام.. ولكنني لم اسمع طيلة عمري ان يُقال لمرجع انه «الله».

ثم اخرج كتاباً ادعى ان احد الناس قد وجّهه الى السيد ابو الحسن وكان فيه: «الى الله العلماء» !!..، وهذا الحديث لم يكن جميع الناس تقريباً يصدقونه، ولكنه اثارة بلبلةً بينهم، فأخذت الشرطة بتعقيه وملاحقته.

ولـمّا سمع السيد ابو الحسن بالخبر، ارسل بطلب هذا الشخص داعياً اياه لمقابلته، فجاء بعد إصرار. فقال له السيد: إذا كنت فقيراً وكنت بهذه الوسيلة تستدر المال، فلماذا تتوسل بأسلوب غير شريف مثل هذا، في حين انني مستعد لأن اعطيك المال. ثم اخرج كمية من المال واعطاه واخذ منه الورقة التي كتب فيها خطاباً الى السيد ابو الحسن بانهُ «الله العلماء».

وهكذا انهى الفتنة بشيء من الذكاء والحنكة وحُسن المعاملة، وكسب شخصاً بدل ان يحوله الى عدوٍ لدود يسبب له الفتن والمشاكل هنا وهناك.

[من اليهودية الى الاسلام]

وقصة اخرىٰ رائعة تذكرنا بما يروىٰ عن الانبياء والائمة عليهم السلام كيف انهم كانوا يستميلون الاعداء واصحاب الاديان والمذاهب المخالفة، بحسن اخلاقهم وايمانهم، وحكمتهم في التصرف و ينقل هذه القصة احد تجار بغداد، الذي اصبحت بذمّته حقوق شرعية بمقدار الف دينار، وكان لا يملك حينها سوىٰ (٨٠٠) دينار، فأخذها وذهب الى النجف ليقدمها للسيد، وهنا التقىٰ بالسيد وقال له: ان عليّ حقوقاً بمقدار الف دينار ولكنني لا املك الآن سوىٰ (٨٠٠) دينار، و باقي اموالي ديون و بضائع أتاجر بها، واذا توفرت لدي مِئتا دينار آتي بها اليكم إن اشاء الله. فأخذ السيد الـ (٨٠٠) دينار وشكر التاجر، لأنه ورد في الاحاديث استحباب الشكر عند استلام الحقوق.

ثم سأل السيد التاجر: من هم الاشخاص الذين يعتبرون مدينين لك ؟ فذكر مجموعة من الاسماء، ومن بينهم يهودي قال انه أفلس وخسر في التجارة ولا يملك ما يعطيني.. فسأله السيد كم لك في ذمة اليهودي ؟.. قال: ألف دينار..

فكر السيد ابو الحسن (ره) لحظة ثم قال للتاجر: هل تعمل بما اقول لك ؟

قال: نعم! بالتأكيد هنا اخذ الـ (٨٠٠) واعطاه اياها وقال: هذه مع الـ (٢٠٠) دينار التي عندك تصبح ألفاً.. فاذهب واعطها لليهودي و بعد ذلك خُذ دينك منه..

يقول التاجر.. فقلت للسيد: ذلك الرجل يهودي وهذه حقوق شرعية !!.

قال السيد: لا عليك.. الم اقل لك ان تسمع منّي فقلت: نعم.

هنا اضطر التاجر الى ان يلبي طلب السيد، فأخذ المال وذهب، وفي بغداد

ذهب الى بيت اليهودي، وقد كان طالبه عدة مرات بالدين وهويتهرب منه..

فطرق الباب، فخرجت ابنة اليهودي، فقال لها : قولي لوالدك ان (فلاناً) يُريدك بشأن.. فدخلت في البيت ثم رجعت فقالت : إن والدي مريض ونائم .

يقول التاجر: احسست بان اليهودي يُريد التهرب مني ظاناً انني جئت مطالباً بالدَّين، لذلك قلت لابنته : قولي لوالدك انني لم آت مطالباً بالدين بل جئت مفرجاً عنه. ذهبت ورجعت فقالت : تفضل. فدخلت الدار؟ فرأيته بالفعل مريضاً مستلقياً على الفراش.. ثم قلت له : كم لي في ذمتك ؟ قال : ألف دينار.. قلت : كل ديني لك. فذهل وسأل كيف ؟ قلت له : مرجعنا الاعلى امر بذلك.. ثم رويت له ما حدث فلما سمع هذا الكلام أخذ يبكي بكاءً مرّاً.. وقال : انّي احب ان اسلم.. فأسلم وكذلك ابنته..

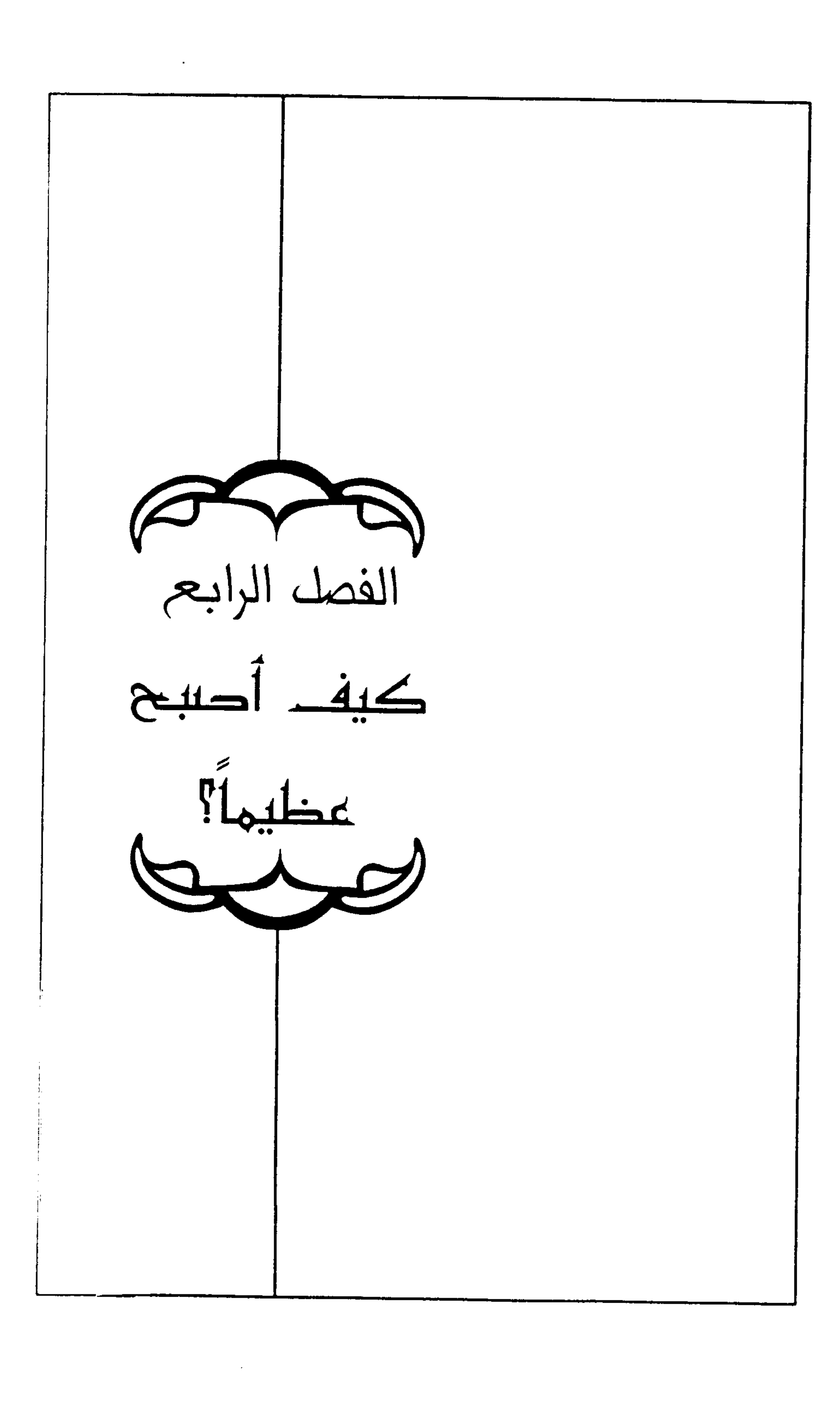
ثم قلت له : كيف اسلمت ولماذا ؟ قال : في الحقيقة ان هذا الرجل هو من أوصياء الانبياء.. فسألت : كيف عرفت ذلك ؟ قال : قبل ان تأتي انت كنت افكر بمالي وإفلاسي وكيف أنه لا أحد يرحمني، ففكرت في نفسي انه لو كان موسى عليه السلام حيّا لكشف عني كربتي وقضى ديني لانه نبي من انبياء الله، والآن لمّا جئت ونقلت لي مساعدة السيد ابو الحسن تيقّنت ان هذا الرجل لا يكون إلّا من خلفاء الانبياء.

وحقاً قال فالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يقول : «اللهم ارحم خلفائي. قيل له يارسول الله ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يأتون من بعدي و يروون احاديثي وسنتي».

يقول التاجر البغدادي : و بعد فترة ذهبت الى النجف وزرت السيد ابو الحسن واستصحبت معي اليهودي لانه طلب مني ذلك.. وعندما كنا في حضرة

السيد، همس في اذني وقال: الم يكن هذا العمل حسناً كما قلت لك، وحتىٰ ولو بقي على يهوديته «فإن لكل كبد حرّا اجر» كما في الحديث.

نـعم انه حسنٌ، بل الاحسن من ذلك هي الاخلاق والرحمة والذكاء التي استطاع بها السيد ؒ يهدي الى الاسلام يهودياً مع ابنته.



الفصل الرابع

كيف أصبح عظيماً؟



المقدمة :

العظمة ليست رداءً يلبسه من يشاء فيصبح عظيماً، وليست هي بالقلادة التي ما على الإنسان إلّا ان يضعها في رقبته و يقول ها قد اصبحت عظيماً:. ولكن لها مكامن وأسراراً، وكل عظيم يحمل سراً من أسرار هذه العظمة وعلى أساسها يصبح عظيماً..

وقد يطوف الباحث منّا عن اسرار العظمة، فيبدأ بالمشرق فلا يجد فيه إلّا التخلف والجمود و بالتالي فهو لا يبصر إلّا مكامن الانحطاط والذل وتلك بالطبع حالة النقيض للعظمة.

إذن اين يتجه ؟

الشرق لم يجد في ضالته بعد، ولم يَبْقَ امامهُ إلّا الغرب، انه مهد التقدم والحضارة والتطور، و بالتالي فأحاديث العظمة لابد ان ترتبط بهذا الغرب وليس بالشرق..

وهنا يبدأ الباحث منبهراً بهذا «الغرب» وعندما يغوص في بحثه، يُفاجأ بحقيقة غفلها اول الامر، فالغرب حائر أيضاً، ومفكروه يبحثون عن مكامن العظمة فلا يجدونها عندهم، بل يجدون انفسهم ابعد ما يكونون عن العظمة.. فأين التقدم والتطور والحضارة ؟!!.

ولعلّ باحثنا هنا يفاجأ للمرة الثانية، ولعلّها اعظم من الاولىٰ، فقد ايقن بأن في الغرب من يقول : ان العظمة موجودة في الشرق !!..

هل هذا صحيح ؟ وهل حقاً ان اسرار العظمة موجودة عندنا ؟ واين هي بالضبط ؟

انهم يقولون ان اعظم عطاء يقدمه الاسلام هو «العطاء الروحي». وهذا

العطاء الروحي يمثل تقليداً فكرياً اصيلاً يمكن ان يزاحم به ديكارت وهيجل وسواهما من علماء الغرب..

وقد يقف مفكرغربي عند «قيمة روحية» في الاسلام فيجد ان الفكر الغربي كلّه صغيرامامها، لذلك يضطر الى أن يعترف و يصف مثلاً قيمة الايثار في التراث الاسلامي بانها «سرّعظمة الاسلام».. وهذا ما نطق به المفكر الفرنسي سارتر!!.

إذن فلابد من ان نبحث عن ثروتنا الروحية لنجد فيها ضالتنا، ولنلتمس منها الهدى والنور للوصول الى العظمة وعند ذاك نستطيع ان نكون عظماء، ونستطيع ان نعود «خير امةٍ اخرجت للناس».

ومن هذا المنطلق يمكن ان نقيم عظماء التاريخ الاسلامي، فإن دراسة متأنية لشخصياتهم ستكشف لنا ان سرّ العظمة يكمن في المخزون الروحي الذي يمتلكه هذا العظيم او ذاك.

وهكذا كان السيد ابو الاصفهاني (ره)، فسرّهذا النبوغ والابداع، وقوة القيادة، وحنكة المعاملة، قدنجدها في اخلاقه وصبره وتضحيته واخلاصه وما الىٰ ذلك من هذا المخزون الروحي العظيم.

وإذا ما شاء فرد ان يصبح كما كان أولئك القادة والعظماء، فلا بد من ان يبدأ اولاً بسر العظمة، ولابد من ان يتوقف ملياً عند الثروة الروحية لاؤلئك العظماء، ويحاول ان يستمد منها الروح والعطاء والامل، وهكذا نسعىٰ نحن — في بحثنا هذا — لأن نكشف عن هذا الجانب من حياة السيد ابو الحسن (ره) لنقتدي به كما اقتدىٰ هو بعظماء التاريخ البشري كالانبياء والائمة عليهم السلام.

الطريق الىٰ العظمة

قبل كل شيء نبدأ مع السيد (ره) من بداياته، وكيف وضع قدمه في طريق العظمة، وهي قصة من اروع ما نُقل عن هذا السيد الجليل.

وهذه القصة ينقلها آية الله السيد اسد الله الاصفهاني، وهو من تلامذة السيد ابو الحسن (ره) وكان عالماً في النجف ثم في كربلاء، وفي آواخر حياته ذهب الى عبادان.

والقصة تبدأ مع بداية انطلاقة السيد (ره) للهجرة وطلب العلوم الدينية، فقد قرر (ره) الانتقال من مسقط راسه، ومحل ولادته في قرية «مديسة» في ضواحي اصفهان بايران متوجهاً الى دولة العلماء، ومحط العظماء، ومركز المرجعية الدينية، مدينة النجف الاشرف في العراق.

وحيث كان السيد ابو الحسن فقيراً، لا يملك شيئاً حتىٰ لشراء وسيلة لبلوغ مقصده، من هنا فقد انطلق ماشياً غير مبال بالمصاعب حتىٰ وصل الى النجف الاشرف وكلّه شوق ورغبة وتطلع لان ينهل من العلوم الاسلامية ما يستطيع ان يحقق به الهدف الذي خُلق من اجله.

وفي النجف الاشرف، لم تكن الحياة سهلة يسيرة بالنسبة لهذا الشاب الذي لم يكن قد بلغ الرابعة والعشرين من عمره بعد.. ولم يكن وحيداً، بل كان يحمل عبء عائلة مكونة من زوجة وطفل.

لقد منعه ضيق ذات اليد والفقر من أن يؤجر مسكناً قريباً من محل دراسته، من هنا فقد حمل عائلته وذهب الى مسجد الكوفة وهناك حصل على غرفة في هذا المسجد فكانت محل سكناه الى ان يفرجها الله عليه.

ومسجد الكوفة يبعد عن النجف الاشرف حوالي فرسخ اي ما يعادل (٦) كيلومترات، والنجف كانت في عهد العثمانيين وفي ذلك الوقت بالتحديد مسوّرة، مما جعل الفاصل بين الكوفة والنجف مجرد صحراء قاحلة، بل والاسوأ من ذلك ان هذه الصحراء كانت مسرحاً للّصوص، ومحلاً للوحوش، ومحلاً للذئاب..

أما السيد ابو الحسن (ره) فقد كان عليه ان يقطع مسافة الستة كيلومترات راجلاً كل يوم مرتين، مرةً قبل شروق الشمس صباحاً ذهاباً الى النجف، ومرة قبل غروب الشمس اياباً للكوفة !!.

انه إذن كان يواجه صعوبتين كبيرتين.. التعب وجهد المشي المتكرر يومياً مرتين بين النجف والكوفة، وفقدان الامن في الطريق، ومع ذلك فقد كانت همته وشوقه للعلم اكبر وأشد من هاتين المشكلتين ومن كل المشاكل، لذلك كان لا يبالي و يؤدي واجبه و يتحمل من اجله كل المصاعب، فكان يقطع المسافة ذهاباً وأياباً يومياً باستثناء ايام العطل في الدراسة الحوزو ية كيوم الجمعة او غيره.

ذات يوم كان السيد قادماً من الكوفة الى النجف، وحين شرع بدخول المدينة إذا به يرىٰ احد علماء اصفهان، ممن كانت له معرفة خاصة بهم، فسلم عليه واحترمه، ثم سأل العالم الاصفهاني: اين أنت ذاهب يا سيدنا ؟ فقال له: لقد جئت تواً الى النجف الاشرف ولم اذهب الى اي مكان بعد، ولكن سأقصد اولاً (مقبرة الصدر)[1] لزيارته ثم ازور مرقد الامام امير المؤمنين عليه السّلام.

فاندهش السيد (ره) وقال له: عجباً تأتي الى النجف ثم تبدأ بزيارة مقبرة

---

(١) «الصدر» هو أحد اشراف مدينة اصفهان الايرانية، وكان قد بنىٰ مدرسة ضخمة في مدخل النجف الاشرف، وقد خرّجت هذه المدرسة مئات العلماء وهي موجودة حتىٰ الآن.

وكان الصدر قد أوصى أن يدفن في نفس المدرسة، و بالفعل دفن هناك في مقبرة صغيرة سُميت بمقبرة الصدر نسبة الى هذا الرجل الخيّر.

الصدر و بعد ذلك تذهب لزيارة مرقد الامام امير المؤمنين ؟!!

فقال العالم الاصفهاني : سوف اراك قريباً ان شاء الله وأشرح لك سر فعلي هذا . ثم تفارقا .

و بعد ايام التقيا ، و بدأ العالم الاصفهاني يسرد للسيد قصته وسرّ تقديم زيارة مقبرة الصدر على مرقد أمير المؤمنين عليه السلام

فقد كان هذا العالم فقيراً معدماً ، وكان يطلب العلم في احدىٰ مدارس اصفهان ، وحيث كانت حاله ليست على مايرام ، لذلك توجه الى الامام امير المؤمنين عليه السلام بقلبه وتوسل به وألحّ على الله كثيراً لكي يحسن حاله .

يقول : ذات يوم رأيت الامام علياً عليه السلام في المنام ، فقال لي اذهب الى «الصدر» واطلب منه حاجتك .

لم يكن يعرف الصدر حق المعرفة ، لذلك سأل عنه ، فأرشدوه الى محل سكناه ، ولكن تردد كثيراً في الذهاب ، فقد استثقل ان يذهب لرجل لا يعرفه و يطلب منه شيئاً كحاجته . من هنا اتجه مرةً اخرى للامام امير المؤمنين(ع) وتوسل به للمرة الثانية حتىٰ يحلّ الله شفاعة الامام مشكلته . فعاوده الإمام في المنام وقال له : الم اقل لك اذهب الى الصدر ؟ .

وعندما استيقظ قرر هذه المرة ان يذهب الى هذا الشخص و يصارحه بحاجته ، وهكذا انطلق الى منزل الصدر فكان قصراً فخماً ، وعندما أراد دخول باب القصر رجع اليه تردده مرةً اخرى واستثقل الدخول ، ثم انسحب ورجع من حيث اتىٰ .

وفي المرة الثالثة ايضاً توسل بالامام علي عليه السلام بالحاح ، وفي هذه المرة ايضاً جاء اليه الامام في المنام وقال له : الم أقل لك اذهب الى الصدر ؟ يقول هذا

العالم : في هذه المرة قررت بحزم ان اذهب وألبي نداء الامام علي عليه السلام إليّ، وبالفعل جئت صباحاً الى قصر الصدر، وأنا أقدم رجلاً وأأخرّ أخرى، وعندما وصلت عند الباب، رأيت احداً وقد اخرج رأسه من شباك غرفة مطلّة على الشارع وقال لي : انت (فلان) ؟ وذكر اسمي، قلت : نعم. قال : ادخل، مشيراً اليّ بالصعود الى أعلى البيت.

فصعدت، وإذا بغرفة كبيرة جميلة، وإذا بشخصية كبيرة عليها سيماء الهيبة والشرف جالساً في جانب من الغرفة، فقال لي : إن الامام امير المؤمنين عليه السلام اوصى بك قبل ثلاثة ايام، وقد تأخرت عن موعدك !!، ثم سألني عن حاجتي. فقلت له : أريد زوجة، وأنا فقير وبحاجة الى ما يسدّ حاجتي فقال : اجلس هنا، وأشار الى جانب من الغرفة، ثم أمر جماعة من الخدم وقال لهم : خذوا هذا السيد وغسلوه وأئتوا اليه بملابس جديدة ونظيفة ليرتديها، وبالفعل خرجت بعد فترة بأجمل ما أكون، وكأنني في يوم عرسي !

ثم امر «الصدر» خادماً من خدمه بأن يذهب الى عدد من التجار الكبار في اصفهان، وبعد ساعة من الزمان كان الجميع قد وصلوا، وعلامات الاستفهام والتعجب ترتسم على وجوههم، وكان سؤالهم الاول هو عن سبب الحضور..

هنا بادرهم الصدر بالقول : إن لي ولداً وأريد أن ازوجه، وأريد اجمل بناتكم، فأشاروا الى احد التجار من بينهم، ولكنهم استغربوا من كلام الصدر، إذ لم يكن لديه اولاد، فاي ابن هذا الذي يُريد تزويجه ؟ سألوه.. فأجابهم : إن لي ولداً هو ولد الامام علي امير المؤمنين عليه السلام،وهو هذا الشاب الجالس هنا، وأشار الى العالم الاصفهاني. وقص عليهم القصة كاملةً.

ثم قال : اما المهر فهو عليّ، ولكن ايكم يتبرع ببيت ليسكن في الزوجان، فقال احدهم : انا اتبرع به وهو جاهز الآن.

ومن يتبرع ببستان حتى تستطيع العائلة الجديدة ان تعيش من ربحه، فقال آخر: انا اتبرع به.

فقال الصدر لابي البنت: عليك اليوم أن تهيىء ابنتك ليتم عقد القران في هذه الليلة !!.

يواصل العالم الاصفهاني سرد القصة على السيد ابو الحسن فيقول: خرجت من بيت الصدر، وإذا بي املك داراً وزوجة جميلة و بستاناً، وشخصية مرموقة في المجتمع !! و يضيف: لذلك فانني ازور مقبرة الصدر اولاً ثم اتوجه لزيارة الامام امير المؤمنين عليه السلام، لان الامام كان قد سبب الحل لمشكلتي عن طريق هذا الرجل الخيّر...

هذه القصة عندما سمعها السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) تذكر حاله، فأخذته العبرة، ولم يحضر الدرس ذلك اليوم بل توجه الى حرم الامام امير المؤمنين عليه السلام، ووقف على ضريح الامام يناجيه و يقول:

يا امير المؤمنين انا ولدك وهذا ولدك، فلماذا التفتَّ اليه هذا الالتفات وتركتني..

ناقل القصة يقول: ان السيد (ره) ما خرج من الحرم المطهر إلّا والامام امير المؤمنين عليه السلام اعتنىٰ به (اعتناءاً غيبياً)، وفي فترة وجيزة جداً حصل على مال وجاء بزوجته وولده من الكوفة الى النجف، وأستأجر داراً، وأخذ يدر عليه المال والعز من كل ناحية، حتى صار المرجع الاعلىٰ في زمانه للمسلمين...

وانها لمكرمة عظيمة وهبه الله عزوجل إياها بعد ان عرف فيه الاخلاص والصدق والصبر. وتلك قيم وغيرها تشكل جسوراً يعبر من خلالها الإنسان الى العظمة، و يبلغ بها مراتب الكمال، ودرجات العز والكرم.

وحديثنا في هذا الجزء عن شخصية السيد ابو الحسن (ره) سيدور عن هذه الذخائر الروحية التي تجسدت بعظمتها في حياة عظيم من عظماء التاريخ المعاصر للمسلمين.

اولاً : اخلاق الانبياء

البذرة الصالحة لا يجني منها الزارع إلّا الورد والرياحين والثمار الصالحة، في حين أن من يزرع الشوك لا يجني ولا يحصد إلّا الشوك..

هكذا الاخلاق، فمن يزرع التواضع والكرم وحسن الخلق والاحسان يجني العظمة وحب الناس والسيطرة على القلوب، في حين أن الزارع للكبرياء والبُخل وسوء الخلق والاساءه للآخرين وغيرها، هنا لا يحصد إلّا الصّغار وكره الناس والبُغض من الآخرين وما الى ذلك.

و بين الاخلاق والعظمة علاقةٌ وثيقة العُرىٰ، فالعظماء على طول التاريخ لم يصبحوا عظماء كأشخاص إلّا لمكرمةٍ، او خصلةٍ مما يعدّ من نفائس الاخلاق، وخير مثال.. اعظم خلق الله الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله الذي يصفه العزيز جلّ وعلا في كتابه الكريم فيقول: «وإنك لعلىٰ خلقٍ عظيم».

فالاخلاق إذن كانت سبيلاً لأن يرتقي سُلَّم العظمة والخلود، وهكذا كان عليه وآله الصلاة والسلام يجعل من اسمىٰ اهدافه واعلاها ان ينشر الاخلاق و يزين بها سلوك المسلمين فيقول (ص): «إنما بعثت لا تتمم مكارم الاخلاق» وفي

حديث : « .. لاتمم حسن الخلق ».

وهكذا سائر الانبياء والرسل والائمة عليهم السلام حيث كانوا تجسيداً لمكارم الاخلاق ومحاسنها ، وعلماؤنا الاجلاء حيث ورثوا الانبياء ، وأنابوا عن الائمة الاطهار، فقد ارتقى من ارتقى منهم مدارج العظمة والسمو بحسن خلقه وتواضعه وإحسانه وكرمه وما الى ذلك. ونبينا الاكرم محمد (ص) يقول : «اشبهكم بي ، احسنكم خلقاً».

والامام الصادق عليه السلام يقول : «إن الله تبارك وتعالى خصّ رسول الله صلى الله عليه وآله بمكارم الاخلاق ، فامتحنوا انفسكم ، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله عز وجل وارغبوا اليه في الزيادة منها».

وعلى هذا الدرب والمسير كانت يخطو عالمنا الجليل آية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) ، فكان يتسابق لان يتمثل باخلاق الانبياء عليهم السلام ، وكان يضرب به المثل في حسن خلقه وكرمه وسخائه وإحسانه وما الى ذلك ، حتى سمى بها الى القمم العالية لِيُعَدْ من عظماء قرننا المعاصر، وهكذا اصبح مرجعاً اعلى للمسلمين في زمانه مع ما كان يواجهه من منافسة من باقي علماء واكابر عصره.

وحري بنا ونحن نتلمس في دراستنا هذه جوانب العظمة لدى هذه الشخصية ، ان نتوقف عند امثلةٍ وشواهد حية تجسد لنا «خلق الانبياء» هذا وقبلها نؤكد اننا نشير الى «امثلةٍ» ولسنا ندعي الاحاطة الكاملة ، فحياة هذا العالم الجليل زاخرة بالمواقف والسلوكيات التي ندر ان تحصل إلّا عند اصحاب الهمم العالية.

مقابلة الإساءة بالإحسان

هي عظيمة هذه الصفة ؟!، انها لا تعني الإحسان فقط، بل اكثر من ذلك، فهي تعني ان يتنازل المرء عن ذاته، وتعني ان يتغاضى المرء عن اساءة الآخرين اليه، انها تعني الاحسان الى المسيء !

والقرآن الحكيم كان قد أثنى على هذه الصفة العظيمة فقال تعالى : «و يدرأون بالحسنة السيئة»، و يقول الامام الحسن عليه السلام : «والسداد دفع المنكر بالمعروف».

والعظماء على مرّ التاريخ هم اكثر من يُساء اليهم، وهم محط التهم والتشهير وما الى ذلك، ولعلّ عامل الحسد له صلةٌ بهذه الحالة، فكلما برع هذا الشخص وارتفع مستواه فإن درجات الحسد من قبل الحساد تزداد، و بالتالي فالإساءة الى هذا الشخص ايضاً ترتفع وتزداد و يتّسع نطاقها.

من هنا فقد شكل موقع السيد ابو الحسن (ره) القيادي في وسط الامة، وموقعه الاجتماعي وسط الناس، وموقعه الإداري والعلمي بتصديه لشؤون المرجعية، كل ذلك شكل مواد صالحة لاشعال فتيل الحسد تجاهه ولذلك فقد اثير حوله الكثير من الشكوك والتهم، لعلّ معظمها من نسج الحسادّ والمبغضين.

وقد كان يصل الى السيد الكثير من الرسائل، التي تكيل له السباب والشتائم محاولةً لتثبيطه او اسقاطه نفسياً، وهنا كان يبرز في السيد (ره) خُلق الانبياء، فكان يُقابل هذه الاساءة بالحسنة، فمما ينُقل عنه (ره) انه كان يقرأ الرسائل التي تصله جميعاً بنفسه لا بواسطة احد إطلاقاً، وكان يضع امامه في الغرفة وهو يقرأ الرسائل، إناءً كبيراً مليئاً بالماء، فإذا رأى في الرسالة الشتم والسب والاهانة اخذها ووضعها في إناء الماء ليمحو آثارها وحتى لا يطلع عليها احد، واحياناً كان يجمع هذه الرسائل وفي طريق ذهابه الى الكوفة كان يرميها في نهر

الفرات او «نهر الكوفة»، وهو يُريد بذلك ان يدفن سرّ الناس وان ينهي المشكلة بالتي هي احسن !!

وكثيراً ما جابه السيد (ره) مواقف محرجة، واهانات عديدة، ولكنه كان اصلب واقوى من أن يسقط في وحل الردّ على الاساءة، وبالتالي النزول الى مستوى الاساءات، بل كان يقابل هذه الاساءة وغيرها بالاحسان. واليك ــ عزيزي القارىء ــ بعض النماذج :

تسامح بلا حدود

هذه قصة ينقلها احد علماء مدينة الموصل في شمال العراق وهو الشيخ حسين الموصلي، وكان من العلماء البارزين في هذه المدينة في ذلك العصر، وقد أقام مجموعة من المشاريع الخيرة في هذه المدينة ومنها اقامة مسجد للشيعة هناك وكان عملاً كبيراً بالقياس لأوضاع ذلك الوقت.

يقول هذا الشيخ الموصلي : انه كان جالساً في صحن الامام الحسين عليه السلام، فإذا بالسيد ابو الحسن يخرج من الحضرة الحسينية قاصداً «باب الزينبية» باتجاه بيته، وكان السيد لا يرفض تلبية طلبات الناس حتى وهو في الطريق، فكان يلتف حوله الناس، وعلى عادته كان يتقدم الناس مترين او متراً ونصف حتى يقضي حاجة كل واحد منهم دون ان يعلم بها الآخرون.

يقول الشيخ حسين : وفي هذه الاثناء كان يجلس بجانبي شخص من بذيئي اللسان وسيئي الخلق، وعندما ما خرج السيد من الصحن قال لي هذا الشخص بانه سوف يذهب للسيد و يسبه و يشتمه.. فقلت له : اتق الله يا هذا إنه مرجع الشيعة.. ولكنه لم يعبأ بنهيي، ولذلك فقد قام وتبع السيد.

وبعد ما يقارب الربع ساعة رجع هذا الشخص وهو يرتجف كالذي

أصابه مسّ !! فقلت له : ما بك ؟!، وظننت انه قد أُصيب بمرض ما .. ولكن بعد ان سكن روعه .. قال : في الحقيقة ان السيد ابو الحسن سبب لي هذا الاضطراب. قلت : كيف ؟!.

قال : ذهبت اليه وأخذت اسبه في اذنه والناس بعيدون عنه، فواصلت سبي له حتىٰ باب الدار، وعند ذاك .. اخرج السيد ابو الحسن من جيبه مظروفاً فيه كمية من المال واعطاه لي .. وقال : انني ارضى بكل سبّ ولكني لا أرضى بسب العرض، فإياك بعد ذلك ان تسب العرض.. ثم دخل واغلق الباب !!...

هذه قصة تكشف فيما تكشف عن روحية التسامح والعفو والتغاضي عن الاساءة، بل ومقابلتها بالاحسان.

من المرآة ؟!

وقصة أخرىٰ ينقلها صاحب التقريرات الشيخ محمد على الكاظمي وهو من كبار العلماء في ذلك الوقت وكان مرشحاً للمرجعية العليا بعد السيد ابو الحسن ولكن الله تعالىٰ توفاه قبل رحيل السيد ابو الحسن. ينقل الشيخ الكاظمي انه كان له صديق من الاشخاص العاديين وليس من رجال الدين، وكان ساكناً في مدينة اصفهان وكان ذا خلقٍ سيء، ومن أعداء السيد ابو الحسن ولايكف عن سبّه وانتقاده مع فارق المسافة والبعْد بينهما ..

ذات مرة ارسل هذا الرجل رسالة الى صديقه الشيخ محمد على الكاظمي وكتب فيها : «أن اذهب وقل لهذا السيد الريفي (القروي) ــ يعني السيد ابو الحسن ــ ان الدهر يحوج المرآة الى الرماد .. ــ وكتب شعراً فارسياً بهذا المعنىٰ ــ وانني أنا المرآة احتجت اليك انت الرماد، وأنا احتاج الى النقود فارسل لي شيئاً منها» !!. بهذه اللهجة الوقحة والخشنة ــ وهو محتاج ــ يخاطب المرجع الاعلى

للمسلمين في زمانه.

الشيخ الكاظمي يقول: لمّا رأيت الرسالة امتعضت كثيراً وقلت: اي رجلٍ سيء الأدب هذا. ولكنني قلت هذه حاجة انسان ولابد من ان اسعى لتلبيتها.. لذلك ذهبت الى السيد ابو الحسن وقلت: أتعرف (فلاناً) في اصفهان. قال: نعم.. قلت: انه كمايظهر فقير ومحتاج فمن الحسن ان تعطي له كمية من المال.. ابتسم السيد وأدركه شيء من فراسته فقال: هل ارسل لك رسالة يطلب منك مالاً؟...

قلت: نعم. قال: إذن أئتني بالرسالة لأ راها..

يضيف الشيخ الكاظمي: حاولت ان اثني السيد عن طلبه لانني كنت خجلاً من ان يراها ومافيها من السب والاهانة لشخصه الشريف، وخشيت ان يدفعه ذلك الى أن يرفض اعطاءه المال. وقلت له: الرسالة ضاعت ولا أدري اين هي بالضبط.. ولكن السيد (ره) ابتسم ايضاً وقال: لابد أن تأتي بالرسالة حتى اعطيك المال. فقلت: اخاف إذا اتيت بالرسالة ألا تعطيه المال. ولكنه اصرّ على رؤية الرسالة. و بالفعل جئت بها اليه.

وعندما قرأها بدأ يضحك.. واعطاني كمية من المال.. وقال أرسل له رسالة واكتب فيها: نعم إن الدهر قد يحوج المرآة الى الرماد.. وهذا كلام صحيح.. فالدهر احوجك اليّ!!.

بهذه الروح قابل السيد ابو الحسن (ره) طالب الحاجة هذا، فكان حقاً هو المرآة وذاك هو الرماد.

ارجعوا لي!!

وقصة ثالثة يرو يها آية الله السيد مرتضى الطباطبائي من علماء كر بلاء البارزين في ذلك الزمان.. يقول: كنت جالساً عند السيد ابو الحسن في غرفته ولم

يكن احد غيرنا لان وقت زيارة الناس لم يحن بعد. و بعد فترة جاء الخادم وقال: ان (فلاناً) جاء يزورك. قال السيد: ليتفضل... فدخل ذلك الرجل، وأخذ وهو واقف يسب السيد و يشتمه، هنا خفض السيد رأسه و وضع يده علىٰ جبهته...

السيد مرتضى يقول: فكرت من شدة غيضي ان اقوم واضرب هذا الرجل ليتوقف عن سبابه، ولكنني احترمت المجلس ورأيت السيد ابو الحسن لا يقول شيئاً وهو على حاله منكساً رأسه و واضعاً يده على جبهته.. وعندما أتم الرجل السباب.. السيد توجه اليه وقال له: تفضل... فجلس الرجل.. ثم قال السيد له: ما هي المشكلة.. فقال ـــ وهو شيخ معمم ـــ: هي كذا وكذا..

قال السيد: اني قلت لك ذات مرة، ولأصدقائنا كلهم انه إذا حصلت لكم حاجة فارجعوا الى شخصي، فلماذا رجعتم الى (فلان). وأنا الآن حاضر لتلبية حاجتك.. ثم اخذ السيد (ره) بالاعتذار لهذا الشخص وكانه هو المسيء، وقدم له ظرفاً فيه مال !!. وقال: في المستقبل إذا حصلت لك حاجة فأرجع اليّ بالذات ولا ترجع في حوائجك الى احد من وكلائي وأقربائي وأبنائي.. وأنا مستعد لتلبية حاجتك في اي وقت تُريد.

وهكذا كان السيد (ره) يدرأ السيئة بالحسنة، بل الاعظم عندما كان يضع نفسه في موضع الاساءة، حتىٰ يكفر عن ذلك بالاحسان للآخرين !!.

معجزة الاخلاق !!

وهذه قصة اخرىٰ يرويها الشيخ عبد الهادي وهو من مدينة العمارة في جنوب العراق وكان دارساً في مدينة النجف الاشرف. ينقل هذا الشيخ ان احد افراد قبيلته من العمارة جاء الىٰ النجف الاشرف ليصبح عالماً، فأخذ يدرس حتىٰ اصبح شيخاًمعمماً.. ولكنه لم يكن قد تزكىٰ بعد، فكان سيء الخلق ويحمل بعض العادات السيئة. وكان كثير السباب والشتم، ولم يكن يطيق السيد ابو الحسن

فكان يسبه كثيراً و يتهجّم عليه حتىٰ بدون مناسبة.

السيد ابو الحسن دعىٰ مرة الشيخ عبد الهادي وطلب منه ان يجعل مناسبة للقاء هذا الشيخ السيء الخلق.. غير ان الشيخ عبد الهادي كان يخاف ان يفاتح هذا الشخص بطلب السيد لانه كان يعرف انه سيقابله بالسباب والشتائم.

وفي احد الايام مرض هذا الشخص السيء الخلق. واصبح طريح الفراش، فاستغل الشيخ عبد الهادي الفرصة وزاره وقال ان السيد ابو الحسن يُريد زيارتك، فقال: لا أرغب في مجيئه، وسوف لن استقبله.. فحاول الشيخ عبد الهادي أن يليّن من موقفه كثيراً إلّا انه كان يرفض حتىٰ وضعه امام الامر الواقع وقال له: ان السيد سوف يأتي لزيارتك. فقال: وإن جاء فإنني لن احترمه ولن اردّ السلام عليه، ولن اقدم له القهوة (كما هي عادة العرب).. فقال الشيخ عبد الهادي: مهما كان فالسيد سيأتي.

وعندما جاء السيد لزيارة هذا الشخص، دخل عليه وسلّم، لم يردّ السلام عليه جيداً و بدا عليه الضيق.. فبادر الشيخ عبد الهادي وقال لهذا الشخص: ليس من عادة العرب ان يأتي ضيف اليهم ولا يقدموا له شيئاً.. فاضطر الى أن يشير لولده بتقديم القهوة.. ثم بدأ السيد يسأله عن صحته وقال له: ان لي طبيباً (وهو طبيب السيد ابو الحسن الخاص) في بغداد إن شئت جئت به ليعالجك.. فلم يقل شيئاً.. فقال السيد لأحد ابنائه.. اتصل بالدكتور ليأتي للنجف لعلاج الشيخ، و بالفعل اتصل به وطلب منه القدوم، وهذا الطبيب كان من ابرع الاطباء في ذلك الوقت.

ثم سأل السيد: من هذا الذي يقدم القهوة؟...فأشاروا الى انه ابن الشيخ المريض.. فقال: هل هو متزوج؟.. قالوا: لا.. فقال السيد للشيخ: هل تحب ان يتزوج ولدك.. فلم يقل شيئاً، وإنما أشار بالرغبة.. فقال السيد للشيخ

عبد الهادي : زوج هذا الولد وتكاليف الزواج على نفقتي. ثم قال السيد : إن بيتك قديم ويحتاج الى ترميم.. لماذا لا ترممه ؟.. قال ــ وقد تكلم لاول مرةــ : ليست عندي ما يكفي لذلك فقال السيد للشيخ عبد الهادي .. اذهب وادعُ (فلاناً) ... وكان اشهر المعماريين في النجف وهو صديق السيد ــ ليأتي الى هنا حالاً .

يقول الشيخ عبد الهادي : فبدأت بالبحث عن هذا المعمار فوجدته جالساً في الصحن الشريف، فطلبته لتلبية دعوة السيد و بالفعل جاء معي الى بيت ذلك الشيخ، فسأل السيد ابو الحسن المعمار عن تكلفة تعمير بيت الشيخ المريض، فقال : ۲۰۰۰ دينار إذا أراد الشيخ ذلك و ۵۰۰۰ دينار إذا أراده السيد ابو الحسن، فقال السيد : انا أُريد ذلك عمّر البيت وأنا اعطيك التكاليف !!.

وسرّ هذا الفارق في الحساب ان السيد ابو الحسن كان معروفاً بجوده وكرمه في العطاء.

بعد ذلك تغيرّ ذلك الشيخ.. وقام للسيد وسلّم عليه بحرارة و ودعه بكل احترام، وحسب ما ينقل الشيخ عبد الهادي.. فإن هذا الشيخ كان يقول بعد ذلك : ان السيد ابو الحسن يأتي بعد الامام الحجة (عج) مباشرةً في الدرجة !!.

انها الاخلاق ولا شيء غيرها تصنع هذه المعجزات.

اني اثق به !!

وقصة اخيرة ينقلها شخص المسيء، وقد كان من طلبة العلوم الدينية في النجف الاشرف، وكان يحسد السيد (ره) رغم ان الله تعالى يقول : «ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله». المهم أنه كان ينتقد السيد و يسبه بشكل مستمر.

يقول هذا الرجل.. انه جاء ذات مرة الى النجف مجموعة من اقربائه من احدى قرى ايران، وكانوا يقلدون السيد ابو الحسن، وقد أصر هؤلاء عليه ان يذهبوا سوية الى السيد ولكنه استثقل الامر لأنه كان ممن يسب السيد، فأرجأهم ،الى الغد،وفي اليوم التالي ايضاً اصرّوا عليه، ثم ارجأهم الى يوم آخر، ولكنهم لم يتوقفوا عن الالحاح عليه، وبعد عدة أيام رأى أنه إذا لم يذهب معهم فقد ينتقصون منه و يعادونه، لانهم يقلدون السيد ابو الحسن، ويمكن ان يعرفوا ماذا بينه وبين السيد، ولكن كيف يذهب.. وهويسب السيد و ينتقده طيلة عشر سنوات ؟!.. يقول: اخيراً اضطررت للذهاب معهم، وأنا اقدم رجلا وأوخر اخرى، ولا أدري ماذا سيحصل مع السيد.

وعندما وصلنا عند السيد ابو الحسن قبَّل جميع أقربائي يد السيد، ولم يقل شيئاً وكأن لا شيء بيني وبينه مع انه يعلم بكل شيء. ثم اخذ يسأل عن احوالهم واحوالي، ثم قال لهم: من اين اتيتم ؟.. وسأل عن صلة القرابة بيني وبينهم.. وغيرها من الاسئلة العادية التي لم يكن السيد يتركها عادةً.

ثم رحب بنا كثيراً، ولم يظهر اي شيء مما كنت اسيء به اليه، وبعد ذلك قدم أقاربي مالاً من الحقوق الشرعية التي بذمتهم للسيد، فسألهم ثانية عن صلة القرابة بيننا فقالوا: انه من أقاربنا فقال السيد (ره) مستنكراً: عجيب امركم عندكم هذا الشيخ وتأتون بالحقوق اليّ، اعطوا كل الاموال له !!.

وأضاف: في المستقبل إذا كان عندكم شيء فارجعوا لهذا الشيخ. يقول الشيخ قلت: يا سيدنا لا يمكن ان اقبل المال.. ولكنه اصرّ عليّ. وأنا ايضاً اصررت بعدم قبول المال، وبعد اصرار شديد منّي ومنه، قسّم السيد السهمين المباركين، امام هؤلاء الجماعة، واكد عليهم قائلاً انه إذا حصل عندكم اي مال فاعطوه للشيخ لأنني اقبل منه وأثق به.. ثم اعطاهم الوصولات وخرجوا وذهبوا..

يقول ناقل القصة : قلت مع نفسي وأنا احمد الله شاكراً ان السيد ليس لم يهينني فحسب بل اكرمني كصديق، ثم ندمت على ما كنت اقابله من الاساءة واصبحت من أعوانه وذهبت في ليلة هذه الواقعة لاصلي خلْفه وهذه كانت المرة الأولى التي اصلي فيها خلفه منذ وصولي الى النجف الاشرف قبل حوالي عشر سنوات.

نعم انها تجليات لشخصية عظيمة، قلّما شهد الزمان من امثالها، انها شخصية تسلّحت بالاخلاق، و بالاحسان مقابلةً للإساءة، لذلك يحق لها ان ترتقي سلم العظمة، وان يكتب اسمها بأحرف من نور في الصفحات الخالدة من تاريخنا الاسلامي.

التواضع

وهذه صفة اخرى من صفات الانبياء، فعن امير المؤمنين عليه السلام أنه قال في صفة الانبياء : «ولكنّه سبحانه كرّه اليهم التكابر، ورضي لهم التواضع، فألصقوا بالارض خدودهم، وعفّروا في التراب وجوههم، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين» .

و يقول الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله مخاطباً أمير المؤمنين : «يا علي ! والله لو أن المتواضع في قعر بئر لبعث الله عزوجلّ اليه ريحاً يرفعه فوق الاخيار في دولة الاشرار» فالتواضع إذن طريق من طرق الرفعة والعظمة، وهكذا كان الامام السيد ابو الحسن (ره) فكان لا يمنعه منصبه على رأس المرجعية الدينية من أن يكون بين الناس و يلتقي بأحقرهم وافقرهم، ولم يجعل من المنصب والجاه وسيلة لأن يعلوا على الآخرين و يتكبر عليهم، بل كان يعيش مع الناس كأحدهم وإذا كان الآخرون يسيئون اليه و يهينونه، فإنه لا يجعل من ذلك مطية ليركب بها الآخرين و يذلهم، بل على العكس يكون هو المبادر لأن يعتذر و يصلح العلاقة مع ذلك

المسيء وكأنه هو المذنب، وهذا بالتأكيد يحتاج الى شخصية متواضعة، متسامحة...

وإذا كان لنا ان نحصي الامثلة والمواقف التي تروى عن السيد (ره) فهي لا تحصى وقد أتينا على بعضها من خلال الصفحات الماضية، ولكن هناك قصة لعلّها تكون انموذجاً تلخص صفة التواضع عند السيد يرو يها احد طلبته ينقل هذا الطالب أن السيد كان راكباً حماره ذات يوم وهو يمضي الى سبيله، فإذا بانسان فقير يوقفه و يطلب منه مالاً يعيل به نفسه وعياله، فما كان من السيد إلّا وان مدّ يده في جيبه وأخرج «حفنةً» من النقود واعطاها للفقير.. ولكن الفقير استقل النقود فأخذها ورماها في الشارع بكل عنف وغضب.لم يقل السيد شيئاً، بل قال للفقير: اصبر! ثم اخرج من جيبه أوراقاً نقدية اكثر من تلك واعطاها للفقير، فأخذ ها وذهب.. بعد ذلك ترجل السيدونزل من حماره وأخذ يجمع الاوراق النقدية المبعثرة في الشارع ورقة ورقة وهو يقول لمريديه: هذا اسراف والفقير لا يفهم ولكنني افهم !!.

الكرم

«العطاء بلا حدود» هي السياسة التي كان يتبعها السيد (ره) مع المال، فالمادة ليست هدفاً ولكنها وسيلة، وهذه الوسيلة ليست تحفة، او قطعة اثرية يضعها المرء امامه و يتمعّن فيها مليّاً.

العمل الخيري الذي يهدف الى خدمة الاسلام والفقراء والمساكين والمحتاجين، والدفاع عن الاسلام، واستمالة الاعداء لخدمة الرسالة، يحتاج الى المال، وإذا لم يكن المال مصروفاً في هذه الوجوه فأين يصرف إذن ؟

من هنا كان السيد (ره) معطاءً، فلم يجد للمال فلسفةً سوى خدمة الرسالة، وهذا لا يعني تجميده وجمعه وامساك اليد.. وقد مررنا على طائفة من القصص التي تدل على كرم السيد وعطائه وتروى ايضاً قصة طريفة في هذا

المجال لابأس في ذكرها :

في احد الايام كان السيد (ره) زائراً لكربلاء المقدسة، فذهب الى حرم الامام الحسين (ع)، وعندما دخل الحضرة المشرفة اتجه في الرواق الاول من باب القبلة الى ضريح الشهيد حبيب بن مظاهر (رض) و بالقرب من الضريح كان هناك (كشوانية) ـ لحفظ الاحذية ـ فشرع السيد بالدخول منها، وإذا بشخص يقابله و يقدم له ليرة ذهبية و يقول انها من الحقوق الشرعية، وعندما قبضها السيد (ره) كان هناك بالصدقة فقير فمدّ يده ووضعها على الليرة، وقال للسيد اعطني اياها .. ولكن السيد لم يكن يُريد فكان يضغط على الليرة فقال الفقير للسيد : إذا لم تعطني الليرة فسأعض يدك !! .. هنا تبسم السيد وترك الليرة ...

الوفاء

تنقل قصة لعلّها من نوادر ما روي عن السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) .. ففي اواخر حياته، واواخر رياسته للمرجعية التي اصبحت في ذلك الوقت شاملة لكل الشيعة في العالم، كان السيد مريضاً فذهب لزيارة الامامين الهادي والعسكري (ع) في سامراء، ثم رجع الى الكاظمية وهناك احتفى الناس به أيما احتفاء، فأقام في دار واسعة وكان الناس يأتون ويذهبون زرافات زرافات بحيث لاتتسع الدار لهم من العلماء والشخصيات والوزراء والمسؤلين والتجار وعامة الناس..

ناقل القصة يقول ان السيد (ره) تذكر شيئاً في هذه الاثناء فنادى احد الاشخاص الذين كانوا بخدمته وقال له : انه قبل ثلاثين سنة او اكثر كان بالقرب من (باب المراد) ـ وهو احد أبواب الصحن الكاظمي ـ رجل يبيع الشاي (جايجي) ويجلس على بساط صغير.. هل هو حي ام ميت ؟ فقال : ما اسمه ؟ قال السيد : لا اعرف... قال : إذن نسأل.

وبالفعل وبعد بحث وجدوا ذلك الشخص الفقير، الطاعن في السن، فقالوا له ان السيد ابو الحسن ارسل في طلبك فاندهش كثيراً، وذهب معهم علّه يرى سرّ هذا الطلب... وعندما وقف امام السيد أخذ السيد يتفرس فيه.. وقال له : انني قبل ثلاثين سنة مررت عليك وشربت الشاي منك (قبل ان يصبح السيد مرجعاً اعلىٰ)، وكنت تشكو الفقر، وانك ليس لك دار، وعندك ابنتان وزوجتك لا تستطيع ان تساعدك ومهنتك لا تدر عليك المال الكافي.. فهل الوضع على ما هو عليه حتىٰ الآن ؟

فقال ذلك الرجل المسن : ياسيدنا دارنا دار مؤجرة، والبنتان تزوجتا، وأنا طعنت بالسن ولا اتمكن من العمل وليس لي ولد يساعدني ومازلت على فقري، سأله السيد : إذا اردت ان تشتري داراً فكم تحتاج ؟.. قال : الف دينار (وهو يعادل مالاً كثيراً جداً)، فأعطاه السيد الف دينار، وقال اشتر بها داراً حتىٰ لا تصرف جزءاً من دخلك على الايجار فأخذ الرجل المال وشكر السيد وذهب...

وهكذا كان السيد ابو الحسن (ره) وفياً الى ابعد الحدود، فلم ينس بعد ثلاثين سنة، ان هناك محتاجاً لم يستطع حينها ان يساعده !!...

ستر الفاحشة

جاء الى السيد ابو الحسن (ره) احد الفقراء والساكنين في مدينة بغداد، فلم يرُد السيد ان يعطيه المال بنفسه بل حوّله على تاجر معروف في بغداد وكان وكيلاً للسيد ابو الحسن وهو الحاج عباس اخوان، وكتب اليه حوالة بقيمة (٦٠) ديناراً لكي يعطيها للفقير..

وبعد يوم من الحادثة اتصل الحاج عباس اخوان بالسيد وقال له : هل انتم حولتم هذا الشخص الفقير علينا ؟ فقال السيد : نعم ! لماذا تسأل ؟ قال : لان هذا المبلغ الذي حولتموه لهذا الفقير لا يليق به وكان يقصد ان المال كثير جداً..

فسأل السيد : وكم حولت حتى لا يليق به .. فقال : (٦٠٠) دينار .. وهنا عرف السيد بان هذا الفقير قد زوّر الحوالة ومع ذلك فقد قال السيد للتاجر: نعم انا حولته عليك واعطه الـ ٦٠٠ دينار. ولكن جماعة ممن كانوا حول السيد عرفوا بالقضية فسألوه عن سبب قبوله مع انه حول ٦٠ ديناراً فقط .

فأجابهم السيد : انني بمجرد أن اتصل بي الحاج عباس عرفت ان الفقير زوّر الحوالة .. واضاف صفراً على الستين فاصبحت ٦٠٠ ، ولكنني فكرت في ان ماء وجهه ينبغي ان يكون أهم لدي من الفرق بين ٦٠ و ٦٠٠ دينار ولو شرحت للحاج عباس قضية التزوير لأ رقت ماء وجه الفقير، ووجدت من الافضل ان احفظ ماء وجه الفقير على ان اخسر ٥٤٠ ديناراً !!.

هذه بعض النماذج من اخلاق الانبياء التي تجسدت في شخصية اية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني ، و بها استحق ان يرتقي مدارج العظمة ، وان يلمع نجمه في سماء المرجعية والقيادة الدينية للمسلمين ..

ثانياً: الارتباط بالائمة (ع).

هناك علاقة خاصة بين العلماء العظام و بين الائمة الاطهار (ع)، فكثيراً ما يستمد هؤلاء العظماء الدعم والتأييد والامداد الغيبي من اهل البيت (ع)، فهم وكلاء الائمة ونوابهم، ونجاحهم وتقدمهم هو نجاح وتقدم لخط اهل البيت (ع).

ولعلّ حصول الدعم والتأييد من الائمة يحتاج الى روحية ونفسية خاصة، فليس كل من اكتنز علماً في صندوق عقله يحصل على هذا التأييد والدعم، بل لابد ان تكون نفسيته زكية خالصة مخلصة، وكثيراً ما نجد انساناً عادياً، ليس من حاملي العلم او طلبته يكون محل اعتناء الأئمة الاطهار (ع)، والله عز وجل اخفىٰ اولياءه بين عباده.

والامام السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) كان محل اعتناء الائمة (ع) منذ قصد طلب العلم في مدينة اصفهان، ولعل ذلك كان دليلاً على اخلاصه وورعه وتقواه.وقد مرّت قصة اعتناء الامام صاحب الزمان (عج) بالسيد ابو الحسن في مدرسة الصدر باصفهان ثم اعتناء الامام امير المؤمنين (ع) في النجف الاشرف عندما قصدها لطلب العلوم الدينية وهي القصة التي نقلها اية الله السيد اسد الله

الاصفهاني، ومن ثم التوقيع الشريف من امام العصر (عج) الى السيد ابو الحسن بان يجلس في الدهليز و يقضي حوائج الناس.

وقصة اخرى تروى حول تسديد الامام صاحب الزمان (عج) للسيد ابو الحسن، و ينقلها السيد (ميرجهاني) وكان شيخاً في النجف الاشرف، وقد حكم السيد البروجردي بعد تفحص في النسب بانه من ذرية الرسول (ص) وكان ذلك بعد وفاة السيد ابو الحسن (ره).

يقول: ان احد علماء اليمن وهو من الزيدية كتب الى علماء النجف الاشرف يطلب منهم الادلة على وجود الامام الحجة (عج)، وكلما كانوا يرسلون له الادلة والحجج كان لا يقتنع، وعندما وصلت منه رسالة للسيد ابو الحسن (ره) لنفس الغرض، كتب له السيد: إذا اردت ان ترى الحجة تعال الى النجف.. و بالفعل جاء هو وابنه وخادمه، وحلّ ضيفاً على السيد ابو الحسن، و بعد ثلاثة ايام راجع السيد ابو الحسن وقال له انني ما جئت إلّا لأرى الامام الحجة (عج) فأين هو؟..

قال السيد: حسناً ستراه قريباً..

وفي منتصف تلك الليلة، جاء السيد ابو الحسن الى العالم اليمني وأيقظه من نومه، واصطحبه مع ابنه الى جهة «وادي السلام» وهناك توجد مجموعة من السراديب[2]

فأخذ السيد العالم اليمني ونزل في احد السراديب، و بقي ابنه فوق وهو ينظر من فتحات السرداب ماذا يفعلان، وقد نقل الابن القصة للسيد ميرجهاني.

يقول الابن: كنت ارى ابي والسيد وهما يصليان و يدعوان، و بعد فترة

---

(٢) جمع سرداب، اي القبو.

سمعت صوتاً عالياً من ابي ورأيته قد سقط مغمياً عليه، فهرعت مسرعاً الى داخل السرداب وساعدت السيد على إخراجه من السرداب.

وبعد فترة افاق هذا العالم اليمني من إغمائه وقال: رأيت الذي أردت ان أراه !!. وهكذا اصبح اثني عشرياً امامياً، وتشيع على يديه أربعة آلاف شخص من اليمن [٣].

ومن القصص الرائعة التي تنقل عن ارتباط السيد ابو الحسن (ره) بالائمة الاطهار (ع)، قصته مع المرحوم الشيخ محمد علي المعروف بالمعلم الافغاني.

يقول هذا الشيخ، انه كان صغيراً لايتجاوز عمره الخامسة عشر عاماً بعد عندما طرأت عليه فكرة الدراسة الدينية، وكان حينها في افغانستان وهناك حيث لا تتوفر الفرصة لطلب العلم فقد قرر ان يهاجر الى النجف الاشرف طلباً للعلم وليدخل سلك طلبة العلوم الدينية.

وفي ذلك اليوم حيث كانت وسائل النقل قليلة، بل كانت شبه معدومة، وقد كان هو فقيراً مستضعفاً، لذلك فقد قرر ان يذهب الى النجف مشياً على الاقدام عسى ان يوفق لغايته.. ويحقق هدفه.

وبالفعل بدأ هذا الشاب الصغير رحلة المعاناة الطويلة الى حيث السمو والرفعة، وبدأ يسير ماشياً على الاقدام، قاطعاً الجبال الكثيرة والصحارىٰ الواسعة حتىٰ وصل بعون الله وقوته الى النجف الاشرف بعد عدة شهور من انطلاقته من افغانستان.

وحيث كان هذا الشاب الطموح يعاني من الفقر المدقع، فإنه لم يستطع ان يجد مأوىٰ سوىٰ في المقبرة المعروفة في النجف الاشرف وهي (مقبرة وادي

---

(٣) مرجع فارسي: گنجينه دانشمندان ج ١ ــ ص ٢١٨.

السلام)، وهي كبيرة وواسعة، فسكن بها مع ما فيها من وحشة واذىٰ نفسي حتىٰ بفرج الله تعالى عنه.

وكان برنامجه اليومي ان يذهب صباحاً الى الدرس وعندما ينتهي يذهب الى الصحن الشريف فيجلس فيه حتىٰ يأتي الليل فيذهب الى مأواه في المقبرة ليستريح و ينام.

وفي ذات يوم وفي وقت الظهيرة،حيثُ كان الجو حاراً جداً.[٤] جاء هذا الطالب للعلم الى المقبرة ليستريح قليلاً من عناء الدرس وحرارة الجو، فاستلقى على ظهره وراح في غفوة قصيرة، واستيقظ بعد فترة وجيزة فزعاً إذ كان يحس بالعطش الشديد الى درجة الهلاك. وكأن احداً قد جثم علىٰ صدره. فأسرع باحثاً عن الماء هنا وهناك ليروي ظمأه، ولكنه لم يجد شيئاً، و بعد فترة من البحث وجد ماء متجمعاً في حفرة صغيرة كالنبع وكان ملوثاً و وسخاً وقذراً، وحيث كان مضطراً وخائفاً من الهلاك فقد اخذ بالشرب منه مكرهاً حتىٰ ارتوىٰ قليلاً.. وعندها راودته فكرة البحث عن مصدر هذا الماء، فبدأ بتتبع مجرىٰ الماء حتىٰ وصل الى المصدر، فكانت صدمته عندما عرف ان هذا الماء كان من فضالة غسل الاموات، اي انه يحوي على الكافور والسدر والدماء...

يقول هذا العالم الافغاني بانه شعر بالضيق النفسي الشديد، واحسَّ بنوع من الاحباط والألم الروحي الكبير، لذلك خرج من المقبرة مولياً وجهه صوب الحضرة المشرفة للامام علي عليه السلام، وحينها كانت ابواب الصحن الشريف مغلقة.. يقول: وقفت على الباب و بدأت أُناجي الامام علياً (ع).. بانّي تحملت كل ما تحملت من اجل ان اكون بجوارك طالباً للعلوم الدينية، فكيف تصل بي

---

(١) إذ تصل درجة الحرارة في النجف الاشرف في عزّ الصيف أحياناً الىٰ حوالي (٥٥) درجة مئوية، اما معدلها الطبيعي فهو حوالي (٤٥) درجة.

الحال الى ان اشرب من هذا الماء القذر...، وبقيت اناجي الامام وابكي حتىٰ قبل المغرب بساعة او ساعتين حيث فتحت الابواب فدخلت الصحن الشريف وجلست هناك...

وبعد قليل.. جاءني شخص من خلفي وضرب على كتفي وقال: انت محمد علي؟ فقلت متعجباً: نعم!.. قال: إن السيد ابو الحسن (وكان مرجعاً اعلىٰ حينها) يطلبك.. فتعجبت كثيراً.. حيث ان احداً هنا لا يعرفني ولا يعرف بحالي مطلقاً، فكيف عرف السيد بي وبمكاني... وأنا على حالي من الدهشة قمت وذهبت الى السيد ابو الحسن (ره) حيث استقبلني بالسلام وقال لي: لماذا لم تخبرني عندما وصلت الى النجف حتىٰ اوفر لك المكان لتسكن فيه، واعطيك من الزاد ما يكفيك... فزادني هذا الكلام الذي يقوله المرجع الاعلى للامة الاسلامية دهشةً على دهشتي!!.. ثم اشار لخادم له وقال له: إذهب به (مشيراً عليّ) الى المدرسة القزوينية ووفر له غرفة ليسكن فيها، وضع له (مشاهرة) ــ راتب لطلبة العلم يوفره لهم المراجع الكبار ــ واهتم به كثيراً..

فخرج الشيخ محمد علي من السيد ابو الحسن وقد فرج الله تعالى عنه، وحسن حاله بما ييسر له السبيل لان يصبح عالماً خادماً للاسلام والمسلمين.

وإذا كان في هذه القصة من العبر الكثيرة، فإن اعظمها يكمن في اتصال السيد ابو الحسن (ره) بالائمة (ع) وهذا ما يؤكده المعلم الافغاني (ره)، وهي علاقة تعني الكثير. اقلها هذا التسديد والعون الذي يلقاه السيد من الائمة (ع)، وذلك لا يأتي من فراغ كما مرآنفاًبل هو دليل على اخلاص السيد وعظمته التي قلّما شهدنا امثلة لها في التاريخ.

وهكذا فارتباط السيد ابو الحسن بالائمة الاطهار (ع) يشكل احد الذخائر الروحية التي رفعت هذه الشخصية لتصبح من عظماء تاريخنا المعاصر.

ثالثاً: دروس في العظمة..

موقفٌ واحدٌ يغني الفرد عن حديثٍ طويل يتسع لصفحات عديدة محشوة بالافكار والمعلومات، وخاصة إذ خرج هذا الموقف من عظيم من العظماء، فانه بالتالي سيصبح درساً تقتدي به الاجيال، و يبقى مكتوباً بوضوح في ذاكرة التاريخ.

وإذا شئت ان تصبح رقماً مؤثراً في التاريخ، وأن تبقي ذكرك في صفحات النور التي تختزن تراث امتنا الاسلامية، فما هو السبيل الى ذلك؟

انها حالة شبيهة بحالة من يُريد ان يتعلم فن الكتابة مثلاً «هل تغنيه الكتب العديدة التي تتحدث عن الطريق الى الكتابة؟ وهل سيصبح كاتباً محترفاً بمجرد ان يقرأ ذلك الكتاب الذي عنونه مؤلف.. «كيف تصبح كاتباً خلال اسبوع واحد فقط؟» هل يعقل ذلك؟..

اذن فما هو السبيل؟

السبيل ليس في النظريات وانما في التطبيق.. انه يكمن في سلوك عملية الكتابة وممارستها دون توقف او كلل.كذلك سؤالنا الآنف الذكر فالعظمة لا يصل

لما من يتلمس هنا وهناك افكاراً ترشدُ الى جواب سؤاله المحيّر.. كيف اصبح عظيماً ؟

بل الطريق يكمن في البحث عن الدروس التي إن مارستها ووعيتها فستكون قد وضعت قدمك على الجادة ...

دعونا إذن نلتمس تلك الدروس من شخصيتنا التي نحن بصددها .. وهي بالتأكيد ليست افكاراً وكتابات ملأ بها آية الله السيدابوالحسن (ره) صفحات الكتب .. بل هي مواقف متناثرة من هنا وهناك ، كلها تجليات لشخصية تجلس على قمة مدارج العظمة في عصرها ...

١ ــ لا للحسد

بلاء العلماء الاكبر ليس في ارتكاب الفواحش ، وليس بالسرقة وارتكاب جرائم القتل وما إلى ذلك ، بل آفتهم كما في الحديث الشريف : «آفة العلماء الحسد» ، فبمجرد ان يلبس الرجل زي العلماء حتىٰ يبدأ الشيطان بحياكة احابيله وخيوطه لاغوائه وحرفه عن الطريق المستقيم وإذا ماأصبح مرجعاً فإن البلاء يزداد ، وتبدأ بالظهور صور من الصراع السياسي السلبي الذي يقوده هذا المرجع او ذاك ، وكلّها من اغواءات الشيطان ووساوسه. وما إذا اصبح مرجعاً اعلىٰ للمسلمين فإن البلاء يرتفع رصيده حتىٰ يتمكن من استدراج هذا العالم الكبير، وتبقىٰ أسهم الحسد هي الاعلىٰ مبيعاً في سوق العلماء ، وإذا ما تمكنت من هذا العالم فإنه سيرىٰ نفسه محور الدنيا ، وان كل شيء ملكه ، و بالتالي لا يرىٰ مرجعاً او عالماً غيره ، وهنا تبدو الحالة في قمة السلبية والسوء. لذلك كانت صفة التقوىٰ والعدالة شرطاً اساسياً في اتباع هذا العالم او ذاك.

وهكذا فتمكن الحسد من العالم يعني خروجه عن التقوى والايمان ، فعن الباقر (ع) قال : «إن الحسد ليأكل الايمان كما تأكل النار الحطب» ، و«الحسود

لا يسود» كما يقول الامام علي (ع)، فمن أراد ان يرتقي المعالي و يقود الأمة فإنه اولاً يحتاج الى أن يطلق الحسد و ينفيه نهائياً من حياته، وإلّا كانت عثرته وسقطته، فعن علي (ع) قال: «من ترك الحسد كانت له محبّة عند الناس».

من هنا رفع آية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) شعاره العظيم.. «لا للحسد» واخذ يرسم بمواقفه المتكررة الصورة الواضحة لهذا الشعار، ولعلّ موقفاً واحداً او موقفين نذكرهما هنا يوضحان لنا هذه الصورة بشكل جلّي.

كلانا نائبان للحجة !!

كما قلنا ان السيد ابو الحسن (ره) عندما بدأ نجمه يلمع في سماء المرجعية فإنه كان ينافس عشرات العلماء والمراجع من أمثاله، وهنا يتجلّى عدم حسده، وموقفه الايجابي من الآخرين.

ومن هؤلاء المراجع الكبار كان آية الله السيد حسين القمي، وهو من العلماء المجاهدين الذين قاموا ضد رضا خان في ايران ومن ثم ضد ابنه محمد رضا، وفي عهد رضا خان أبعد الى العراق بعد قضية مسجد گوهرشاد في مدينة مشهد المشرفة، وقد سكن في مدينة كربلاء المقدسة بعد ابعاده من ايران. في حين كان السيد ابو الحسن (ره) ساكناً في النجف و يقود المرجعية من هناك.

احد تجار ايران المقلدين للسيد ابو الحسن ذهب الى العراق، واتجه الى النجف الاشرف ليسلم السيد ابو الحسن حقوقاً شرعية كانت بذمته تقدر بحوالي (١٠٠) ألف تومان، وفي النجف قالوا له ان السيد ابو الحسن في كربلاء لان الايام كانت ايام زيارة.

يقول التاجر: اخذت المال معي وذهبت الى كربلاء، وعند المغرب اتجهت لاصلي في حضرة الامام الحسين (ع)، وهناك سألت احد الناس عن السيد ابو الحسن فأشار اليّ بعالم طاعن في السن كان جالساً يؤدي صلاته، وقد تبين ان

هذا الشخص قد اشار على السيد حسين القمي، فالسيدان يتشابهان كثيراً وهيئتهما متقاربة. وهكذا جاء التاجر وسلّم على السيد القمي ظاناً انه السيد الاصفهاني،وقدم له الـ ١٠٠ ألف تومان وقال له : انها حقوق شرعية، فأخذها السيد ووضعها في جيبه...

وفي صباح اليوم التالي ذهب هذا التاجر الايراني الىٰ الحضرة المشرفة ليصلي و يزور،وهناك راى حشداً كبيراً من الناس يصلون خلف عالم كبير السن، فما كان منه إلّا ان يقوم بالصلاة خلف هذا العالم مع الناس، وعندما انتهىٰ من الصلاة، توجه الى احدهم وساله عن الامام.. فقال : انه السيد ابو الحسن الاصفهاني !!.. وهنا تعجب التاجر، وأخذ الشك يعتمل في خاطره، لان هذا العالم الذي صلّىٰ خلفه ليس هو نفسه ذلك الذي اعطاه المال يوم أمس.

يقول التاجر: اصبحت في حرج شديد، فقد اعطيت المال لغير مرجعي فكيف استطيع ان اخرج من هذه الورطة وأنا بهذه الحالة قررت ان اذهب الى السيد وأرى علّه يكون نفسه الذي اعطيته المال.. و بالفعل توجهت اليه وسلمت عليه وجلست عنده وقلت له : انني قد اعطيتك : مساء أمس مالاً وحقوقاً شرعية ولم تعطني وصلاً بالاستلام.. فقال السيد ابو الحسن : لابأس أنا أخذت من عدة اشخاص ولا أدري بالضبط ماذا أخذت منك فتعال معي الى الدار لنفطر سوية و بعدها اعطيك الوصل...

فذهبا معاً الى دار السيد ابو الحسن، وأفطرا سوية، ثم سأل السيد التاجر: كم اعطيتني من المال ؟.. قال : (١٠٠) ألف تومان، فأخذ السيد ورقة وكتب وصل الاستلام واعطاني اياها !!..

هنا قال التاجر للسيد : انا لم أعطك المال، ولكن اعطيته للسيد حسين القمي وظننت انه انت..فقال السيد : نعم.. لقد عرفت ذلك منذ الوهلة

الأولى...

فقال التاجر: إذن لماذا اعطيتني وصل الاستلام وانت لم تأخذ المال ؟!!..

فقال السيد (ره) كلمة ما اروعها.. انها تلخص شخصيةً لا تعرف اي فروق بينها وبين منافسيها.. لذلك لا تحسد ولا تحقد، ولا تشن الحروب عليهم: «لا فرق بيننا إن هو استلم المال ام أنا، فهويستلم المال عن الامام الحجة (عج) وأنا كذلك» !!...

نعم!.. فمنافسوه يكملونه ولا ينقصونه شيئاً، لذلك فمواقفه تجاههم لا تعرف السلبية، ولا تعرف الحسد، وهذا ابلغ درس لمن يُريد ان يصبح عظيماً...

وقصةٌ اخرىٰ مع منافس آخر، انه آية الله الميزرا محمد حسين النائيني

(ره)، وهذا كان من أقوى المراجع المعاصرين للسيد ابو الحسن وله مواقف مشهودة ... وقد توفي في عام ١٣٥٥هـ في حياة السيد ابو الحسن (ره).

وفي يوم وفاة الميزرا النائيني يقول احد اصدقاء السيد: ان السيد ابو الحسن دعاني وحمّلني كيسين مملوئين بالليرات الذهبية، وقال لي: اصطحبني لنذهب الى دار الميزرا النائيني، وهناك استقبل من قبل اهل البيت بحفاوة بالغة، فجاء السيد وعزاهم وقال لهم: إذا كان والدكم قد مات فأنا والدكم، وكل حاجة لكم أنا اقضيها بنفسي، فإذا كانت عندكم حاجة فراجعوني ولمّا اراد الخروج جعل كيسي الليرات الذهبية في الدهليز دون ان يقول لهم شيئاً، وكأنه يُريد ازدراء الذهب بالنسبة اليهم..

بهذه الروحية قاد السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) المرجعية الدينية، وبها كان نجاحه المنقطع النظير، ولها يستحق الاجلال والاعظام، ومنها يستطيع

المرء ان يتعلم الدروس تلو الدروس ، وابرزها هذا الدرس العظيم وهو نبذ الحسد والتعامل الايجابي حتى مع المنافسين.

٢ ـ سمو الطموح.

حتى يصل المرء الى اهدافه لابد ان يكون طموحه اضعاف مضاعفة لهذه الاهداف، ولابد من ان تكون همته عالية علو الاهداف والقيم التي يجاهد من اجلها، وهكذا اصبح ذلك الشخص العادي المولود في قرية نائية في وسط هذا العالم.. مرجعاً اعلى للمسلمين، واصبح يقلده و يعمل بفتاواه الملايين.. لماذا ؟..

لان طموحه وهمته كانا ابعد من «المرجعية العليا»، وهكذا ينقل عن السيد ابو الحسن (ره) انه كان يطمح الى ان يوصل صوت اهل البيت (ع) وفكرهم الى كل ارجاء المعمورة وخصوصاً الى بيت الله الحرام، ومسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في مكة والمدينة. (٥)

٣ - النظرة الايجابية الى الأحداث والأشخاص.

وهي نقيض «السلبية» والتي تعجل من يحملها لا يرى في الصفحة الكبيرة الناصعة البياض سوى نقطة سوداء صغيرة تقع في احدى زوايا الورقة، والتي ليس لها اي تأثير على الورقة البيضاء بشكل عام، وهذا الشخص «السلبي» بالتالي إذا ما رأى سوءً اواي خلاف او مشكلة فإنه سوف لا يرى في الاحداث سوى الظلام، ولا يرى في الاشخاص سوى حشد من السيئات والذنوب، وإذا ما صعد هذا الشخص و بهذه الروحية الى سدّة الحكم، او الى رأس المرجعية فإنه بالتالي يخوض حروباً ومعارك هنا وهناك، كحجة ان ذلك الشخص العادي، او العالم، او العامل، قد نُقل عنه انه ارتكب ذنباً او سوءً لذلك فلابد من اصدار

---

(٥) مجلة نور علم ــ عدد (٢٨) ــ ص ١٠٤.

فتوىٰ بشأنه، ثم ان تلك المؤسسة قيل انها تعمل ليس ضمن خطة المرجع الاعلى لذلك فلابد من اصدار الفتوىٰ بتحريم التعامل معها وهكذا... وحسب ما ينظر الآخرون سواء شخصاً واحداً او مجموعة اشخاص ترىٰ هذا المرجع يصبح مطيةً لهم و يبدأ بخوض الحروب الاعلامية والسياسية والاقتصادية بل وحتىٰ الاجتماعية ضد هذا الشخص وذاك و بالنيابة عن هذا او ذاك !!.

وعلى العكس من ذلك كان مرجعنا الكبير آية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره)، فإنه كان يرىٰ وقبل كل شيء الجانب المشرق من الاحداث والاشخاص، فإذا قيل له إن وكيلاً له في منطقة معنية لا يعمل بالشكل المناسب فإنه لا يأخذ القلم و يصدر امر عزله بل يتوقف و يتدبر و يتشاور حتىٰ يتعرف على حقيقة الامر، فعسى الناقل او الناقلون قد اخطاؤا وتجاهلوا الجانب المشرق في هذا الوكيل..

وإذا جاء احد مقربيه وقال ان (فلاناً) من الناس او المسؤولين يسيء التعامل مع الناس، وعليك ان تطلب من المسؤولين ان يعزلوه، فإنه لا يأخذ بهذا الكلام، بل يبحث عن النقاط الايجابية في شخصية ذلك الشخص المسيء ويحاول ان يستفيد منها.

والقصة التي نقلناها سابقاً عن ذلك الشخص المسيء الذي احسن اليه السيد (ره) فعتب عليه المقربون والاتباع فقال لهم حكمته البليغة .. «هو مجرم في تصوركم ولكنني لا اعتقد انه كذلك، لان بعض الناس هكذا هي اخلاقهم، ولكن وإن افترضنا انه مجرم فعائلته ماذنبها حتىٰ تعيش في فقر مدقع وشدّة، فما اقدمه له من مال انما هو لعائلته ..».

وذاك المجرم القاتل للسيد حسن ابن السيد الكبير ومعتمده، طالب السيد (ره) بعد القبض عليه بأن يُعفىٰ عنه.. لماذا ؟ .. «لانه ابني مثل ابني المقتول

تماماً.. فإذا قتلتموه فأكون قد حرمت من ابنين» !!.

وقصة اخرى ينقلها احد خطباء كربلاء وهو الشيخ محمد علي الواعظ الخراساني، وقد حدث بينه و بين السيد ابو الحسن سوء تفاهم، وقد سمع السيد (ره) بالأمر فطلب الشيخ لان يقدم للنجف الاشرف و يقابله، و بالفعل توجه هذا الخطيب الى النجف.. فقالوا له ان السيد متواجد الآن في الكوفة، فتوجه اليها وهناك وجد السيد جالساً في غرفته، فدخل عليه وسلم وجلس، فبادره السيد بالسؤال: ما هو سوء التفاهم الذي بيننا ؟..

يقول فشرحت له المشكلة بالتفصيل.. فأجاب السيد على كل الاشكالات التي عندي، ثم اخذ يضحك وقال: الآن كيف نتصالح..

فقلت: يجب ان تعطي كمية من المال للمدرسة (الفلانية) في كربلاء.

فقال: نعم !.. سأعطي وماذا بعد ؟

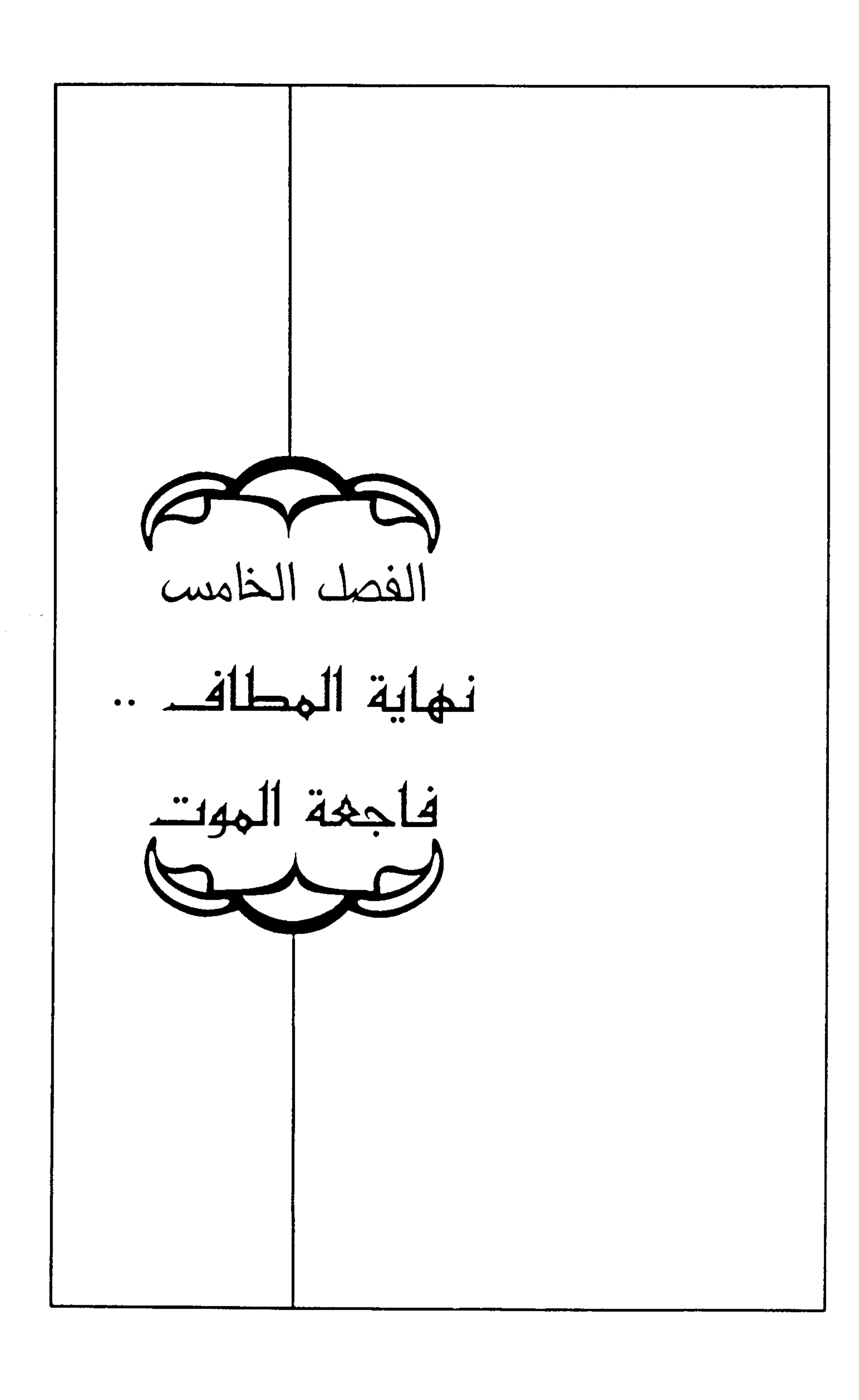
قلت: ان تعطي وكالة الى العالم الفلاني في المنطقة الكذائية فكتب الوكالة واعطاني اياها.. ثم قال: و بعد.

قلت: ان التأسيسات الكهربائية في المدرسة (الفلانية) تحتاج الى الاصلاح. فاعطاني نقوداً لاصلاحها ثم سأل عن حاجات اخرى.. فقلت: لا يوجد شيء آخر. فأخذ كمية من المال واعطاني اياها. وقال هذا لسفرك. وفي اي وقت حدث بيني و بينك سوء تفاهم فلا تقل لأحد وتعال عندي وسأحل المشكلة.

وهكذا فإن مشاكل ومعوقات كثيرة كانت تقف في وجه العمل وكان السيد ابو الحسن (ره) يحلّها بهذه الروح الايجابية، والسبب الرئيسي هو انه كان لا ينظر الى الاحداث والاشخاص بنظارة سوداء، بل اول ما كان ينظر اليه هو الوجه

المشرق والايجابي ومنه كان ينطلق في حلّ الاشكالات والمشاكل التي يسببها الوجه السلبي والمظلم من الاحداث، وهذا درس آخر من دروس العظمة التي سطرها آية الله السيد ابو الحسن (ره).





الفصل الخامس

نهاية المطاف ..

فاجعة الموت



مرض الموت

في السنوات الثلاث الأخيرة من حياة السيد ابو الحسن الشريفة طرأ عليه الضعف والمرض بسبب الجهد الشاق الذي كان يبذله لتسيير شؤون الرعية، وعندما نصحه الاطباء بتغيير الجو، والذهاب الى مكان يرتاح فيه حتى يخفف شيئاً من مرضه، و يعيد اليه صحته التي لم تعرف الاستقرار بسبب المشاغل الكثيرة التي كانت تشقيه وتتعبه.

وهنا عرضت له فكرة السفر الى ايران، ولكنه تراجع عنها بسبب القلاقل والاضطرابات التي كانت تجتاح تلك البلاد حينها، ثم عزم في سنته الاخيرة على السفر الى ربوع سوريا ولبنان عسى أن يعيد له ذلك شيئاً من صحته المفقودة.

وهكذا شدّ الرحال، بعد ان أناب عنه في النجف الاشرف لقضاء حوائج المحتاجين، بعضاً من مريديه واتباعه، وسافر عن طريق سوريا متكتماً، إلّا أن الخبر شاع وانتشر بصورة مذهلة، فخرج آية الله السيد محسن الأمين وكان حينها في دمشق. الى منطقة ابي الشامات لاستقباله مع جمع كبير من العلماء والناس، واستعد السيد الامين لاستقبال السيد بدمشق وزين الحي وتم اعداد اللازم، إلّا

ان السيد ابو الحسن اعتذر للسيد الامين. بانه لا يستطيع النهوض و إن إحدى يديه لا يستطيع تحريكها وأنه يحتاج الىٰ أن يحمل من السيارة حملاً على الأكف ودخوله دمشق بهذه الحالة موجب للحزن بدلاً عن ان يكون موجباً للسرور، وهكذا قبل السيد الامين اعتذاره واستقبله بعد خروجه من دمشق بمسافة، ثم ارسلت الحكومة السورية سيارة مصفحة فيها ثلة من الجند استقبلت السيد ابو الحسن عند الحدود السورية ورافقته حتىٰ وصل الى دمشق واوفدت الحكومة احد رجالها بين المستقبلين.[1]

ثم استقر اخيراً في بعلبك بلبنان، فتواجدت عليه الوفود من جميع الاقطار، من الوجهاء والكبراء والعلماء في جبل عامل و بلاد بعلبك و بيروت ودمشق وسائر اقطار سوريا، وهذا يدل بشكل واضح على منزلة السيد ابو الحسن (ره) بين الناس والكبراء، فكان محبوباً اشدّ الحبّ لدى الجميع، لقربه وتقرّبه من الناس، وهو مع كل الآلام والعلل التي كان يعاني منها كان لازال يباشر اعماله بنفسه وحتىٰ قبل يومين فقط من وفاته (ره) كان يتلقىٰ الزائرين و يفتح اضبارات الرسائل والمكاتيب، ويجيب على اسئلة السائلين و يرد على استفتاءات المستفتين[2]، على عادته المألوفة التي لم يتغير منها سوى ما كان له علاقة بحركته ونشاطه اللذين اصبح جسده الواهن غير قادر علىٰ أدائهما.

ومع وجوده في بعلبك، إلّا ان صحته لم تتحسن، بل اعتلت اكثر عندما سقط على الأرض فأصيب بكسر في فخذه وخرج عظم وركه من موضعه، وقد عولج من قبل المجبرين.[3] ثم قرر السفر عائداً الى العراق، وقرر ان يذهب الى الكاظمية حيث ان جوها افضل من النجف وخاصة في فصل الصيف حيث

---

(١) الأمين، السيد محسن : اعيان الشيعة مج ٢ ـــ ص ٣٣٣.

(٢) الجعفري، صالح : الامام السيد ابو الحسن ـــ ٧٣.

(٣) الامين، السيد محسن : مصدر سابق ـــ ص ٣٣٣.

الحرارة تكون على اشدها في النجف، لانها كانت في ذلك الوقت خالية من الانهار والجداول والمزارع الكثيفة..

وفي الكاظمية ايضاً لم تتغير الاحوال، فلم تمض إلّا ايام قليلة، وإذا بذلك القلب الكبير يتوقف عن النبض، وتتوقف معه الاصوات، ويخيم جو كئيب على العالم الاسلامي، لقد رحل الاب العطوف، واصبحت الامة يتيمة ثكلىٰ...

كانت الساعة تشير الى السابعة مساءاً في ليلة الثلاثاء التاسع من شهر ذي الحجة الحرام من عام ١٣٦٥هـ، اي انها ليلة عيد الاضحىٰ الذي تحولت الافراح فيه الى اتراح بسبب المصيبة التي حلّت بالامة بفقد امامها ومرجعها السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) وحقاً قال آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء مخاطباً جسد الفقيد الكبير قائلاً: «هنيئاً لك يا أبا الحسن عشت سعيداً ومت حميداً قد آنست الماضين وأتعبت الباقين، كأنك قد ولدت مرتين».[٤]

كان وقع الفاجعة عظيماً على الناس، فلم تمض دقائق إلّا وسرى الخبر في ارجاء الكاظمية كما تسري النار في الهشيم، وبدأت تتسارع قوافل المعزين الى مكان سكنىٰ السيد ابو الحسن، وحضر حينها العلماء الاعلام والمسؤولون ورجال السياسة وجمع غفير من الناس.

ولم تمض ساعات قليلة بعد حادثة الوفاة، حتىٰ اذيع الخبر من محطات الاذاعة في بغداد وقطعت الاذاعة برامجها وبدأت تبث ترتيلاً للقرآن الكريم مع ملاحقتها لاخبار التشييع اولاً بأول. وقد كان صدىٰ الخبر مدوّياً في مدن العراق المختلفة فضج الناس بالعويل والبكاء، ووصل الخبر الى ارجاء العالم المختلفة عندما أخذت إذاعات العالم القريبة والبعيدة تذيع النبأ العظيم والفاجعة الكبرىٰ وتؤبن الفقيد الراحل. وفي الحال اقيمت المآتم في سوريا ولبنان والهند وايران ومصر

(٤) مجلة نور علم ـ عدد (٢٨) ـ ص ١١٢.

وافغانستان وغيرها من المدن والبلاد الاسلامية.

ولقد كانت الليلة الاولىٰ من وفاة الفقيد الغالي من الليالي المفزعة فهي لا تشبه غيرها من الليالي ولا تدانيها من جميع الوجوه. فهي ليلة ولكنها ليست كالليالي لانها كانت ليلة مظلمة، ذلك لان اكثر المدن العراقية قد أطفأت فيها الانوار واخمدت المصابيح حداداً على الفقيد ومبالغة في الحزن.(٥)

و بدأت ارتال من السيارات التي تقدر بالآلاف وهي تقل السادة والعلماء والاعيان والجماهير المؤمنة، من مختلف اطراف العراق تتجه نحو الكاظمية للاشتراك في التشييع ومواساة آل الفقيد والعلماء الاعلام اصحاب المصيبة. وهكذا ضاقت الطرق المؤدية الى الكاظمية بعشرات الالوف من الوافدين اليها من كل الجهات.

قصة التشييع

وعندما نتوقف عند قصة التشييع المهيب للمرجع الاعلىٰ السيد ابو الحسن، فاننا سنكتشف بانه كان الاول من نوعه في تاريخ العلماء الاعلام، بل وحتىٰ في تاريخ الزعماء والقادة. انه يصور في حقيقته علاقة فريدة من نوعها بين القائد والجماهير. انه ذو بان الروح في جسد الامة. فعندما تفقد الامة ذلك الروح وتصعد الى جوار ربها، فإن الجسد كلّه يضج. وتضج معه الامة...

حقاً انها تعتبره اباها وراعيها وحصنها المنيع. فيكف إنها بين ليلةٍ وضحاها تفجع بهذا الاب، وتفقد راعيها. و ينهار الحصن المنيع الذي كانت تحتمي به ؟!

لقد غسل جثمان السيد الجليل في تلك الليلة الحزينة و بحضور جماعة كبيرة من علماء الكاظمية وحمل النعش الطاهر الىٰ الصحن الشريف في

(٥) الجعفري، صالح: مصدر سابق ــ ص ٨٤.

الكاظمية المقدسة والناس تتلاقفه على الرؤوس مكبرة مهللة، ووضع في صحن الحرم الكاظمي حتىٰ الصباح، وبقي عنده جماعة كبيرة من الناس وهم يقرأون القرآن الكريم.

وفي الصباح من يوم الثلاثاء كان قد بلغ بالمؤمنين الحماس الى اشدّه، وقرروا حينها ان يحملوا النعش الشريف على الرؤوس الى مدينة النجف الاشرف حيث مثوىٰ السيد ابو الحسن الاخير، وهنا تدخل العلماء واصحاب الرأي، واقنعوا المشيعين بنقل الجثمان ابتداء من جسر الخر ــ الكاظمية ــ بواسطة السيارات وان لا يسمح بانزاله في المدن على طول الطريق، وبدأ بالفعل موكب التشييع في الساعة الثامنة والنصف من صباح عيد الاضحىٰ الاغر، وسار الموكب العظيم من باب الصحن الكاظمي مجتازاً شارع السيد المرتضى، في اتجاه الجسر متجهاً نحو بغداد، ولقد كان الطريق الذي سار فيه هذا الموكب محتشداً بالجموع الغفيرة ومزدحماً بالطبقات الهائلة والجيوش العظيمة من الخلائق.[٦]

وبعد ساعات سبع من انطلاق موكب التشييع، وصل الى «جسر الخر» بعد ان مرّ بباب المعظم وشارع الرشيد في بغداد، وقد كان آخر الناس من المشيعين في الكاظمية !!، وقد شهدت بغداد ما لم تشهده في حياتها، وهو ما اكده كثير من معمري بغداد، وممن وقف على تاريخ هذه المدينة.

«لقد مشت جميع المدن وكلها اما قاصده الى الكاظمية او متجهة نحو بغداد او كربلاء او النجف، واتصلت جميع المدن العراقية ببعضها وهي تحاول الالتحاق بالتشييع وللاشتراك بمواكبه وصارت كل مدينة تتصل مشياً علىٰ الاقدام بالمدينة الثانية القريبة منها، وهكذا من الثانية الىٰ غيرها فعادت طرق مختلف المدن مزدحمة بالناس وكلها متجهة الى حيث وصل موكب التشييع لكي يحظىٰ بشرف المشاركة في أداء ما يحتمه عليها الواجب نحو تلك الشخصية الكبرىٰ...

---

(٦) المصدر نفسه ــ ص ٨٩.

لقد عادت كل طرق العراق يغشاها السواد لكثرة الماشين فيها والسائرين مضافاً الى العدد الهائل من مختلف انواع السيارات التي صارت تنقل الجماهير لتلحقها بموكب التشييع و بذلك فقد ساهم العراق ــ تقريباً ــ بتشييع الجثمان وكان موكب التشييع من اعظم المواكب التي شهدتها البلاد واروع الاحتفالات، فالرايات لا تعد و الاعلام لا تحصى، وقد كانت كل قرية وكل مدينة على طول الطريق تحاول انزال النعش وحمله على الرؤوس بحماس واندفاع شديد لا يمكن ردّها إلّا بالجهد الكبير والمساعي العظيمة التي اشترك بها اكابر الاعلام واعاظم الرجال وافراد اسرة الفقيد الكريمة» (٧)

ومن جسر الخر حيث حمل النعش على سيارة خاصة، وحتىٰ كربلاء اعترض الموكب بين الفينة والاخرى عدد كبيرمن افراد العشائر يحملون الاعلام و ينشدون اناشيد الحزن و يلطمون على الرؤوس والصدور، وكلّها تصرعلى انزال النعش والقيام بمراسم التشييع عندها، حتىٰ انهم في قضاء المحمودية قد تحمسوا واندفعوا بدون الانصياع لآراء المشيعين فتسلقوا السيارة وقطعوا رباط الجثمان بخناجرهم وانزلوه وساروا خلفه وفقاً للتقاليد. (٨) وهذا ما يكشف عن تلك العلاقة الكبيرة التي كان يحفظها السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره) مع رؤساء وافراد العشائر في العراق.

وفي مدينة كربلاء فقد خرج الناس لاستقبال الموكب الى خارج المدينة، وكانت طوابير الناس ممتدة من وسط المدينة حتىٰ «خان العطيشي» ــ الذي يقع في منتصف طريق كربلاء ــ المسيب ــ، وكان قد وصل المدينة الكثيرمن وفود التعزية من المدن المختلفة في العراق، وهكذا فقد كان التشييع في كربلاء مهيباً جداً، فقد سارت وراء النعش آلاف الناس بمواكب عزائية كبيرة وضخمة، وقد

(٧) المصدر نفسه ــ ص ٩٤ ــ ٩٥.

(٨) المصدر نفسه ــ ص ٩٧.

مثلت تلك المواكب الناصرية، الصويرة، الكاظمية، بغداد، الخالص، بلد، الحلة، ابو صخير، الحيرة، الفيصلية، خان النصف، السماوة، الرميثة، غماس، عفك الدغارة، الرفاعي، قلعة سكر، الشطرة، البصرة، قلعة صالح، القرنة المدينة، المحمودية، الاسكندرية، بعقوبة، الهندية، طويريج، القاسم، الكوفة، العمارة، الكوت، علي الغربي، وغيرها من المدين الكثيرة.[٩]

وحيث كان وصول الموكب متأخراً الى كربلاء حيث كانت الشمس قد غربت لذلك فقد تقرر تأجيل نقل الجثمان الى النجف الى اليوم التالي. وهذا كان مدعاة لتحول كربلاء الى قطعة سوداء، تضج بالناس.. وجرى وضع الجثمان عند قبر سيد الشهداء ابو عبدالله الحسين (ع) طيلة الليل.

وفي التاسعة من صباح يوم الاربعاء (١١ ذي الحجة ١٣٦٥هـ/٦ ــ ١١ ــ ١٩٤٦م) زحفت كربلاء بمن فيها باتجاه النجف الاشرف، فقد انطلقت السيارة التي تحمل النعش وخلفها آلاف السيارات تقل المشيعين. وكان الموكب يزداد ازدياداً هائلاً الى ان وصل «خان الحماد» حيث كانت النجف مجتمعة فيه ومتصلة منه الى «الحنانة» فالصحن الحيدري المطهر.[١٠]

ولمّا وصل النعش الى الحنانة أُنزل وحمل على الرؤوس، والعلماء والاعيان والشباب المثقف ورؤساء العشائر يتناوبون على حمله حتى الصحن الشريف.[١١]

وبعد ان زُوِّر النعش لقبر الامام امير المؤمنين (ع)، نقل الى المقبرة الخاصة التي دفن فيها استاذه الكبير آية الله الاخوند الخراساني (ره)، ودفن فيها بن السيد ابو الحسن «الشهيد»، وهكذا ووري الجثمان الطاهر الثرى وبدأت مراسم العزاء في كل انحاء العالم، وبالخصوص حيث يتواجد ثقل المرجعية الدينية.

---

(٩) المصدر نفسه ــ ص ٩٨.

(١٠) المصدر نفسه ــ ص ١٠٠.

(١١) المصدر نفسه ــ ص ١٠١.

لقطات من مراسيم العزاء

* لم تبق إذاعة في مختلف عواصم العالم و بجميع اللغات إلّا وابنت الفقيد العظيم واشادت بذكره وبمركزه الديني الكبير.(١٢)

* أعلن في العراق كله حداد عام لمدة ٤٠ يوماً، كان العراقيون خلالها يقيمون الفواتح والعزاء و يفعلون كما يفعلون على ابي عبدالله الحسين (ع) في عاشوراء.

* طلب آية الله الامام الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء الى جميع المسلمين اقامة التأبين بمناسبة اربعين السيد ابوالحسن، وهكذا تعطلت الاسواق والاعمال في جميع المدن العراقية وذلك في يوم عشرين محرم الحرام ١٣٦٦هـ.

* اقيمت في النجف جملة من: الفواتح وحفلات التأبين الكبيرة وكانت من أهمها:

ـ فاتحة اقامها آل الفقيد في الجامع الهندي حيث كان يئم السيد ابو الحسن المصلين في صلاتي الظهر والعصر من كل يوم.

ـ فاتحة اقامها آية الله الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في مدرسته الدينية الشهيرة.

ـ فاتحه اقامها العلامة الشيخ عبد الكريم الزنجاني.

ـ فاتحة اقامها آية الله السيد عبد الهادي الشيرازي في مسجد الهندي.

ـ فاتحة اقامها السيد محسن آل ابي طبيخ احد زعماء العشائر في الجامع الهندي.

---

(١٢) المصدر نفسه ـ ص ١٠٧.

ـ فاتحة جمعية منتدى النشر.

ـ فاتحة جمعية التحرير الثقافي.

ـ فاتحة العلاّمة الشيخ اغا بزرك الطهراني.

حفلة تأبينية اقامتها الرابطة العلمية الادبية في مسجد الهندي وغيرها.(١٣)

* حضر ممثلو الصحافة الاجنبية في النجف الاشرف لتقصي المعلومات المتعلقة بحياة الفقيد الكبير.

* شارك اليهود والنصارى في فواتح المسلمين، كما واقاموا في كنائسهم و بيعهم مراسيم العزاء على السيد ابو الحسن.

* مصانع السجائر في العراق صبغت سجائرها بالسواد لمدة اربعين يوماً !!.

* اعلنت الحكومة الايرانية الحداد على الفقيد لمدة ثلاثة ايام، وقد توقفت اعمال المفوضيات الايرانية في جهات العالم، كما أقيمت شعائر الحزن في كل انحاء ايران، وقد شارك شاه ايران بنفسه بالفواتح، وارسل قرآناً مذهباً نفيساً وضع على قبر السيد ابو الحسن(١٤) وهو ما يدل على قوة شخصية السيد، وهيبته لدى الحكام.

نهاية المطاف

وقبل ان نسدل الستار في رحلتنا مع شخصية المرجع الكبير آية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني (ره)، فإننا نتوقف عند قصة لها مدلولات كبيرة، وقد وقعت

---

(١٣) المصدر نفسه ـ ص ١١٠.

(١٤) المصدر نفسه ـ ص ١٠٩.

بعد وفاته، لعّلها تبدو مصداقاً لقول رسول الله (ص) «حياتي لكم رحمة، وموتي لكم رحمة» .. قيل يا رسول الله حياتك لنا رحمة .. فكيف موتك؟ قال (ص): «لاني نعرض علـيّ اعمالكم بعد موتي فاستغفرلكم» .. وهكذا كانت حياة السيد ابو الحسن الاصفهاني رحمة وموته رحمة، ورحمةُ موته تجلت في حادثة وقعت عقيب وفاته في محافظة اذر بيجان الايرانية.

ففي اواخر سنة ١٩٤٥م استطاع جعفر بيشواري (بيشه وري) نائب تبريز في البرلمان الايراني، من قيادة حزب توده في اقليم اذربيجان وبدل اسم الحزب الى الحزب الديمقراطي الاذربيجاني، وكان نشاط الحزب الجديد لا يتعدى المنطقة الايرانية المحتلة بالقوات السوفيتية، و يلقى تشجيع وتأييد هذه القوات.

وقد تمكن بيشواري آخر الامر، وفي مدة وجيزة من ان ينشر مبادئه والتي غطاها بشعار منح الاستقلال الذاتي لاقليم اذربيجان، والاستقلال الثقافي للمنطقة، واتخاذ اللغة التركية الآذرية السائدة في الاقليم لغة رسمية، وايجاد حكم (ديمقراطي) يعتمد على حرية الفرد وقدرته، وخلق دولة (عصرية) تعتمد على العلم وتتمشى مع التطور العالمي !!.

وقد اجبر سكان الاقليم على الالتفاف حوله، مستخدماً في ذلك وسائل الارهاب والتهديد، ومستنداً الى قوة الاحتلال العسكرية السوفيتية التي كانت بدورها تتدخل في منطقة الاحتلال في كل صغيرة وكبيرة، فتقبض على من تشاء من المواطنين الابرياء وتطرد من تشاء منهم خارج منطقة نفوذها.

وفرضت سيطرة تامة على رؤساء المصالح والإدارات في تبريز وجعلتهم يخضعون لسلطات الاحتلال السوفيتي رغماً وكرهاً، وذلك في حركة متعمدة تمهد للإنفصال الإداري عن الحكومة المركزية في طهران.[١٥]

---

(١٥) فهمي، الدكتور عبد السلام عبد العزيز: تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين ـــ ص ١١٠.

وقد ارتكب بيشواري وحزبه وبمساندة السوفيت الكثير من الجرائم التي يندى لها الجبين، فقتلوا في الناس مقتلة عظيمة، ونهبوا الأموال وهتكوا اعراض النساء، حتى انهم كان عندهم يوم باسم عيد الدم قتلوا فيه كل كبار السن ورجال الدين، وكبار الاثرياء، وكبار الاشراف وعدداً كبيراً من الناس.. كل ذلك من اجل الحاق اذربيجان بروسيا الشيوعية.

وفي ١٢ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٥، تمكن بيشواري من طرد محافظ اقليم اذربيجان المعين من قبل الحكومة الايرانية، وطرد ايضاً كبار الموظفين وقادة الجيش واعادهم الى طهران، وأقام مجلساً محلياً من عشرة اعضاء ينتمون جميعاً الى حزب اذربيجان الديمقراطي الذي تولى حكم الاقليم وشكل حكومة تحت رئاسته.

وحاولت الحكومة المركزية في طهران اخضاع جعفر بيشواري تارة بالاغراء وتارة بالوعيد، فأرسلت قوة عسكرية من طهران للقضاء عليه، ولكنها لم تتقدم الى ابعد من قزوين ـــ اقرب المدن الشمالية الى طهران، واوقفتها القوات السوفيتية التي كانت تعسكر هناك وانتهز جعفر بيشواري الفرصة، بعد أن اطمأن على نفسه فقطع صلته بطهران نهائياً بحجة معاداتها لاية خطوة (تقدمية) وأنشأ جيشاً للشعب اختار افراده من رجال الحزب ومناصريه ووزعت عليه الاسلحة التي كان قد استلمها من القوات السوفيتية المعسكرة في الاقليم.

ورغم ذلك فإنه تمسك بانشاء حكومة لاذربيجان لها استقلالها الذاتي مع الاعتراف بالسيادة العليا للحكومة المركزية في طهران، فلا تخضع لها إلّا في شؤون الدفاع والعلاقات الخارجية فقط، ولمّا لم يجد بيشواري تجاوباً في طهران او حتى الرد على مطالبه اعلن تأسيس دولة مستقلة في اذربيجان باسم «جمهورية اذربيجان الديمقراطية الشعبية»(١٦)

---

(١٦) المصدر نفسه ـــ ص ١١٠ ـــ ١١١.

وفي اواخر عام ١٩٤٦ بدأت الاوضاع في داخل اذربيجان بالتفاعل، وتصاعدت حدة الصراع بين القوات الايرانية والاهالي من جهة وقوات بيشواري والسوفيت من جهة اخرىٰ..

وحينها وصلت الاخبار الى الناس بوفاة المرجع الاعلى السيد ابو الحسن الاصفهاني هاج أهالي أذربيجان وماجوا، ونصبوا الفواتح والاعلام السوداء وخرجوا بمواكب العزاء في شوارع المدينة، حتىٰ فقد النظام، وتزعزع موقف بيشواري وجماعته، واصبحوا بحالة ضعيفة جداً، حتىٰ انهم فقدوا السيطرة على الاوضاع في داخل الاقليم.

وعندما ضعف الشيوعيون من الداخل، و بحجة المحافظة على الامن أثناء الانتخابات تقدم الجيش الايراني صوب تبريز عاصمة الاقليم المنشق، وتمكن في فترة وجيزة و بحركة عسكرية خاطفة من تحطيم قلاع المنشقين، وسقطت اذربيجان وفر زعمائها الى الاتحاد السوفيتي. وقد تم ذلك في الخامس عشر من شهر ديسمبر (كانوا الاول) سنة ١٩٤٦م.[١٧]

وكان مصير بيشواري كأي عميل تنتهي مدة صلاحياته، فقد دبر له اسياده السوفيت في موسكو حادث تصادم في سيارة وقتلوه.

وهكذا كانت الرحمة التي انبعثت من روح آية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني، فلولا الانتفاضة الجماهيرية عزاء على السيد لبقيت اذربيجان اسيرة للاستعمار السوفيتي حتىٰ يومنا هذا، كما تواصل موسكو احتلال الجمهوريات الاسلامية الخمس في الاتحاد السوفيتي.

---

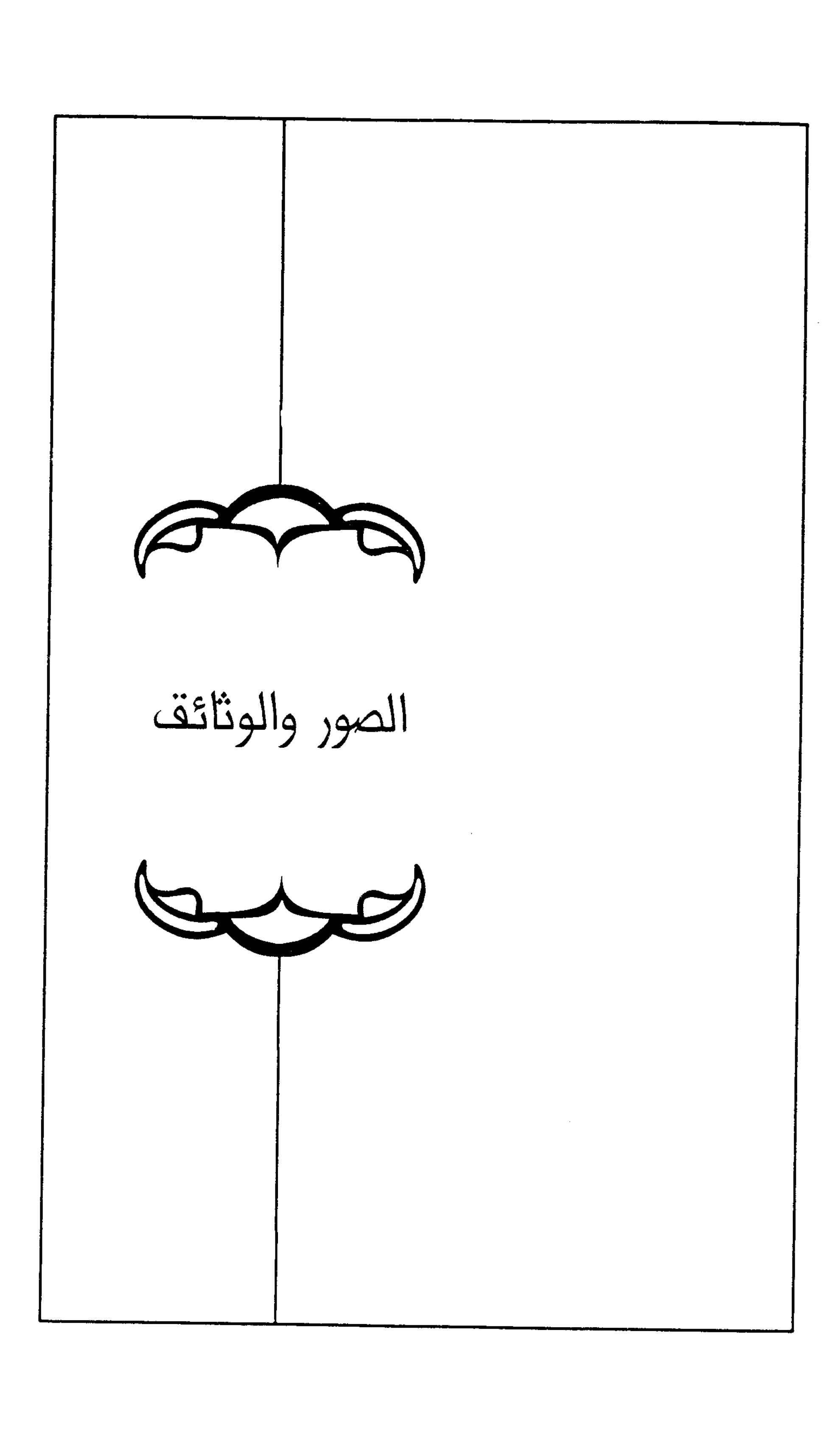
(١٧) المصدر نفسه ــ ص ١١٧.

خاتمة

هكذا إذن، كانت هذه الصفحات استعراضاً سريعاً لحياة واحد من الرجال العظام المتّقين الذين كانوا مع الله تعالى في كل حركة وسكنة في حياتهم النيّرة، وكانوا مع الصادقين... محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

ومن هنا.. كان خلود المرجع الأعلى... السيد ابو الحسن...




الصور والوثائق



آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني (رض)
في صورة تذكارية عام ١٣٤٢ هـ أثناء فترة ابعاده
عن النجف الأشرف لمدة ١١ شهراً.



صورة أخرى آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني
في مدينة قم المقدسة أثناء فترة ابعاده من قبل السلطات العراقية
عام ١٣٤٢ هـ



صورة تذكارية لآية الله العظمى
السيد أبو الحسن الأصفهاني في أخريات ايام حياته الشريفة



أحد العلماء الكبار من أفغانستان (الشيخ) في زيارة للسيد أبو الحسن
بحضور ابني السيد وهما: السيد علي والسيد حسين (الشهيد)



ثلاث صور مختلفة لإمامة السيد أبو الحسن الأصفهاني الصلاة في صحن الروضة الكاظمية المطهرة في بغداد، في أواخر ايام حياته الشريفة (القيام)



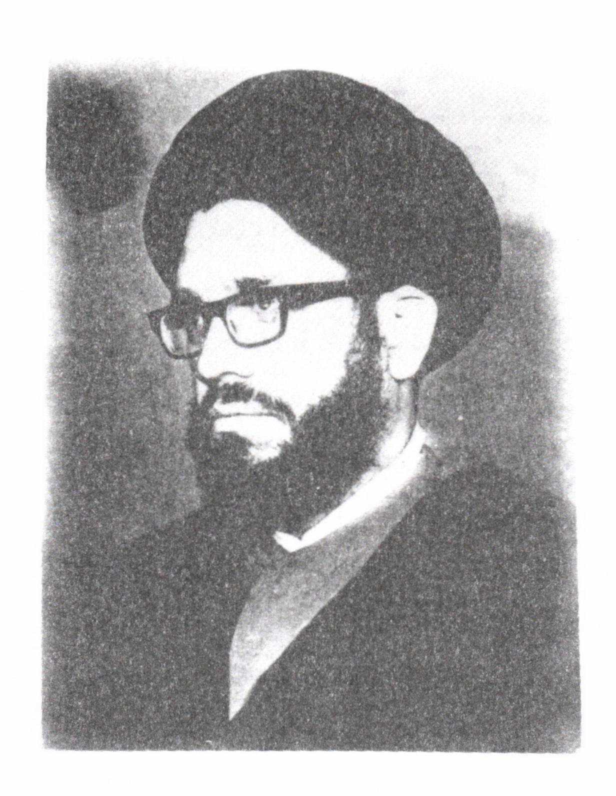
القنـــوت



الجلوس



المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد الشيرازي حفظه الله وقد التقيناه في مدينة قم المقدسة، وزودنا بالكثير من المعلومات التي كانت خير عون لنا في تأليف هذا الكتاب فجزاه الله خير الجزاء



حجة الاسلام السيد عبد الحميد بن السيد علي بن السيد أبو الحسن الأصفهاني، والذي التقيناه في مدينة مشهد المشرفة، وزودنا بمعلومات ووثائق قيمة عن جده، فجزاه الله خير الجزاء

بسم الله الرحمن الرحيم

الى كافة المؤمنين المتدينين بشريعة سيد المرسلين وفقهم الله لما يحب ويرضى

بعد السلام عليكم والدعاء للجميع بحسن التوفيق لايخفى ورد على

مكتوبكم الموقع فيه اسماء جماعة تذكرون فيه عقائدكم من نفي الغلو

ومن الاقرار بالمعاد الجسماني والمعراج الجسماني وانشقاق القمر

وغير ذلك من ضروريات الاسلام وانكم لاتقولون بوحدة الناطق ولاتسكرون

شيئا من اعتقادات المؤمنين المشهورة بين الفرقة الناجية ومع

ذلك ان جناب السيد مهدي سلمه الله قد صدر منه في البصرة

مايوجب تفرقة الكلمة والتحزبات الدينية نعم من كانت هذه

عقيدته فهو اخونا في الدين وحاله حال جميع المسلمين له مالهم

وعليه ماعليهم ولا اظن بالسيد ومن دونه التعرض الى من كانت

عقيدته هذه العقيدة ولعل ماوقع في البين ناش من سوء

التفاهم من الطرفين فاما ان السيد اعتقد ان عقيدتكم غير ذلك

العقيدة واما ان الامر ليس كما بلغكم وعلى اى حال يلزم رفع الاشتباه

وازالة الشحناء من الطرفين واظن ان العمدة في نشاء هذا

الضوضاء انتشار الكتاب الذى صنفه جناب السيد قبل عشر سنين

واني بعون الله تعالى مهتم بكمال جدي وجهدي في رفع هذه الغائلة سلمه الله

والتوسل بكل وسيلة في اطفاء هذه النائرة وقد التمست من السيد

الالتزام على الطريقة اللينة مع كافة البصريين على اختلاف مشاربهم

والامل فيكم ايضاً ان تجتنبوا معه طريق الشدة فانا اجل من ان

يرضى بتفرقة الكلمة خصوصاً في مثل هذه الايام الحرجة وما اريد الا به

الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله وعليه توكلت واليه انيب وفقنا

واياكم لما يحب ويرضى والسلام على من اتبع الهدى هذا ويبلغكم على آتي مزيد عني

شفاهيا اذا اصغيتم اليها تكون فيه صلاحكم ان شاء الله

١٤ ذى الحجة ١٣٤٤

الاحقر ابو الحسن الموسوي الاصفهاني

ملحق رقم (١) [وثيقة]

كتاب السيد ابو الحسن الى اهل البصرة اثر حدوث خلافات بين الأصوليين والاخباريين في هذه المدينة



بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة اية الله السيد ابو الحسن الاصفهاني دامت بركاته
النجف الاشرف

بكل سرور تلقينا كتابكم الكريم وشكرنا لحضرتكم عبارات المودة والاخلاص
ان الغاية التي اشرتم اليها هي موضع عنايتنا واهتمامنا . نسأل الله ان
يأخذ بناصرنا على ما فيه الخير والمصلحة العامة . هذا وانا نرجو دوام
ادعيتكم الطيبة ونتمنى لكم تمام الصحة والعافية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

محبكم
غازي

الرقم/ ١/ ٦٦٧

بغداد في ١٤ آب ١٩٣٥ .

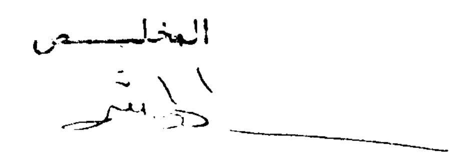
ملحق رقم (٢)
رسالة جوابية من الملك غازي الى السيد ابو الحسن (رض)

بغداد ١٤ /آب ١٩٣٥

حضرة العلامة ابو الحسن الموسوي الاصفهاني المحترم

بعد الدعاء والثناء · تناولت خطكم الكريم
فا[illegible]يكم وابدي ان الحكومة يهمها امر افراد
الرعية كلهم على السواء وهي تسعى الان لشمولهم
بالعطف والرافة ·
وتفضلوا بقبول عظيم امتناني واحترامي ·

المخلص



ملحق رقم (٣)
وزير البلاط الملكي في العراق يبعث برسالة جوابية للمرجع الأعلى المقدس السيد أبو الحسن الأصفهاني (رض)

محكمة شرعية كركوك
العدد ٥٣٢ / ٩٤٤
التاريخ ١٢ / ٧ / ٩٤٤

الـى

حجة الاسلام سماحة السيد ابي الحسن الاصفهاني
المجتهد في النجف.

بناء على دعوى النفقة المقامة من قبل المدعية صدرية بنت صديق على المدعى عليه ملا علي بن كاظم لبنتهما الصغيرة المدعوه لبزة البالغة من العمر ست سنوات وان المدعى عليه المذكور افاد بانه جعفري المذهب فيرجى التفضل بافتائنا وفق المذهب الجعفري عما اذا كانت حضانة البنت المذكورة تعود الى الوالد المدعى عليه ام الى امها المدعية على ان يصلنا الجواب قبل يوم ٩ / ٨ / ٩٤٤ الموجلة اليه الدعوى .

القاضي

بسم الله الرحمن الرحيم
حضانة البنت المذكورة تعود الى امها الى تسع سنين والله العالم
ابو الحسن الموسوي الاصفهاني

هـ / د

ملحق رقم (٤)

كان القضاة في السابق يستفتون علماء الشيعة في القضايا المرتبطة بالشيعة، وهنا قاضي كركوك يستفتي السيد أبو الحسن (رض) في مسألة شرعية فيجيبه السيد بخط يده المباركة.

بسم الله الرحمن الرحيم

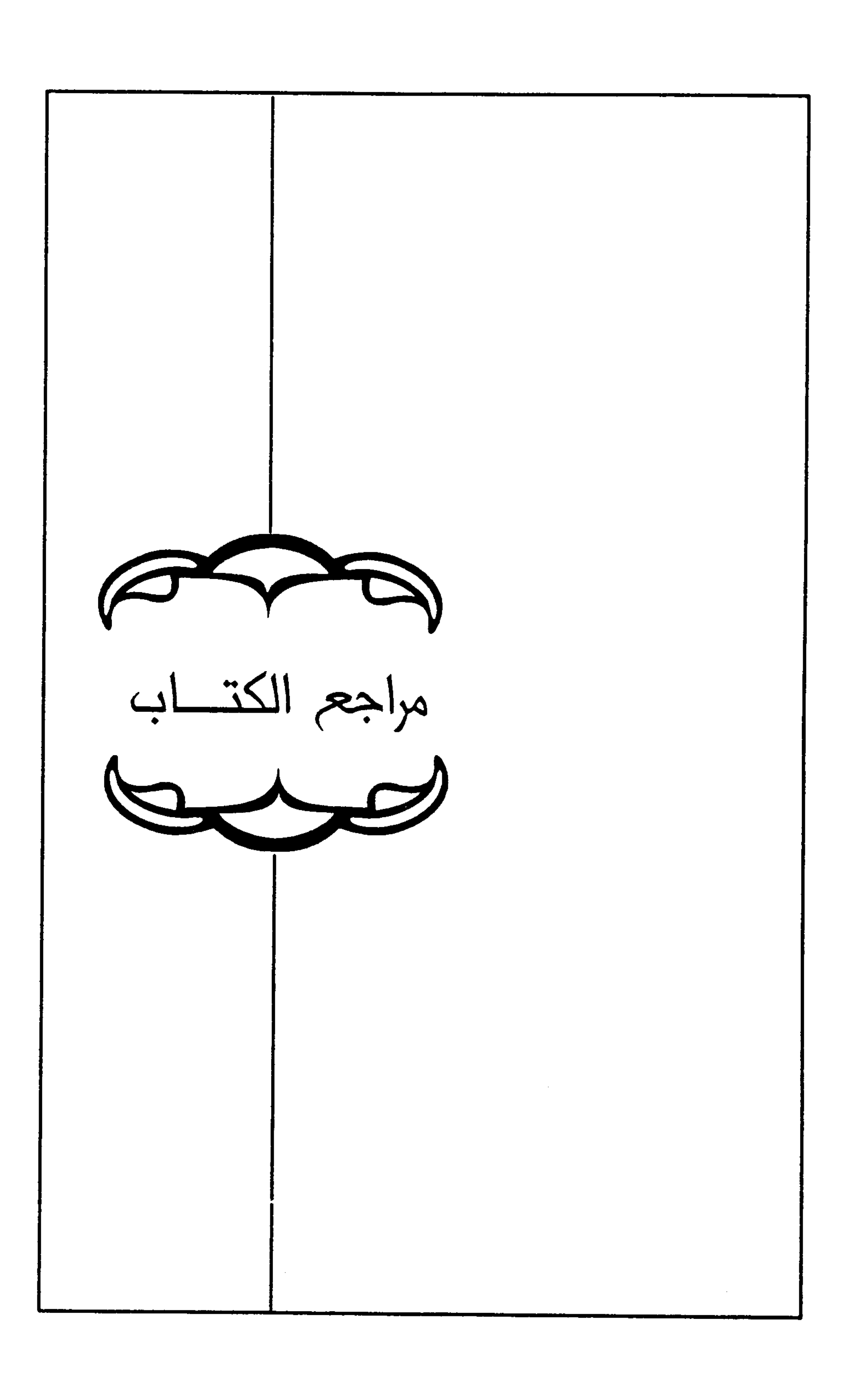
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

ولعنة الله على أعدائهم أجمعين إلى يوم الدين

وبعد فإن ولدي وقرة عيني الفاضل التقي النقي الصفي
السيد علي حفظه الله في دروعه الحصينة قد صرف عمره في تحصيل العلوم
العلوم الشرعية وصعد مبانيها النظرية حتى بلغ بحمد الله تعالى
مرتبة الاجتهاد وأسأله جل شأنه أن يجعله منارا في الدين
وعونا وغياثا للمسلمين وأن يكون قرة عيني في الدنيا
والآخرة وقد أجزت له أن يروي عني ما صح لي روايته
من كتب الأخبار بطرقي المعروفة المنتهية إلى المشايخ الكبار
ومنهم إلى الأئمة المعصومين الأطهار الأحقر أبو الحسن
في ٢٠ شوال سنة ١٣٦١ الموسوي الأصفهاني

ملحق رقم (٥)

السيد أبو الحسن يشهد بان ابنه السيد علي قد وصل الى مرتبة الاجتهاد



مراجع الكتــاب



الكتب والدراسات:

١ - الأمين، الامام السيد محسن: أعيان الشيعة، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، ١٩٨٣م.

٢ - آل فرعون، فريق الأزهر: الحقائق الناصعة في الثورة العراقية سنة ١٩٢٠ ج١ مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٢م.

٣ - الاسرار الخفية لحركة، ١٩٤١م.

٤ - البصير، محمد مهدي: تأريخ القضية العراقية.

٥ - الجعفري، صالح: الامام السيد ابو الحسن، المطبعة الحيدرية، النجف الأشرف،١٣٦٦هـ .

٦ - الجابري، علي حسين: الفكر السلفي عند الشيعة الاثنا عشرية.. دراسة تحليلية لموقف الفكر السلفي في الاسلام عموما وعند الشيعة الاثناعشرية على وجه الخصوص من منطق وفلسفة اليونان، دار احياء الاحياء، قم المقدسة، ١٤٠٩هـ .

٧ - الوردي، د.علي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث - ج ٦.

٨ - الكاتب، أحمد: تجربة الثورة الاسلامية في العراق - منذ ١٩٢٠ حتى ١٩٨٠ ، دار القبس الاسلامي، طهران، ١٩٨٢م.

٩ - كنعان، د.نواف: القيادة الادارية، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

١٠ - محمد كاظم، عباس: ثورة الخامس عشر من شعبان.. ثورة العشرين، مركز الشباب المسلم، أميركا، ١٩٨٤م.

١١ - ميبدي، السيد ناصر: مقدمة كتاب"مستند تحرير الوسيلة حضرة آية الله العظمى امام خميني" جلد جهارم - كتاب الديات، قم، ١٤٠٩هـ (مرجع فارسي) .

١٢ - مجذوب، طلال: ايران من الثورة الدستورية حتى الثورة الايرانية (١٩٠٦ - ١٩٧٩)، دار ابن رشد، بيروت، ١٩٨٠م.

١٣ - مرجع فارسي: ريحانة الأدب.

١٤ - مرجع فارسي: كنجينه دانشمند - ج ١.

١٥ - النفيسي، عبد الله: دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٣م.
١٦ - فهمي، د. عبد السلام عبد العزيز: تاريخ ايران السياسي في القرن العشرين، مطبعة المركز النموذجي في الجيزة، مصر، ١٩٧٣م.
١٧ - الرحيمي، عبد الحليم: تأريخ الحركة الاسلامية في العراق - الجذور الفكرية والواقع التاريخي (١٩٠٠ - ١٩٢٤)،دار النبوغ، بيروت، ١٩٨٨م.

الدوريات:

١ - مجلة نور علم، نشرية جامعة مدرسين حوزة علمية قم، فارسية، العدد ٢٨ - ربيع الاول ١٤٠٩هـ .

المقابلات الشخصية:

١ - ستة لقاءات مفصلة مع آية الله العظمى المرجع السيد محمد بن مهدي الشيرازي - حفظه الله تعالى - وقد تمت في مدينة قم المقدسة بايران حيث يقيم المرجع الديني (الشيرازي) فيها ويدير منها شؤون المرجعية الدينية والحوزة العلمية .
٢ - مقابلة مع حجة الاسلام السيد عبد الحميد الاصفهاني، حفيد السيد ابو الحسن، في مدينة مشهد المشرفة.
٣ - قصص مختلفة التقطناها من مصادر مختلفة.

الفهرس